



جامعة اليرموك

كلية الشريعة

قسم الدراسات الإسلامية

أصول النظرية التربوية الإسلامية وتطبيقاتها التربوية

المستخلصة من سورة الأنعام

**The Basics of Educational Islamic Theory and it's
Educational Applications as Derived from sourat
Al-Anaam**

إعداد

وائل محمد فنخري عيسى بني عيسى

إشراف

الدكتورة أحلام محمود علي مطالقه

1434هـ - 2013م

أصول النظرية التربوية الإسلامية وتطبيقاتها التربوية المستخلصة من سورة الأنعام

إعداد

وانل محمد فخري عيسى بني عيسى

بكالوريوس في أصول الدين، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، ١٩٩٤م.

دبلوم عالي في أساليب تدريس التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة اليرموك، ٢٠٠٤م.

ماجستير في التربية الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، ١٩٩٩م.

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التربية الإسلامية، كلية

الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، امربد - الأردن، ٢٠١٣م.

وافق عليها

د. أحلام علي مطالقة
مشرفاً ورئيساً

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك

أ.د. ماجد زكي الجلاذ
عضواً

أستاذ في مناهج التربية الإسلامية وطرائق تدريسها، كلية التربية، جامعة اليرموك

د. سليمان محمد علي الدقور
عضواً

أستاذ مشارك في التفسير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية

د. عدنان مصطفى خطاطبة
عضواً

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك

د. عماد عبدالله الشريفين
عضواً

أستاذ مشارك في التربية الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة اليرموك

في

١٤ - ٢ - ٢٠١٣ م

إهداء

إلى من جاهد في علمي وإيماني .. "أبي وأمي" والدي المحبين أدام الله عنهما

إلى من أسكن إليها بالمودعة والرحمة .. نزوجتي الغالية

إلى من نزلن الله به حياتي .. أولادي

"سمر، فرح، عبد الرحمن، حلا، لميس"

إلى عضدي وسندي في كل زمان .. أحتبي

"لؤي، سامر، إياس، علي، معاذ، ياسر"

إلى الأعراء على القلب .. فاينرفادي .. وإلى والدتهما الغالية .. "حماتي"

إليهم جميعاً أهدي عملي هذا

شكر وتهنير

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

"ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأصلح لي في ذريتي" (الأحقاف: 15)، فالشكر كله لصاحب الفضل والمنة على توفيقه لي وتمكيني من إخراج هذا العمل على هذا الوجه، فله جلّ وعلا الحمد والشكر كله دائماً وأبداً .

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، لذا فإن من الواجب أن ينسب الفضل إلى أهله وعليه فإنني أتقدم بالشكر أجزله لأستاذي الكريمين الأستاذ الدكتور ماجد زكي الجلاّد ، الذي تحمل عبء متابعة وتقييم مخطط هذه الأطروحة حتى خرج بهذا الشكل، فله مني جزيل الشكر وخالص العرفان، وإلى الأستاذة الفاضلة أستاذتي الدكتورة أحلام مطالقة على تحملها عناء الإشراف الدؤوب على هذه الأطروحة، وعبء تقييمها ومتابعتها حتى خرجت بهذا الشكل، كما أتقدم بعظيم الشكر وخالص الامتنان إلى أعضاء اللجنة الكريمة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الأطروحة العلمية، وعلى ما سأفيده من صواب آرائهم ودقيق ملاحظاتهم في تقييم اعوجاج هذه الأطروحة ، وهم : الأستاذ الدكتور ماجد الجلاّد، الدكتور سليمان الدقور، الدكتور عدنان خطاطبة، والدكتور عماد الشريفين.

والشكر موصولاً إلى كل من ساهم في إنجاز مسيرتي في هذه المرحلة الدراسية، وإنجاز هذا العمل، وعليه فإنني أسطر شكري وتقديري إلى والدي الكريمين حفظهما الله وأطال في عمرهما ووفقهما لحسن العمل على ما كان لهما من جهد عظيم في تنشئتي وإعدادي، وأسطر شكري وتقديري إلى زوجتي "وجدان" على ما بذلته من جهد وعناء وسهر ودعاء، وأسطر شكري وتقديري أيضاً إلى أخي العزيز "المهندس ياسر" على ما بذله من جهد عظيم في طباعة وتنسيق هذه الأطروحة، وبطل الشكر والتقدير موصولاً إلى كل من ساهم في إنجاز هذه الأطروحة وإخراجها بهذه الصورة فجزاهم الله جميعاً كل خير وشكر سعيهم ورفع قدرهم في الدنيا والآخرة، اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

وائل بني عيسى

الفهرس

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر
و	الفهرس
ك	ملخص الدراسة
الفصل التمهيدي	
2	المقدمة
4	مشكلة الدراسة وأسئلتها
6	أهمية الدراسة
7	أهداف الدراسة
7	الدراسات السابقة
8	مصطلحات الدراسة
8	منهج الدراسة
9	حدود الدراسة
الفصل الأول: تعريف السرور الأنعام والنظرية التربوية الإسلامية	
11	المبحث الأول: سورة الأنعام: التعريف بها، موضوعاتها، أهم أغراضها
11	المطلب الأول: تعريف عام بسورة الأنعام
13	المطلب الثاني: موضوعات وأغراض السورة
16	المبحث الثاني: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية
16	المطلب الأول: مفهوم النظرية لغة واصطلاحاً
18	المطلب الثاني: مفهوم النظرية التربوية
19	المطلب الثالث: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية
الفصل الثاني: أصل النظرية التربوية الإسلامية	
23	المبحث الأول: مفهوم الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
24	المطلب الأول: الأصل لغة واصطلاحاً

25	المطلب الثاني: العقيدة لغة واصطلاحاً
28	المبحث الثاني: التوحيد في سورة الأنعام
32	المطلب الأول: توحيد الله في ربوبيته
41	المطلب الثاني: توحيد الألوهية
48	المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات
52	المبحث الثالث: الغيب في سورة الأنعام
53	المطلب الأول: مفهوم الغيب
54	المطلب الثاني: ذكر الغيب في سورة الأنعام
63	المبحث الرابع: الملائكة والجن وذكرهما في سورة الأنعام
63	المطلب الأول: مفهوم الملائكة
64	المطلب الثاني: مفهوم الجن
64	المطلب الثالث: ذكر الملائكة والجن في سورة الأنعام
73	المبحث الخامس: الإيمان بالكتب والأنبياء والرسل والاهتداء بهم
73	المطلب الأول: مفهوم الكتب السماوية
73	المطلب الثاني: مفهوم الرسل عليهم الصلاة والسلام لغة واصطلاحاً
76	المطلب الثالث: ذكر الأنبياء والرسل والكتب المنزلة عليهم في سورة الأنعام
80	المبحث السادس: اليوم الآخر ومصير الإنسان
81	المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر
82	المطلب الثاني: ذكر اليوم الآخر في سورة الأنعام
85	المبحث السابع: القدر وسنن الله تعالى
87	المطلب الأول: تعريف القدر
89	المطلب الثاني: ذكر القدر في سورة الأنعام
96	المبحث الثامن: الأثر التربوي للأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
110	المبحث الأول: مفهوم الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام

110	المطلب الأول: مفهوم المعرفة لغةً واصطلاحاً
112	المطلب الثاني: معنى العلم
112	المطلب الثالث: العلاقة بين العلم والمعرفة
114	المبحث الثاني: مصادر المعرفة وأدوات اكتسابها
119	المطلب الأول: مصادر المعرفة
136	المطلب الثاني: أدوات المعرفة و وسائل وطرق اكتسابها من مصادرها
145	المطلب الثالث: تكامل وسائل وطرائق المعرفة
157	المبحث الثالث: الأثر التربوي لعناصر الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
الفصل الرابع: الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام	
161	المبحث الأول: مفهوم الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
161	المطلب الأول: مفهوم التشريع لغة واصطلاحاً
163	المطلب الثاني: مفهوم الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
164	المبحث الثاني: ذكر مجالات التشريع الإسلامي وأمثله في سورة الأنعام
189	المبحث الثالث: الأثر التربوي للأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
الفصل الخامس: أثر نظرية التربية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام	
194	المبحث الأول: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً
194	المطلب الأول: الأخلاق لغةً
195	المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحاً
197	المبحث الثاني: أمثلة على الأخلاق الحميدة الواردة في سورة الأنعام وآثارها الاجتماعية والتربوية
198	المطلب الأول: الصبر

206	المطلب الثاني: بر الوالدين
215	المطلب الثالث: العدل
222	المبحث الثالث: أمثلة على الأخلاق الذميمة الواردة في سورة الأنعام وآثارها الاجتماعية والتربوية
	الفصل السادس: الأصل النفسي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
238	المبحث الأول: مفهوم النفس
241	المبحث الثاني: النفس في القرآن الكريم
245	المبحث الثالث: مفهوم النفس في سورة الأنعام
257	المبحث الرابع: الصحة النفسية
257	المطلب الأول: الصحة النفسية لغة واصطلاحاً
270	المبحث الخامس: مقومات الصحة النفسية
274	المبحث السادس: مظاهر الصحة النفسية
275	المطلب الأول: مظاهر الصحة النفسية في سورة الأنعام
288	المطلب الثاني: المرض النفسي
291	المطلب الثالث: الشرك والمرض النفسي
304	المبحث السابع: أمثلة على المرض النفسي في سورة الأنعام
304	المطلب الأول: قسوة القلب
308	المطلب الثاني: الختم على القلب
311	المبحث الثامن: الأثر التربوي للأصل النفسي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
	الفصل السابع: تطبيقات النظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام
317	المبحث الأول: مفهوم المنهاج الدراسي
321	المبحث الثاني: التطبيقات التربوية في مكونات المنهاج الدراسي
322	المطلب الأول: التطبيقات التربوية في الأهداف التربوية
331	المبحث الثالث: التطبيقات التربوية في طرق التدريس الواردة في سورة الأنعام

331	المطلب الأول: مفهوم طريقة التدريس لغة واصطلاحاً
333	المطلب الثاني: أمثلة على طرق التدريس الواردة في سورة الأنعام
349	المبحث الرابع: التطبيقات التربوية في المحتوى الدراسي
371	المبحث الخامس: التطبيقات التربوية في الأنشطة التربوية
373	المبحث السادس: التطبيقات التربوية في التقويم
386	الخاتمة
386	أولاً: النتائج
388	ثانياً: التوصيات
389	فهرس الآيات
409	فهرس الأحاديث
412	قائمة المصادر والمراجع
440	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

المخلص

بني عيسى، وائل محمد فخري، أصول النظرية التربوية الإسلامية وتطبيقاتها المستخلصة من سورة الأنعام، كلية الشريعة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، 2013 م .

إشراف الدكتورة أحلام مطافقة

هدفت هذه الدراسة إلى بيان أصول النظرية التربوية الإسلامية وتطبيقاتها المستخلصة من سورة الأنعام .

منهج الدراسة: استخدمت الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء الآيات المتعلقة بالنظرية التربوية الإسلامية من سورة الأنعام، وتحليلها ثم ترتيبها وتصنيفها للخروج بتصوير متكامل حول نظرية تربوية تتعلق بهذه السورة، وذلك عن طريق:

1. الاستفادة من كتب التربية ومؤلفات التربية الإسلامية، لبيان وتوضيح الموضوعات قيد الدراسة، ثم الاستدلال عليها بالقرآن الكريم وصحيح السنة .
2. جمع الآيات من سورة الانعام المتعلقة بالموضوع قيد الدراسة وفرزها وتصنيفها بما يتوافق مع خطة البحث .
3. الاستعانة بكتب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المقبول، لمعرفة اقوال العلماء في مدلول الآيات .
4. استقراء الجوانب التربوية والمعالم التربوية والخروج بالاستدلالات التربوية التي تخدم مجموعها اغراض الدراسة وأهدافها .

وفي ضوء ذلك توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أن سورة الأنعام سورة كلية، اشتملت على موضوعات تعليمية تربوية عقديه معرفية
تشريعية اخلاقية نفسية، شكلت بمجموعها منهجا واضحا للاسس التي تقوم عليها
النظرية التربوية الاسلامية .

2. أن النظرية التربوية الاسلامية هي مجموعة من المبادئ والافكار والمفاهيم
والمصطلحات والمعلومات المتناسقه والمرتبه والمتفاعلة فيما بينها ذات الصلة بقضية
التربية، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، تؤدي الى تحليلها وتوضيحها وبيان
خصائصها وميزاتها واهدافها وغاياتها واثرها، وما يجري بها من تفاعلات، وتوجيهها،
وبيان نتائجها وتفسيرها وتطويرها، بما يشكل في مجموعه نظرة كلية منضبطة عن
التربية من منظور إسلامي .

3. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً عقديه
للتربية التربوية الإسلامية، كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر،
وتفصيلات ذلك .

4. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً معرفية
للتربية التربوية الإسلامية، كبيان مصادر المعرفة وادوات اكتسابها، وتكامل وسائل
وطرائق المعرفة .

5. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً تشريعية
للتربية التربوية الإسلامية، كبيان خصائص ومجالات التشريع الاسلامي وامثلته .

6. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً اخلاقية
للتربية التربوية الإسلامية، وذلك من خلال بيان جملة من الاخلاق الحميدة والذميمة
واثرها الاجتماعي والتربوي .

7. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً نفسية للنظرية التربوية الإسلامية، وذلك من خلال بيان مفهوم النفس والصحة النفسية ومظاهرها، والمرض النفسي وامثلته .

8. أن سورة الأنعام حوت جملة من القواعد والأسس التربوية التي يمكن توظيفها في العملية التربوية وذلك في إعداد وصياغة المنهاج التربوي وما يشتمل عليه من أهداف ومحتوى وأنشطه وطرائق تدريس .

الكلمات المفتاحية: النظرية التربوية الإسلامية، أصول التربية الإسلامية، سورة

الأنعام.

الفصل التمهيدي

© Arabic Digital Library - Iarmouk University

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله عز وجل الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42) وهو كتاب هداية وإرشاد للخلق أجمعين. قال

تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2). وهو كتاب تزكية

وتربية للإنسان جسدا وروحا وفكرا، ذلك لأنه يشتمل على المنهج التربوي الذي يتضمن النور

والهدى والموعظة الحسنة والتوجيه والمشورة وآداب المعاملة وفضائل السلوك وكل ما يخص

حياة الإنسان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89).

والحياة مع القرآن هي الحياة مع الله لأنه كتاب الله المنزل وكلامه الموجه إلى الإنسان،

وهذا التوجيه للإنسان، كل الإنسان نفسه وجسده وقلبه وفكره وروحه، فهو الذكر الحكيم والمنهج

القيوم والدستور الحق فمن تمسك به هدى ورشد ومن حاد عنه ضل وهلك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ

اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)﴾ (طه: 123 - 124) .

ويهدف القرآن الكريم إلى إيجاد الشخصية المتكاملة جسداً وعقلاً وروحاً وفكراً ووجداناً وفقاً للتصور الإسلامي والنظرة الشاملة للكون والإنسان والحياة بما يكفل إيجاد قدرة لدى الفرد للغوص في أعماق القرآن الكريم والبحث عن معانيه والكشف عن حقائقه، لتحقيق الهداية للإنسان وتعريفه بمنهج الله وما يتطلب ذلك من تربية على أساسه ووفق الهدى الإلهي الذي اشتملت عليه سوره الكريمة، ذلك لأن القرآن الكريم يعد المصدر الأول لفهم الطبيعة البشرية، وبيان الأصول التي يقوم عليها المنهج الذي نستطيع من خلاله أن نتعامل مع هذه الطبيعة من حيث فهم حقيقتها وخصائصها، ومكوناتها ومتطلبات وجودها، والغاية من وجودها، والوسائل والطرق التي يمكن من خلالها تحقيق هذه الغاية والضوابط التي يجب أن تحكم سيرها، وتنير لها دربها في تفاعلها مع ما يحيط بها من عوالم وأكوان بما يضمن لها بقاؤها واستمرار وجودها، بقاء واستمراراً يليقان بها، وبالهدف الذي خلقت لأجله، أي يحقق لها الاستقامة والسعادة والطمأنينة في الدنيا والآخرة وإبقاؤها في أعلى درجات أحسن تقويم مبتعداً بها عن درجات أسفل سافلين، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) ﴾ (التين: 4-6)، فالثبات على أحسن تقويم مرهون بالإيمان، ثم العمل الصالح الذي يتفرع منه جميع نشاطات الحياة البشرية المختلفة ولا غرابة في ذلك فإله هو الذي خلق النفس البشرية وخلق لها المكان والزمان وهبئ لها سبل العيش الكريم، قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (السجدة: 7)، ثم أنزل المنهج الذي يبين السنن والقواعد والقوانين التي يجب أن تحكم علاقات هذه النفس ضمن دوائر العلاقات الإنسانية الثلاثة، علاقة الإنسان بالإنسان، وبالخالق، وبالكون المحيط به، بما يشكل في مجموعه منظومة

تربوية متكاملة تُسمو بهذه النفس إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، من هنا كان لزاماً على كل من يتصدى للتربية الإسلامية أن ينطلق أساساً من مصدرها الأول القرآن الكريم، ثم بعد ذلك يتم البناء، وتناول الجانب التربوي لسور القرآن الكريم والأصول التربوية المشتمة عليها ليس أمراً جديداً، فقد تناوله الباحثون بالدراسة لبيان شأن هذا الجانب في التصور الإسلامي، لما له من شأن عظيم في تربية الفرد، وتنشئته نشأة سوية وفق هذا التصور.

وقد ذكر علماء التفسير والحديث مقاصد كل سورة وفضائلها ومكانتها ومنها سورة الأنعام، فهي سورة مكية بالاتفاق¹ وهي أول سورة مكية في القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف و التي تمثل "النموذج الكامل للقران المكي و طبيعة هذا القران وخصائصه و منهجه، في موضوعها الأساس، وفي منهج التناول وفي طريقة العرض سواء، مع احتفاظها بشخصيتها الخاصة وفق الظاهرة الملحوظة في كل سور القرآن الكريم"².

وتعد سورة الأنعام من السور التي تشكل في موضوعها تصوراً تربوياً يمكن أن يسهم في تشكيل الشخصية الإسلامية في جوانب عدة، ويمكن أن تشكل أصلاً من الأصول التي يعتمد عليها في تكوين نظرية تربوية إسلامية .

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

وجود حالة من الضعف والظلم والمعاناة عند الأمة الإسلامية اليوم، حيث الغزو بكل أشكاله وصوره والحصار الفكري، ومحاولة طمس الشخصية والهوية الإسلامية ومحاربة الفضيلة والأخلاق ونشر الرذيلة والدعوة إليها وتحسينها، هذه الحالة تشبه إلى حد ما حالة

¹ ابن عاشور، محمد الفطاهر، تفسير التحرير والتوير، تونس، دار التونسية للنشر، دط، 1409 هـ - 1984 م، ج 6، ص 121.

² قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق، ط 22، 1414 هـ - 1994، ج 2، ص 1008.

المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، حين عانوا حرب قريش وإيذائها وتعذيبها لهم، وتشديد الحصار عليهم، والتصدي للدعوة الإسلامية بأساليب وأشكال متنوعة، نزل إثر ذلك عدد من السور القرآنية التي حققت مهمتها في تربية وتوجيه المسلمين في الثبات على الحق، ومواجهة الباطل والتصدي له، وفي مقدمة تلك السور سورة الأنعام التي نحن الآن بحاجة إلى وقفة متأنية معها لاستخلاص ما بها من جوانب ودلالات تربوية يمكن من خلال تطبيقها تخليص الأمة مما تعانيه من أزمات فكرية وتربوية وعقدية وأخلاقية .

وجود خلل في تعامل المسلمين الواقعي، حيث يوجد فجوة بين ما يتطلبه الإسلام والواقع الذي يعيشه المسلمون، نظراً لبعدها عن أصل التربية والتعليم والتوجيه المتمثل بالقرآن الكريم بسوره المختلفة، وتعد سورة الأنعام من السور التي يمكن أن تشكل نبراساً يستضيء بنوره المسلمون لاستنباط جوانب تربوية وتعليمية يمكن أن توجه المسلمين توجيهاً سليماً .

من هنا برزت مشكلة الدراسة والمتمثلة في استخلاص أصول النظرية التربوية الإسلامية وتطبيقاتها من سورة الأنعام، وذلك من خلال محاولة هذه الدراسة الإجابة عن سؤالها الرئيس وهو:

ما أصول النظرية التربوية الإسلامية المستخلصة من سورة الأنعام ؟ وما تطبيقاتها التربوية ؟

وسيجيب الباحث عن هذا السؤال من خلال إجابته عن الأسئلة الآتية:

ما مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ؟

ما الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية في سورة الأنعام ؟

ما الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية في سورة الأنعام ؟

ما الأصل النفسي للنظرية التربوية الإسلامية في سورة الأنعام ؟

ما الاصل التشريعي للنظرية التربوية الاسلامية في سورة الأنعام ؟

ما الاصل الاخلاقي للنظرية التربوية الاسلامية في سورة الأنعام ؟

ما التطبيقات التربوية في المنهاج التربوي في ضوء اصول النظرية التربوية الاسلامية

المستخلصة من سورة الأنعام؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الجانبين التاليين:

الجانب الأول: الجانب النظري: حيث تسعى هذه الدراسة إلى تبصير المسلم وتعريفه بسورة الأنعام وفضلها، والمحاور الرئيسة التي اشتملت عليها وأصول النظرية التربوية الإسلامية التي تشكل منطلقاً لتربية الإنسان وتعليمه على أساس الإسلام ومفاهيمه، لتكون طريقاً إلى التطبيق العملي في واقع الحياة .

الجانب الثاني: الجانب العملي: إذ تسعى هذه الدراسة إلى إفادة مخططي مناهج وكتب التربية الإسلامية وذلك بإبراز مضامينها التربوية، وتضمينها في المحتوى التعليمي لطلاب المدارس، كما تسعى لإفادة الدعاة والباحثين وطلاب الدراسات العليا، وفتح آفاق للبحث المستقبلي في أبعاد أخرى غير التي تناولتها الدراسة .

ويتوقع من هذه الدراسة أن تستفيد منها المؤسسات التربوية المختلفة، كالجامعات والمدارس لأخذها بعين الاعتبار عند بناء المناهج وتطويرها وفق أسس النظرية التربوية المستمدة من سورة الأنعام ورفد المكتبة العربية الإسلامية بدراسات حول أصول النظرية التربوية المستنبطة من سورة الأنعام نظراً لقلّة الدراسات في هذا المجال .

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

بيان مفهوم النظرية التربوية الإسلامية و تطبيقاتها .

الكشف عن الأصل العقدي للنظرية التربوية في سورة الأنعام، وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية.

الكشف عن الأصل المعرفي للنظرية التربوية في سورة الأنعام، وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية .

الكشف عن الأصل النفسي للنظرية التربوية في سورة الأنعام، وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية .

الكشف عن الأصل التشريعي للنظرية التربوية في سورة الأنعام، وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية .

الكشف عن الأصل الأخلاقي للنظرية التربوية في سورة الأنعام، وأثره في بناء النظرية التربوية الإسلامية .

استنتاج اهم التطبيقات التربوية في المهاج التربوي في ضوء أصول النظرية التربوية الإسلامية المستخلصة من سورة الأنعام .

الدراسات السابقة:

قام الباحث باستقصاء البحوث والدراسات التي تناولت موضوع الدراسة، لم يعثر

الباحث في حدود علمه على دراسة تناولت أصول النظرية التربوية الإسلامية في سورة الانعام.

مصطلحات الدراسة:

أصول النظرية التربوية الإسلامية: مجموعة من المبادئ والأسس والقواعد التي تقوم عليها النظرية التربوية الإسلامية التي تضمنتها سورة الأنعام .

التطبيقات التربوية في سورة الأنعام: الجوانب العملية التي يمكن توظيفها في المناهج التربوية في ضوء أصول النظرية التربوية الإسلامية المستخلصة من سورة الأنعام .

منهج الدراسة:

سيتناول الباحث في دراسته:

المنهج الاستقرائي التحليلي: وذلك باستقراء الآيات المتعلقة بالنظرية التربوية الإسلامية من سورة الأنعام وتحليلها، ثم ترتيبها وتصنيفها للخروج بتصوير متكامل حول نظرية تربوية تتعلق بهذه السورة .

وسيقوم الباحث بعدد من الخطوات، أهمها:

الاستفادة من كتب التربية ومؤلفات التربية الإسلامية، لبيان وتوضيح الموضوعات قيد الدراسة، ثم الاستدلال عليها بالقرآن الكريم وصحيح السنة .

جمع الآيات من سورة الأنعام المتعلقة بالموضوع قيد الدراسة وفرزها وتصنيفها بما يتوافق مع خطة البحث .

الاستعانة بكتب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المقبول، لمعرفة اقوال العلماء في مدلول الآيات .

استقرأء الجوانب التربوية والمعالم التربوية والخروج بالاستدلالات التربوية التي تخدم
بمجموعها اغراض الدراسة واهدافها .

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على دراسة أصول النظرية التربوية الاسلامية في سورة الأنعام دون
غيرها من الجوانب إلا بما يقتضيه الموقف في معالجة موضوعات الدراسة، والتطبيقات
التربوية المتعلقة بالمنهاج التربوي من حيث الأهداف والمحتوى وطرق التدريس والأنشطة
التربوية والتقويم التربوي.

الفصل الأول

التعريف بسورة الأتعام والنظرية التربوية الإسلامية

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الفصل الأول

التعريف بسورة الأنعام والنظرية التربوية الإسلامية

المبحث الأول: سورة الأنعام: التعريف بها، موضوعاتها، أهم أغراضها:

تمهيد:

تعد سورة الأنعام من السور التي لها فضل خاص، ولها أغراضها وموضوعاتها الخاصة، لتحقيق أهداف معينة، ومن هنا سيتم التعريف بهذه السورة وأهم ما تتضمنه من موضوعات وأغراض .

المطلب الأول: تعريف عام بسورة الأنعام:

سورة الأنعام مكية، روى الطبراني عن ابن عباس قال: "نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً بِمَكَّةَ لَيْلًا وَحَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ بِالتَّسْبِيحِ"¹.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَدًّا مَا بَيْنَ الْخَافِقِينَ لَهُمْ رَجَلٌ بِالتَّسْبِيحِ، وَالْأَرْضُ بِهِمْ تُرْتَجُّ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ"².

¹ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الموصل، مكتبة الزهراء، ط 2، 1404 هـ - 1993 م، باب 3، ج 10، ص 356، حديث رقم 12757 .

² الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، القاهرة، دار الحرمين، 1415 هـ - 1994 م، ج 6، ص 292 ؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط 1، 1423 هـ - 2003 م، باب: ذكر السبع الطوال، ج 4، ص 79، حديث رقم: 2210 ؛ البيهقي، أحمد بن الحسين، المنن الصغرى، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، باكستان، جامعة الدراسات الإسلامية، ط 1، 1410 هـ - 1989 م، ج 1، ص 341، حديث رقم: 750 .

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: "لَقَدْ

شَهِعَ هَلِيهِ السُّورَةَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا سَدَّ الْأَفْقَ"¹. قال السيوطي² تعقيباً على ذلك: أخرجه الحاكم

في المستدرک عن جابر وقال: صحح على شرط مسلم .

وروى الامام أحمد وغيره عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "

أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعِ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَثِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِي،
وَقُضِّلْتُ بِالْمُقْصَلِ"³.

وسورة الأنعام اثنا عشر ألف حرفاً وأربعمائة واثان وعشرون حرفاً، وثلاثة آلاف

واثنان وخمسون كلمه، ومائة وخمس وستون آية، كلها احتجاج على المشركين، وكلها مكية غير

ست آيات فيها، فإنها مدنيات ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ

مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ

قُرْآنًا يُسَمَّوْنَ بُدُوءَهَا خُبْرًا كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ

ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (الأنعام: 67) إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى ﴿ قُلْ

تَعَالَوْا آثُلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

¹ الحاكم، أبو عبدالله، المستدرک على الصحيحين ، ط 1 ، 1427 هـ - 2006 م، المجلد الثاني، ج 2، ص 314، حديث رقم

3226 ؛ والبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، شعب الإيمان، تحقيق: عبد المعطي قلجعي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط. 1990

م، باب: ذكر السبع الطوال، ج 4، ص 78، حديث رقم 2208، هذا حديث صحيح على شرط مسلم

² السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تحفة الأبرار بكتك الأذكار النووية، الرياض، مكتبة الرشد، د. ط. د. ت. ج 2.

³ ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421 هـ - 2001 م، ج 3، ص

107، حديث رقم: 17023 ؛ ورواه الطبراني في المعجم الكبير، ج 15، ص 450، حديث رقم: 17647 ؛ والبيهقي، شعب الإيمان، ج 2،

ص 465، حديث رقم: 2415 ؛ والبيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلجعي، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط 1، 1405 هـ - 1985 م، ج 6، ص 95، حديث رقم، 2220 ؛ والطيالسي، سليمان بن داوود أبو داوود، مسند أبي داوود

الطيالسي، بيروت، دار المعرفة، د. ط. د. ت. ج 1، ص 136، حديث رقم: 1012 ؛ الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، شرح مشكل

الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، د. م، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415 هـ - 1994 م، ج 3، ص 409، حديث رقم: 1379 ؛ الهيثمي، علي

بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د. م، دار الرياض للتراث، د. ط. 1407 هـ - 1987 م، ج 7، ص 132، حديث رقم:

11109 . إسناده حسن

أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ إلى قوله

تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: 151 - 153)، وكان رسول الله ﷺ بمكة ونزلت هذه

السورة وشيخها سبعون ألف ملك فائدهم جبريل عليه السلام قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل

بالتسبيح والتحميد فدعا رسول الله ﷺ الكتاب فكتبوها في ليلتهم، فقال جبريل: يا محمد من قرأها

من أمتك إيماناً واحتساباً صلى عليه السبعون ألف ملك الذين شيعوها إليك، فخر النبي ﷺ ساجداً

شكراً لله¹.

وقال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن

كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة، لأنها في معنى واحد من الحجة وأن

تصرف ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين².

المطلب الثاني: موضوعات السورة وأغراضها:

سورة الأنعام في جملتها تعرض حقيقة الألوهية في مجال الكون والحياة وفي مجال

النفس والضمير وفي مجاهيل هذا الكون المشهود. كما تعرضها في مجاهيل ذلك الغيب

المكتون وفي مشاهدة النشأة الكونية والنشأة الحيوية والنشأة الإنسانية كما تعرضها في مصارع

الغابرين واستخلاف المستخلفين، وتعرضها في مشاهد الفطرة وهي تواجه الكون وتواجه

الأحداث، وتواجه النعماء والضراء، كما تعرضها في مظاهر القدرة الإلهية والهيمنة في حياة

¹ الطبراني، سليمان بن محمد بن أيوب، التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، إربد، دار الكتاب الثقافي، ط1، 1428 هـ - 2008م،
مجلد 3، ص 5 .

² القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، بيروت، دار إحياء التراث
العربي، د. ط، 1965م، ج 6، ص 383 .

البشر الظاهرة والمستكنة وفي أحوالهم الواقعة والمتوقعة، وأخيراً في مشاهد القيامة ومواقف الخلائق، وهي موقوفة على ربها الخالق¹.

وقد واجهت السورة المشركين الذين اتخذوا مع الله آلهة أخرى بالأدلة القاطعة والبصائر الواضحة على التوحيد من خلال النظر في آيات الآفاق وفي آيات الأنفس، وبينت كذلك موقف المكذابين بهذه الآيات، ثم بيان مصارع الغابرين على سبيل الاستنكار عجباً من أولئك الذين وضحت لهم الأدلة وسطعت لهم البراهين، فعاندوا واستكبروا فأخذهم الله بما فعلوا، ليكونوا عبرة لمن يجيء بعدهم .

وبينت السورة حال أهل الكتاب وأنهم على درجة من الوعي والمعرفة لهذا الكتاب الجديد وهو القرآن وهذا دليل قاطع لهم وحجة عليهم ومع ذلك يصرون على العناد والاستنكار لكل ما جاء به هذا القرآن؛ ومن ذلك عقيدة البعث وهذا كما وصفته السورة أظلم الظلم وأبطلت بالحجج والساطعة والبراهين الدامغة كل ما هم عليه من عقائد فاسدة وأن البعث واقع وأنهم سيشهدونه ويشهدون العذاب بعده .

قال سغيد حوى²: إن السورة حوار شامل مع الكافرين في كل الاتجاهات الرئيسية للكفر، سواء كانت نظرية أو علمية، ولذلك فإن على الداعية إلى الله أن يتولى حججها ويعرف كيف يقرع بها.

وذكرت سورة الأنعام عدداً من الأنبياء والرسل وما لاقوه مع أقوامهم ليكون بذلك تسليةً وتسريةً لفراد النبي ﷺ لما يلاقيه مع قومه، وتثبيتاً له ﷺ، فهو ليس بدعاً من الرسل، وفي ذلك أيضاً ذكرى لكل مستمع أن يتعظ مما حصل مع غيره .

¹ قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق، ط 22، 1414 هـ - 1994 م، ج 7، ص 1016 .
² حوى، سعيد، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط 2، 1989 م، ج 3، ص 1661 .

وبينت السورة أن التقوى الحق ليست مجرد حرمان النفس من الطيبات بل هي حرمان النفس من الشهوات التي تحول بين النفس وبين الكمال والتنزيه، والمنة على الأمة بما أنزل الله من القرآن هدى لهم وبيان فضيلة القرآن ودين الإسلام وما منحه الله لأهل هذا الدين من مضاعفة للحسنات¹. وذكرت السورة مفاتيح الغيب وامتنان الله سبحانه وتعالى على المؤمنين بنعم عديدة اشتملت عليها مخلوقات الله تعالى .

وقال الرازي² قال الأصوليون: هذه السورة اختصت بنوعية من الفضيلة، أحدهما أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها سبعون ألفاً من الملائكة والسبب أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، وذلك يدل على أن الأصول في غاية الجلال والرفعة .

قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين، ومن كذب بالبعث والنشور، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين³ .

وهي من القرآن المكي الذي ينزل على رسول الله ﷺ ثلاث عشر عاماً كاملة يحدث عن قضية واحدة لا تتغير ولكن طريقة عرضها لا تكاد تتكرر، لقد كان يعالج القضية الأولى، والقضية الكبرى، والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد " قضية العقيدة " ممثله في قاعدتها الرئيسية الإلهوية والعبودية وما بينها من علاقة⁴ .

¹ ابن عاشور، والتقوير، ج 6، ص 123-124.

² الرازي، محمد تفسير الفخر الرازي، النقد الكبير، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1401 هـ - 1981 م، ج 11، ص 149 .

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 383 .

⁴ قطب، في ظلال القرآن، ج 7، ص 1004 .

واشتملت السورة على أساليب متنوعة في تقويض دعائم الشرك وترجيح قواعد الإيمان، ودحض شبه أهل الزيغ والضلال، وإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من معتقدات فاسدة وتقاليد راكدة¹.

المبحث الثاني: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية:

المطلب الأول: مفهوم النظرية لغةً واصطلاحاً:

أولاً: النظرية لغةً: نظر: النون والطاء والراء أصل صحيح، يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو: تأمل الشيء ومعانيه²، والنظر: الفكر في الشيء³، وتأمل الشيء بالعين⁴، ونظر بين الناس: أي حكم وفصل بينهم، وأمر نظري: أي: وسائل بحث الفكر والتخيل⁵، والنظر بالقلب: البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته⁶.

ثانياً: النظرية اصطلاحاً: هي من المصطلحات التي لم يتم الاتفاق على تعريف واحد لها، وذلك لاختلاف وجهات النظر الباحثين حول النظرية ولاشتراك مصطلح النظرية في أنواع مختلفة ومتباينة من العلوم، أدى ذلك إلى أن ينظر كل باحث وبحسب العلم الذي يبحث فيه إلى معنى النظرية من وجهة نظره من جهة، ومن صلة النظرية بالبحث الذي يقوم به من جهة أخرى، مما أدى إلى وجود معانٍ مختلفة ومتباينة لمصطلح النظرية، ومن هذه المعاني:

¹ مسلم، مصطفى وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الشارقة، جامعة الشارقة، ط1، 1431 هـ - 2010 م، ج 2، ص 398.

² ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، تحقيق: شهاب الدين أبو عمر، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1418 هـ - 1998 م، ص 1034.

³ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت، ج 3، ص 784.

⁴ الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 6، 1419 هـ - 1998 م، ص 484.

⁵ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، اسطنبول، دار الدعوة، د.ط، 1989 م، ج 2، ص 932.

⁶ الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت، ص 812.

- ما يقابل الحقائق العلمية الجزئية، وهي تعني هنا تفسير عدة ظواهر من قبيل الفرضية العلمية، كما هو في نظرية الذرة¹.
- مجموعة من القواعد والقوانين التي ترتبط بظاهرة ما، بحيث ينتج عن هذه القوانين مجموعة من المفاهيم والاقتراحات والعمليات التي يتصل بعضها ببعض لتؤلف نظرة متكاملة حول تلك الظاهرة ويمكن أن تستخدم في تفسيرها والتنبؤ بها في المواقف المختلفة².
- عملية تجميع وترتيب للحقائق وتعديلها بشكل متناسق يساعد على توظيف تلك الحقائق في عالم الواقع³.
- مجموعة من المبادئ والقواعد والمفاهيم المترابطة التي توجه وترشد مختلف أنواع الممارسات والأعمال⁴.
- منظومة مبادئ ومفاهيم، وحقائق كلية أو جزئية في موضوع ما، تعتمد على المصادر المطلقة أو المحدودة أو كليهما، تؤدي دورها في ضبط جوانب هذا الموضوع وتنمية، وتوجيه تفاعلاته المختلفة، وتفسير نتائجها⁵.
- محاولة تفسير عدد من الفروض أو قوانين الطبيعة من خلال وضعها في إطار فهم عام⁶.

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدينة، د . ط ، 1402 هـ - 1982 م، ج 2، ص 477 - 478 .

² زغول، عماد، نظريات التعلم، عمان، دار الشروق، ط 1، 1423 هـ - 2003 م، ص 20 .

³ خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام، دراسة تحليلية د.م، د. ن، ط 2، 1423 هـ - 2003 م، ص 17 .

⁴ التوم ، بشير الحاج، مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية، عمان، في مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية

معاصرة، تحرير: فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1411 هـ - 1991 م، ج 2، ص 319 .

⁵ خطابيه، عدنان مصطفي، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، أريد، دار الكتاب الثقافي، دطه 1432 هـ - 2011 م، ص 205 .

⁶ مور، النظرية التربوية، ترجمة: محمد الصادق وعبد المجيد شبيحة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1406 هـ - 1986 م، ص

- فرض عملي يربط عدة قوانين بعضها ببعض، ويردها إلى مبدأ واحد، ويمكن أن تستنبط منه أحكاماً وقواعد¹.

ويمكن للباحث أن يستخلص من مجموع التعريفات السابقة التعريف التالي للنظرية اصطلاحاً، فهي: مجموعة من المبادئ والأفكار والمفاهيم والمصطلحات والمعلومات المتناسقة والمرتبطة والمستندة إلى مصادرها المعتمدة ذات الصلة المباشرة بقضية ما، تؤدي إلى تحليلها وتوضيحها، وبيان خصائصها وميزاتها وأهدافها وغاياتها وما يجري بها من تفاعلات، وبيان نتائجها وتفسيرها بما يشكل نظرة كلية منضبطة عن تلك القضية في ميدانها.

المطلب الثاني: مفهوم النظرية التربوية:

- النظرية التربوية: هي مجموعة من المبادئ المنظمة المترابطة، والإرشادات الموجهة إلى المعنيين بالممارسات التربوية².

- النظرية التربوية: هي جملة من المفاهيم التربوية التي تقوم على مجموعة من المرتكزات الفلسفية أو الدينية أو الاجتماعية أو جميعها، مع المعطيات الثقافية والعلمية، ومجموعة من الأهداف التي يمكن في ضوئها تفسير كل العمليات التربوية المنظمة نظرياً ومنهجياً ونظامياً³.

- النظرية التربوية: هي مبادئ متسقة توجه العملية التربوية وتحكم الممارسات التعليمية⁴.

¹ مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د. ط، 1403 هـ - 1983 م، ص 202.

² مور، النظرية التربوية، ص 23.

³ بالجن، مقداد، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، عمان، في: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، تحرير: فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1411 هـ - 1991 م، ج 2، ص 397 - 398.

⁴ مذكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، د. ط، 1411 هـ - 1990 م، ص

- النظرية التربوية: هي منظومة المبادئ والمفاهيم الثابتة، والحقائق الكلية والجزئية المتسقة المستمدة من مصادرها المعتمدة، التي تعمل على ضبط العمل التربوي وتنميته، وتوجيهه، وتفسير نتائجه¹.

ويمكن للباحث ومن خلال ما سبق من تعريفات للنظرية التربوية ومن خلال تعريفه للنظرية أن يصوغ التعريف التالي للنظرية التربوية:

النظرية التربوية هي: مجموعة من المبادئ والأفكار والمفاهيم والمصطلحات والمعلومات المتناسقة والمرتبطة والمتفاعلة فيما بينها ذات الصلة بقضية التربية والمستندة إلى مصادرها المعتمدة، تؤدي إلى تحليلها وتوضيحها وبيان خصائصها وميزاتها وأهدافها وغاياتها وأثرها وما يجري بها من تفاعلات وتوجيهها وبيان نتائجها وتفسيرها وتطويرها بما يشكل في مجموعه نظرة كلية منضبطة عن التربية في ميدانها، تهدف إلى توجيه سير العملية التربوية .

المطلب الثالث: مفهوم النظرية التربوية الإسلامية:

- النظرية التربوية الإسلامية: هي مفهوم يشمل " فلسفة التربية الإسلامية في الإسلام، والأهداف التي تتطلع إلى تحقيقها في ضوء فكرة الإسلام الكلية عن الوجود الإنساني، وعلاقته بالخالق والكون والحياة، كما يشمل الميادين التي أوجبت هذه التربية معالجتها، والمناهج والمبادئ والأساليب والوسائل التي تراها هذه النظرية لتحقيق هذه الأهداف وتقويتها"².

¹ خطاطبه، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، ص 207 .

² الكيلاني: ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، د.م، دن، ط2، 1405 هـ - 1985 م، ص 20 .

- النظرية التربوية الإسلامية: هي مجموعة من التصورات والمفاهيم والأفكار والأهداف والأحكام والقيم ذات الحد الأقصى من التجريد والعمومية المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم، حسب الأصول الإسلامية، وفي ضوءها يمكن تفسير العمليات التربوية الإسلامية وتبريرها وتقويمها، اعتباراً من أسسها ومناهجها وأساليب ووسائل تحقيقها وتنفيذها¹.

- النظرية التربوية الإسلامية: هي مجموعة مترابطة من المبادئ والقواعد والمفاهيم التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والتي هي بمثابة الأساس المتين، والذي يقوم عليه البناء التربوي الصالح².

- النظرية التربوية الإسلامية: هي منظومة المعارف الإسلامية، المستمدة من المصادر الشرعية الرئيسية والثانوية، ذات التأثير الفعال والعلاقة الواضحة بكل مسارات العمل التربوي، الفكرية والتطبيقية بناءً وتوجيهاً وضبطاً وتفسيراً وتطويراً³.

ويلاحظ من خلال هذه التعريفات أنها تؤكد على القضايا التالية:

1. أن مصدر التربية الإسلامية هو القرآن الكريم والسنة النبوية فهما المرجعية الأساسية بالنسبة للتربية الإسلامية.

2. أنها مجموعة من التصورات، والأفكار، المفاهيم، الأهداف، ... التي ترتبط فيما بينها وتتفاعل.

3. الدور الذي تقوم به هذه التصورات والأفكار والمفاهيم والأهداف في التأثير في العمل التربوي بياناً، ضبطاً، وتفسيراً، وتطويراً.

¹ بالجن، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، ج 2، ص 399.

² الترم، مكانة فلسفة التربية، ج 2، ص 330.

³ خطاطبة، الأصل المعدي للتربية الإسلامية، ص 209.

وعليه يمكن للباحث أن يستخلص التعريف التالي للنظرية التربوية الإسلامية:

النظرية التربوية الإسلامية هي: مجموعة من المبادئ والأفكار والمفاهيم والمصطلحات والمعلومات المتناسقة والمرتبطة والمتفاعلة فيما بينها ذات الصلة بقضية التربية، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، تؤدي إلى تحليلها وتوضيحها وبيان خصائصها وميزاتها وأهدافها وغاياتها، وأثرها، وما يجري بها من تفاعلات وتوجيهها، وبيان نتائجها وتفسيرها وتطويرها، بما يشكل في مجموعها نظرة كلية منضبطة عن التربية من منظور إسلامي.

الفصل الثاني

الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام

الفصل الثاني

الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام

تمهيد:

الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية من الأصول المهمة التي تكون النظرية التربوية الإسلامية، وتشكل مع غيرها من الأصول مضامين النظرية التربوية وأهدافها، وتوجه أنشطتها وأساليبها وتحدد مسارها ونتاجها بل قد تطغى على الأصول المختلفة، وذلك لما للعقيدة من أهمية بالغة وقدرية خاصة، حيث تستمد منها النظرة إلى الحياة الإنسانية والتطور للكون والوجود واليوم الآخر، وما بني على ذلك من ممارسة للشعائر والعبادات وتنظيم لمظاهر الحياة المختلفة والعلاقات الإنسانية بين الأفراد والجماعات.

المبحث الأول: مفهوم الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام:

لبيان مفهوم الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام، لابد من بيان مفهوم كل مكون من مكونات هذا المركب، وقد بينت الدراسة المقصود بالنظرية التربوية الإسلامية وسورة الأنعام، ثم تبين هنا مفهوم الأصل والعقيدة وما يتصل بهما، وبيان ذلك:

المطلب الأول : الأصل لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الأصل لغةً: أسفل الشيء¹ وأساسه الذي يقوم عليه، وأصول العلوم: قواعدها التي

تبنى عليها².

ثانياً: الأصل اصطلاحاً: هو القاعدة الكلية والدليل³، وهو مجموعة من القواعد والقوانين التي يبنى عليها العلم أو الموضوعات، وعند تطبيقها تعني الجودة في العمل المنفذ⁴، وأساس الحائظ أصله، واستأصل الشيء ثبت أصله وقوي ثم كثر، حتى قيل أصل كل شيء ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول، والجمع أصول، قال الكسائي: الأصل الحسي، والفصل النسب، وقال ابن الأعرابي: الأصل العقل⁵.

ويرى خطاطبة⁶ أن الأصل هو القوانين والقواعد التي يبنى عليها العلم والعمل، أو القضايا التي تبدأ منها علم من العلوم .

وعليه يمكن للباحث أن يصوغ التعريف التالي للأصل من خلال التعريفات السابقة:

فالأصل هو: مجموعة منظمة ومتناسقة من المبادئ والقواعد التي يستند إليها علم من

العلوم في جانبيه النظري والعملي، بحيث يبدأ منها ويبنى عليها .

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 134 ؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 960 .

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج 1، ص 20 .

³ الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عز عنان، د.م، دار الكتاب العربي، ط 1، 1419 هـ - 1999 م، ج 1، ص 17 .

⁴ ناصر، إبراهيم، أصول التربية والوعي الإنساني، عمان، مكتبة الرائد العلمية، ط 1، 1424 هـ - 2004 م، ص 7 .

⁵ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، لبنان، مكتبة لبنان، د.ط، 1987 م، ص 6 .

⁶ خطاطبة، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، ص 29 .

المطلب الثاني: العقيدة لغةً واصطلاحاً:

أولاً: العقيدة لغةً: من مادة عقد: العين، والقاف، والدال، أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق وإليه ترجع فروع الباب كلها¹، وعقد الحبل: نقيض الحل²، وعقد الحبل والبيع والعهد يعقده: شده³.

ثانياً: العقيدة اصطلاحاً: هي ما اتعقد عليه القلب، وصدق به واطمأن إليه وأصبح يقينياً عنده لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك . والاعتقاد بهذا المفهوم اللغوي العام قد يكون نتيجة لتوهم غير حقيقي، أو نتيجة لدليل صادق ومن ثم فإن العقيدة قد تكون صادقة وقد تكون عقيدة باطلة فاسدة⁴.

والاعتقاد هو: " الحكم الجازم القابل للتغير طابق الواقع أم لم يطابقه، فإن طابق الواقع فهذا اعتقاد صحيح وإن لم يطابقه فهو اعتقاد فاسد"⁵.

والعقيدة: ما يعتقد عليه الإنسان قلبه، عقداً جازماً ومحكماً لا يتطرق إليه شك⁶.

ثالثاً: مفهوم العقيدة الإسلامية:

ذكر العلماء العديد من التعريفات للعقيدة الإسلامية، منها:

العقيدة الإسلامية هي: أمور علمية يجب على المسلم أن يعتقد بها في قلبه لأن الله تعالى

أخبره بها بطريقة كتابه أو بطريقة وحيه إلى الرسول ﷺ¹.

¹ ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، ص 679 .

² ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 683 .

³ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 300 .

⁴ الجلي، العقيدة الإسلامية، ص 19 .

⁵ بناني، عبد الرحمن بن جاد الله، شرح جمع الجوامع من حاشية البناني، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، د. ط. د. ت، ج 1، ص 110 .

⁶ القاسم، خالد عبدالله ورفاقه، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، الرياض، جامعة الملك سعود، د. ط. 1427 هـ - 2007 م، ص 73 .

العقيدة الإسلامية: مجموع الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يصدق بها قلبه وتطمئن إليها نفسه وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب².

العقيدة الإسلامية: مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل، والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً³.

العقيدة الإسلامية هي: المباحث المتعلقة بالله سبحانه وتعالى من حيث وجوده، وربوبيته، وإلهيته، وأسمائه، وصفاته، والأنبياء ورسالاتهم، والكتب المنزلة، والسمعيات كالملائكة والقدر والحياة البرزخية والأخروية وأمثالها⁴.

تعليق الباحث على التعريفات السابقة للعقيدة الإسلامية:

أضف تعريف ملكاوي لتعريف الأشقر قضية مهمة وهي أن التصديق بأمر العقيدة يجب أن يكون جازماً لا يخالطه شك أو ريب، فإن خالطه ريب أو شك لم يصبح عقيدة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: 15).

¹ الأشقر، عمر سليمان، العقيدة في الله، الكويت، مكتبة الفلاح، ط 5، 1984 م، ص 9 - 10 .

² ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، الرياض، دار ابن تيمية، ط 2، 1412 هـ - 1992 م، ص 20 .

³ الجزائري، أبو بكر، عقيدة المؤمن، السعودية، مكتبة دار العلوم والحكم، 1994، ص 23 .

⁴ الزبيدي، عبد الرحمن بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر، الرياض، دار اشبيلية، ط 1، 1418 هـ -

1998 م، ص 16 .

وأشار تعريف أبي بكر الجزائري إلى قضية مهمة في العقيدة وهي قضية الإثبات والنفي، فلكي تصبح العقيدة صحيحة يجب أن تثبت في النفس والقلب والعقل فتصبح يقيناً لا يخالطه شك وهذا لا يكفي إذ لابد من نفي خلافها والاعتقاد أنه لا يكون أبداً .

ويلاحظ على تعريف الزبيدي تناوله لمفردات العقيدة الإسلامية ومباحثها حيث فصل في الموضوعات التي تشملها العقيدة .

وعليه يمكن للباحث استخلاص التعريف التالي للعقيدة الإسلامية على أنها: كل ما يتعلق بالخالق جل وعلا، وأسمائه، وصفاته، مما جاء عنه جل وعلا في كتابه الكريم، وما صح من سنة نبيه ﷺ من الأمور الغيبية التي لا تقع ضمن دائرة المحسوس والملموس مما يجب على الإنسان التسليم له وتصديقه تصديقاً جازماً لا يخالطه شك ولا ريب، معتقداً في الوقت نفسه ببطلان ما سواه وما خالفه، بحيث تظهر آثارها على جوارحه أعمالاً وأقوالاً وإرادة.

ومصطلح عقيدة إسلامية بالمفهوم الذي ورد سابقاً، لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، ورغم ذلك فقد شاع استخدامه لا سيما في العصور المتأخرة للدلالة على الأبحاث المتعلقة بأركان الإيمان . وألفت الكتب التي تحمل اسم العقيدة وتتضمن البحث في تلك القضايا الإيمانية، من ذلك " العقيدة الطحاوية " للإمام أبي جعفر الطحاوي (ت 321 هـ) . " والعقيدة النظامية " لإمام الحرمين الجويني، (ت 478 هـ)، " والاقتصاد في الاعتقاد"، وقواعد العقائد" لأبي حامد الغزالي، (ت 505 هـ) " وشرح العقيدة الأصفهانية، والعقيدة الواسطية، والعقيدة التتمرية" لابن تيمية (ت 728 هـ)¹.

¹ الجلي، العقيدة الإسلامية، ص 21 .

ويرى علي الصلابي¹ أن أول من تم الوقوف على ذكره (مصطلح العقيدة) هو القشيري سنة (437) في كتاب الرسالة، وهي كلمة مولودة لم تكون في الصدر الأول، وقد استعمل القرآن الكريم والسنة النبوية مصطلح (الإيمان) للدلالة على ذلك .

مفهوم الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام:

وعليه وبعد بيان مفردات المركب: (الأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام) يمكن للباحث صياغة التعريف التالي للأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام على أنه: مجموعة المبادئ والقواعد العقدية المنظمة والمتناسقة والمستخلصة من سورة الأنعام، والتي تبنى عليها النظرية التربوية الإسلامية وتنتقل منها مبادئها وأفكارها وعلومها النظرية والعملية المختلفة .

المبحث الثاني: التوحيد في سورة الأنعام:

استعمل علماء الأمة مصطلحات عديدة لتسمية العقيدة الإسلامية منها علم التوحيد، وسمي بهذا الاسم لأن أشهر مباحثه وأهمها مبحث التوحيد².

التوحيد في الاصطلاح: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات³.

والتوحيد: هو إفراد الله بالوجود الأزلي وإفراده باستحقاق الربوبية والألوهية وحده لا شريك له أي أن الله تعالى منفرد بالوحدانية في ذاته وأفعاله ولا يشاركه فيها أحد سواه، ليس له

¹ الصلابي، علي، الوسطية في القرآن الكريم، لبنان، المكتبة العصرية، 2006 م، ص 160 .

² الخطيب، محمد أحمد، أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، عمان، دار المسيرة، ط1، 2011 م - 1432 هـ، ص 21 .

³ العثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، الرياض، دار ابن الجوزي، ط1، 1418 هـ - 1997 م، ج 1، ص 11 .

مثيل ولا نظير تعالى عن صاحبة والولد¹، قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ

(2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) ﴾ (الإخلاص: 1 - 4) .

والوحدانية نادى بها جميع الأنبياء والمرسلين دون استثناء، وتقبلها العقول ببداهة، وإذا

استقرأنا ما توهمه الناس شريكاً لله في ألوهيته لم نجد أحداً من هؤلاء الشركاء المزعومين يقبل

به العقل ليكون في هذا الوجود شريكاً لله في وحدانيته².

أنواع التوحيد:

ذكر صالح بن فوزان³ ثلاثة أنواع للتوحيد هي:

1. توحيد الربوبية: وهذا في الغالب لم ينكره أحد .

2. توحيد الألوهية: وهذا أنكره أكثر الخلق، ولم يثبتته إلا أتباع الرسل - عليهم الصلاة

والسلام - كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: 116)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا

أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (يوسف: 103)، وقال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ

بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: 106) .

¹ الخطيب، المرجع نفسه، ص 111 .

² الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، الاسكندرية، دار الدعوة، دط، 1988 م، ص 62 .

³ فوزان، صالح بن فوزان، إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1423 هـ - 2002 م، ج 1، ص 23 .

ما أثبت توحيد الألوهية إلا أتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وهم المؤمنون من

كل أمة، هم الذين أثبتوا توحيد الألوهية، ونأى عن الإقرار به المشركون في كل زمان

ومكان.

3. والثالث: أثبتته أهل السنة والجماعة، فأثبتوا الأسماء والصفات، وحرفها وأولها الجهمية

والمعتزلة، والأشاعرة، ومشتقاتهم من سائر الطوائف التي سارت في ركابهم فهؤلاء منهم

من نفاها كلها، ومنهم من نفى بعضها وأثبت بعضها .

ويرى كذلك صاحب كتاب شرح العقيدة الطحاوية¹ أن التوحيد يتضمن ثلاث أنواع

أحدهما: الكلام في الصفات والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء .

والثالث: توحيد الألوهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له .

وتوحيد الألوهية فيتضمنه توحيد الربوبية دون العكس . فمن لا يقدر على أن يخلق يكون

عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً . قال تعالى: ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَهُمْ

يُخَلِّقُونَ ﴾ (الأعراف: 191)، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَمْ يَخْلُقْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

(النحل: 17) وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَيَّ ذِي

الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء: 42).

والتوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به نوعان: توحيد في الإثبات والمعرفة،

وتوحيد في الطلب والقصد .

¹ الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 9، 1407 هـ - 1988 م، ص 78 ؛ وابن قيم الجوزية، محمد، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1421 هـ - 2001 م، ج 1، ص 107.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في

ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله ﷺ . وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل

الإفصاح كما في أول (الحديد) و (طه) وآخر (الحشر) وأول (ألم تنزيل السجدة) وأول

(آل عمران) وسورة الإخلاص بكاملها وغير ذلك . والثاني هو توحيد الطلب والقصد مثل ما

تضمنته سورة (قل يا أيها الكافرون)، و﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 64) وأول سورة (تنزيل الكتاب)

وأخرها وأول سورة (يونس) وأوسطها وآخرها وأول سورة (الأعراف) وآخرها، وجملة

سورة الأنعام¹.

والناظر في آيات وسور القرآن الكريم نظرة عمق يجد أن القرآن الكريم كله كتاب

توحيد "فإن كل آية في القرآن الكريم هي متضمنة للتوحيد شاهدة له داعية إليه، فإن القرآن

الكريم: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العملي الخبري، وإما دعوة إلى

عبادة الله وحده. لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي وإما أمر

ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهو حق من حقوق التوحيد ومكملته وإما خبر عن أهل

الشرك وما فعل بهم في الدنيا وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو خبر عن خرج عن حكم

التوحيد، فإن القرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم² .

¹ الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 89 .

² ابن قيم الجوزية، مدارك السالكين، ج 3، ص 417 .

وقد اشتملت سورة الأنعام على مفردات التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات وما يتعلّق بها مما يتصل بعالم الغيب، وميادينه، والقدر وسنن الله تعالى ومصير الإنسان، والإيمان بالرسول والكتب والإهداء بها وعالم الملائكة والجن وعلاقتهم بالإنسان مما يشكل في مضمونه ومجموعه أصولاً عقائدية للنظرية التربوية التي تشتمل عليها سورة الأنعام، وبيان ذلك:

المطلب الأول: توحيد الله في ربوبيته:

الرب في اللغة: المالك والصاحب والسيد المطاع والمصلح للشيء المدبر له¹.

وأما الرب في الاصطلاح: فهو (إفراد الله تعالى بالخلق والحكم) فالخلق أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، وفي إيجاد الشيء من شيء، وإفراده بالحكم يعني: أن الله هو الذي يحكم في خلقه ما يشاء، فيتضمن الحكم نفعهم وضرهم، وتدبير أمورهم، ورزقهم².

وتوحيد الربوبية: هو الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك أو ريب أن الله سبحانه وتعالى هو وحده الخالق لكل ما في الكون والمتصرف فيه بكل أنواع التصرف من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال... وغيرها من أنواع التصرف وأن كل ما سواه جل وعلا مخلوق محتاج إليه .

ذكرت ذلك سورة الأنعام في كثير من المواضع، منها:

¹ محمد نور، خالد بن عبد اللطيف، منهج أهل السنة والجماعة، السعودية، مكتبة الفيضيات الأثرية، دحل 1415 هـ - 1995 م، ج1، ص

215 - 216 .

² محمد نور، منهج أهل السنة والجماعة، ص 229 - 230 .

1. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ

مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)﴾ (الأنعام: 1-2) .

فقد مدح الله نفسه وحمدها على خلقه السموات والأرض قراراً لعباده وجعل

الظلمات والنور منفعة لهم في ليلهم ونهارهم¹.

ففي ذلك إشارة إلى أعظم قضايا الربوبية وهي خلق السموات والأرض، ومع

وضوح ذلك وقيام الأدلة الفعلية عليه إلا أن الذين كفروا ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ أي

يسوون به غيره في ربوبيته وخلقهم جل وعلا .

" والعجيب عام في أحوال الذين ادعوا الإلهية لغير الله تعالى سواء منهم من

كان أهلاً للاشتراك والنظر في خلق السموات والأرض ومن لم يكن أهلاً لذلك، لأن

محل التعجب أن بخلقهم وبخلق معبوداتهم فلا يهتدون إليه بل ويختلفون آلهة غيره

ومعلوم أن التعجب من شأنهم متفاوت على حسب تفاوت كفرهم وضلالتهم².

وقيل: "خلق الليل والنهار لمصالح العباد، يستريحون بالليل ويبحثون عن

معاشهم بالنهار"³.

ثم توضح الآيات طبيعة خلق الإنسان لإقامة الحجة عليه وبيان ضعفه، أما قدرة

الخالق جل وعلا "هو الذي خلقكم من طين" فالإشارة إلى "الطين" في الخلق لتأكيد الخلق

من الخالق وقدرته على جعل الطين إنساناً ذا عقل وفكر وبصيرة .

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، د. م، دار الخير، ط 1، 1410هـ - 1990 م، ج 2، ص 139 .

² ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 6، ص 12.

³ الطبراني، التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 6 .

قوله: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾¹ معناه خلقكم من آدم عليه السلام فأخرج الخطاب

له، لأنهم ولده .

ومن مظاهر توحيد الربوبية: الإعزاز والإذلال، والإنشاء والإهلاك، وهذا من سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه، حيث يستدرج الله خلقه بالمال والأولاد والملذات والاستعلاء بالأرض ويمد لهم من ذلك ليختبرهم فإن أطاعوا نجحوا وفازوا، وإن عصوا خسروا وخابوا وأهلكهم الله واستبدلهم بقوم آخرين قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام: 6)

2. قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: 12) .

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض ومن فيها² فقد أمر الله سبحانه وتعالى محمداً عليه السلام بقطعهم بهذه الحجة الساطعة والبرهان القطعي الذي لا مدافعة فيه عندهم ولا عند أحد، ليعتقد هذا المعتقد الذي بينه وبينهم ثم يتركب احتجاجاً عليه جاء

¹ الطبراني، التفسير الكبير، ج 3، ص 7 .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ج2، ص 141 .

بلفظ استفهام وتقرير في قوله ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ثم سبقهم فقال ﴿ لِلَّهِ ﴾ أي لا مدافعة في هذا عندكم ولا عند أحد¹ .

3. قوله تعالى: ﴿ وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الأنعام: 13) .

أي كل دابة في السموات والأرض الجميع عباده وخلقها وتحت قهره وتصرفه وتدبيره ولا إله إلا هو² والمقصود في الآية عموم كل شيء وذلك لا يترتب إلا أن يكون (سكن) بمعنى استقر وثبت³ .

4. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَيَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: 14) .

أخرج البيهقي⁴ عن ابن عباس رضي الله عنه: ما عرفت ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدعتها . وفطر معناه: ابتدع وخلق وأنشأ⁵ .

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ وهو يرزق ولا يرزق أي أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز غلق الانتفاع¹ كقوله: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

¹ ابن عطية، أي محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، ج2، ص 384 .

² ابن كثير النمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 141 .

³ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص 384 .

⁴ البيهقي، شعب الإيمان، كتاب طلب العلم، ج2، ص 258، حديث رقم 1682 .

⁵ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص 385 .

يُطْعَمُونَ» (الذاريات: 57). فهو الرزق لخلقه من غير احتياج إليهم². وخص

الإطعام من أنواع الرزق لمس الحاجة إليه وشهرته واختصاصه بالإنسان³.

5. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ

بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: 11).

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلايا فلا

قادر على كشفه إلا هو ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من غنى وصحة ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكان قادراً على إدامته أو إزالته⁴.

ونكر إمساس الضر وإمساس الخير إلا أنه غير الأول عن الثاني بوجهين:

الأول أنه تعالى قدم نكر إمساس الضر على إمساس الخير وذلك تنبيه على أن جميع

المضار لا بد وأن يحصل عقبها الخير والسلام، والثاني أنه قال في إمساس الضر ﴿فَلَا

كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ ونكر في إمساس الخير ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فنكر في

الخير كونه قادراً على جميع الأشياء وذلك يدل على أن إرادة الله سبحانه وتعالى

لإيصال الخيرات غالبية على إرادته لإيصال المضار، وهذه الشبهات بأسرها دالة على

أن إرادة الله تعالى جانب الرحمة غالب كما قال (سبقت رحمتي غضبي)⁵.

¹ الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 321 .

² ابن كثير النمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 142 .

³ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص 386

⁴ الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 322 .

⁵ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1421 هـ - 2000 م، ج12، ص 142.

6. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنَا كُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ

تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ

شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) ﴾ (الأنعام: 40 - 41) .

خبر الله تعالى أنه الفعال لما يريد، المتصرف في خلقه بما يشاء، وأنه لا معقب

لحكمه، ولا يقدر أحد على صرف حكمه عن خلقه، بل هو وحده لا شريك له الذي إذا

سئل يجيب لمن شاء¹ بمعنى: أخبروني إن أتاكم عذاب الله أو أنتكم الساعة، من تدعون؟

ثم يكتبهم بقوله ﴿ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ ﴾ بمعنى: (تخلصون آلهتكم بالدعوة فيما هو

عادتكم إذا أصابكم ضرر أم تدعون الله دونها ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ ﴾ بل تخلصونه بالدعاء

دون الآلهة ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ ﴾ أي ما تدعونه إلى كشفه ﴿ إِنْ شَاءَ ﴾ إن

أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة ﴿ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ وتتركون آلهتكم أو

لا تذكرونها في ذلك الوقت لأن أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو

القادر على كشف الضر دون غيره².

7. ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ

مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام: 59)

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 149 .

² الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 327 .

فقد جعل للغيب مفاتيح على طرق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالإغلاق والأقفال، ومن علم مفاتيحها وكيف تفتح توصل إليه، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره¹، روى البخاري² عن ابن شهاب عن سلام بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: "مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}" .

قال ابن عاشور³: « وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ » عطف على جملة « وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِالظَّالِمِينَ » (الأنعام: 58) . على طريقة التخلص، والمناسبة في هذا التخلص هي الإخبار بأن الله أعلم بحالة الظالمين، فإنها غائبة عن عيان الناس، فإله أعلم بما يناسب حالهم من تعجيل الوعيد أو تأخيرها، وهذا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب، وسعة علمه ثم سعة قدرته وأن الخلق في قبضة قدرته، وتقديم الطرف لإفادة الاختصاص، أي عنده لا عند غيره، والعندية عندية علم واستئثار، وليست عندية مكان. والغيب ما غاب على علم الناس بحيث لا سبيل لهم إلى علمه، وذلك يشمل الأعيان كالملائكة والجن، والأعراض الخفية، ومواقيت الأشياء .

¹ الزمخشري، الكشاف، ص 331 .

² البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط 1، 1407 هـ - 1987 م، كتاب بدء الوحي، باب: وعنده مفاتيح الغيب، ج 6، ص 71، حديث رقم: 4627، وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 135 .

ومفاتيح الغيب جمع مضاف يعم كل المغيبات لأن علمها كلها خاص به تعالى

وجملة «وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ» لزيادة التعميم في الجزئيات الدقيقة، وقوله «فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ»: أي العلم الثابت الذي لا يتغير¹.

8. «إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ

الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (95) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ

يَعْلَمُونَ (97) (الأنعام: 95 - 97).

يخبر تعالى أنه فالق الحب والنوى أي شقه في الثرى، فينبت منه الزروع على

اختلاف اصنافها، وفسر قوله تعالى «فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى» بقوله «يُخْرِجُ الْحَيَّ

مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» أي يخرج النبات الحي من الحب والنوى

الذي هو كالجناد الميت ثم عطف عليه قوله «وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» كإخراج

الدجاجة من البيضة وعكسه، أو الولد الصالح من الفاجر وعكسه، وغير ذلك، وقالق

الإصباح أي خالق الضياء والظلام².

9. «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ

¹ ابن عاشور، التحرير والتلويز، ج6، ص 135 .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 177 .

شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
 ذَاتِيَّةٌ وَجَنَازٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى
 ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) ﴿

الأنعام: 98 - 99) .

من نفس واحدة: يعني آدم: أي في الأرحام، ومستودع: أي الأصلاب وقيل:
 مستقر في الدنيا ومستودع حيث يموت . إن في ذلك لآيات: أي دلالات على كمال قدرة
 خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته، ﴿ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: يصدقون به ويتبعون
 رسله¹.

10. ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
 أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا
 حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) وَمِنَ الْأَنْعَامِ
 حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُّبِينٌ (142) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ
 أُمَّ الثَّلَاثَيْنِ أَمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الثَّلَاثِينَ كَبُورِي بَعْلَمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلُ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الثَّلَاثِينَ أَمَّا
 اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الثَّلَاثِينَ أُمَّ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 178 .

مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَأَ يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ (144) ﴿ (الأنعام: 141 - 144) .

يقول الخالق تعالى مبيناً أنه الخالق لكل شيء من الزروع والثمار والأنعام التي يتصرف

فيها هؤلاء المشركون بأرائهم الفاسدة وقسموها وجزؤوها فجعلوا منها حراماً وحلالاً¹.

المطلب الثاني: توحيد الألوهية:

الألوهية مصدر (أله يألوه)، أي عبد عبادة ومنه قولنا (الله)، وأصله (إله) بمعنى

مفعول أي (معبود)، وعليه فإن الألوهية صفة لله تعالى تعني: استحقاقه جل وعلا للعبادة².

وعليه فقد عرّف توحيد الألوهية بأنه: إفراد الرب تبارك وتعالى باستحقاقه الألوهية

وحده، وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له³. ويعرف أيضاً بأنه: إفراد الله تعالى وحده بالعبادة

كلها⁴، وهو توحيد الألوهية باعتبار إضافته إلى الله، وتوحيد العبادة باعتبار إضافته إلى الخلق⁵،

وهو إفراد الله سبحانه وتعالى واختصاصه بالعبادة والخضوع والذل، والافتقار والإقبال والتوجه

إليه سبحانه وتعالى دون غيره⁶.

ويعرف الباحث توحيد الألوهية على أنه: الاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك أو ريب

بأن الله وحده هو المستحق بكل أنواع العبادة والطاعة وصورها الظاهرة والباطنة . وهذا النوع

يتضمن أنواع التوحيد الأخرى (الربوبية، والأسماء والصفات) فإن توحيد العبد لله في ربوبيته

لا يعني أنه يوحد في ألوهيته، فقد يقر بالربوبية ولا يقر بالألوهية لله عز وجل، وكذلك توحيد

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 203 .

² محمد نور، منهج أهل السنة والجماعة، ج1، ص 54 - 55 .

³ مجموعة من المؤلفين، العقيدة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة، ص 113 .

⁴ القيسي، مروان، معالم التوحيد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1410 هـ - 1990 م، ص 61 .

⁵ العثيمين، القول المفيد، ج 1، ص 9 .

⁶ السفاريني، محمد بن أحمد، لوائح الأنوار السنية ولوائح الأفكار السنية، تحقيق: عبدالله البصري، الرياض، مكتبة الرشيد، ط1، 1415

هـ - 1994 م، ج 1، ص 157 .

الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى بينما العبد الذي يوحد الله في ألوهيته يقر بأنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة وأن غيره لا يستحقها ولا يستحق شيئاً منها يقر في الواقع بأن الله رب كل شيء وهو رب العالمين وبأن له الأسماء والصفات لأن الإخلاص في العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص¹.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: 30).

وقد أشارت العديد من الآيات في سورة الأنعام إلى مفردات توحيد الألوهية فمن ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام: 3) . أي أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغباً ورهباً إلا من كفر من الجن والإنس².

وقيل: هو المعبود فيها، أو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم³ .

قال النحاس⁴: فالمعنى على هذا هو المعبود في السموات وفي الأرض، ويجوز أن يكون المعنى وهو الله المنفرد بالتأليه في السموات وفي الأرض.

¹ الخطيب، محمد أحمد، والهزايمة، محمد عوض، دراسات في العقيدة الإسلامية، عمان، دار عمار، ط1، 1410 هـ - 1990م، ص 71 - 72

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 139 .

³ الزمخشري، الكشاف، ص 319 .

⁴ النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة، جامعة أم القرى، ط1، 1409 هـ - 1988 م، ج2، ص 399 .

2. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا

يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام:

14) .

لما دعوه إلى عبادة الأصنام دين آبائه أنزل الله تعالى " قل " يا محمد ﴿ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ

وَلِيًّا ﴾ أي رباً ومعبوداً وناصراً دون الله¹ . فيصبح المعنى: أولياً غير الله همزة الاستفهام دون

الفعل الذي هو (اتخذ) لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي، فكان أولى

بالتقديم² . وقيل الولي: بمعنى الناصر كما هو أحد معانيه المشهورة، ويعلم من إنكار اتخاذ غير

الله ناصرأ أنه لا يتخذه معبوداً من باب الأولى³.

3. قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ

أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي

وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ

الْفَاصِلِينَ ﴾ (57) (الأنعام: 56 - 57) .

أي: صرفت وزجرت بما رُكِبَ في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما

تعبدون ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ و ﴿ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ﴾ إني من معرفة ربي

وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق⁴ .

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص 397 .

² الزمخشري، الكشاف، ص 321 .

³ الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط،

1415 هـ - 1994 م، ج 4، ص 103 .

⁴ الزمخشري، الكشاف، ص 330 .

قال القرطبي: ¹ قيل: " تدعون " بمعنى تعبدون . وقيل: تدعونهم في مهمات أموركم على جهة العبادة: أراد بذلك الأصنام .

4. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَكُرِّدُ عَلَيَّ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ابْتِغَاءَ قُلُوبِ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام: 71) .

هذا تنبيه من الله - تعالى ذكره - لنبيه ﷺ على حجته على مشركي قومه من عبدة الأوثان، يقول له - تعالى ذكره - : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد والأقربين لك باتباع دينهم وعبادة الأصنام منهم: أَدْعُو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضررنا، فنخصه بالعبادة دون الله، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت إن كنتم تعقلون أي: تميزون بين الخير والشر ² .

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ .. ﴾ أعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام وهي مؤكدة لقوله تعالى قبل ذلك: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ فقال: ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾: أي أعبد من دون الله النافع الضار ما لا يقدر على نفعنا ولا على ضررنا، ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام ³ .

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج6، ص 437 .

² الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، ج11، ص 450 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج13، ص 25 .

قال ابن عطية¹: والدعاء بـ اسم العبادة وغيرها لأن من جعل شيئاً موضع دعائه فإياه يعبد وعليه يتكل .

5. قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام: 74) .

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر يا محمد الحجاج الذي تحاج به قومك وخصومك إياهم في آلهتهم وما تراجعهم فيها، مما نلقيه إليك ونعلمك من البرهان والدلالة على بطلان ما عليه قومك مقيمون، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين وحقية ما أنت عليه محتج، حجاج إبراهيم خليلي قومه، ومراجعته إياهم، في باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان، وانقطاعه إلى الله والرضا به والياً وناصرأ دون الأصنام، فاتخذة إماماً واقتر به، واجعل سيرته في قومك لنفسك مثالا² .

قال ابن عاشور³: وفي فعل " تتخذ " إشعار بأن ذلك شيء مصطنع مفتعل، وأن الأصنام ليست أهلاً للإلهية، وفي ذلك تعريض لسخافة عقله أن يجعل إلهه شيئاً هو يصنعه . وقد تضمن ما حكى من كلام إبراهيم لأبيه أنه أنكر عليه شيئين: أحدهما جعله الصوز آلهة مع أنها ظاهرة الانحطاط عن صفة الإلهية، وثانيهما: تعدد الآلهة ولذلك جعل مفعولاً " تتخذ " جمعين، ولم يقل أتتخذ الصنم إلهاً .

6. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (الأنعام: 100) .

¹ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص 426 .

² الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 465 .

³ ابن عاشور، التمرير والتنوير، ج6، ص 169 .

هذا رد على المشركين، الذين عبدوا مع الله غيره، وأشركوا في عبادته، أن عبدوا الجن، فجعلوهم شركاء له في العبادة، تعالى الله عن شركهم وكفرهم، فإن قيل: فيكيف عبدوا الجن، مع أنهم إنما كانوا يعبدون الأصنام، فالجواب: أنهم ما عبدوها، إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك، **﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ﴾** أي وقد خلقهم، فهو الخالق وحده لا شريك له، فيكيف يُعبد معه غيره¹.

قال الطبري²: فتأويل الكلام: وجعلوا لله الجن وشركاء في عبادتهم إياه وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ولا معين ولا ظهير، وتخرصوا لله كذباً فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة ما يقولون، ولكن جهلاً بالله وبعظمته، وأنه لا ينبغي لمن كان إلهاً أن يكون له بنون وبنات ولا صاحبة ولا أن يشركه في خلقه شريك .

وهذا انتقال إلى ذكر شرك آخر من شرك العرب وهو جعلهم الجن شركاء لله في عبادتهم كما جعلوا الأصنام شركاء له في ذلك وقد كان دين العرب في الجاهلية خليط من عبادة الأصنام ومن الصابئة عبادة الكواكب وعبادة الشياطين، ومجوسية الفرس، وأشياء من اليهودية، والنصرانية، فإن العرب لجهلهم حينئذ كانوا يتلقون من الأمم المجاورة لهم والتي يرحلون إليها عقائد شتى، فيأخذون دون تمحيص، فالعرب كان أصل دينهم في الجاهلية عبادة الأصنام، وسرت إليهم معها عقائد من اعتقاد سلطة الجن والشياطين ونحو ذلك، فكان العرب يثبتون الجن وينسبون إليهم تصرفات، فلأجل ذلك كانوا ينفون الجن وينتسبون إليها ويتخذون لها المعازات، والرقى، ويستجلبون رضاها بالقرابين، وترك تسمية الله على بعض الذبائح³.

¹ ابن كثير المشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 89.

² الطبري، جامع البيان، ج11، ص 7 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 243 .

7. قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام: 102) .

أي أن الله هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه¹ .

قال الرازي²: اعلم أنه تعالى لما أقام الحجة على وجود الإله القادر المختار الحكيم الرحيم وبين فساد قول من ذهب إلى الإشراك بالله، وفصل مذاهبهم على أحسن الوجوه وبين فساد كل منها بالدلائل اللائقة به، ثم حكم من أثبت لله البنين والبنات، وبين بالدلائل القاطعة فساد القول بها، فعند هذا ثبت أن إله العالم فرد واحد صمد، منتزه عن الشريك والنظير وال ضد والند، ومنتزه عن الأولاد، والبنين والبنات، فعند هذا صدح بالنتيجة فقال: "ذلكم الله ربكم" لا إله إلا هو خالق كل ما سواه فاعبدوه ولا تعبدوا غيره أحد .

8. قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (163) (الأنعام:

162 - 163) .

حاصل ما تتضمن هذه الآيات هو الإخلاص لله في العبادة وهو متفرع عن التوحيد ولذلك قيل

الرياء الشرك الأصغر³ .

قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يدل على

أن يؤديه مع الإخلاص وأكده بقوله ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾، وهذا يدل على أنه لا يكفي في العبادات أن

¹ الزمخشري، الكشاف، ص 340 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج13، ص 94 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 149 .

يؤتى بها كيف كانت بل يجب أن تؤتى بها مع تمام الإخلاص وهذا أقوى الدلائل على أن شروط الصلاة أن تأتي بها مقرونة بالإخلاص¹.

قال ابن كثير²: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى ويذبحون لغير اسمه أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله، ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (الكوثر: 2)، أي أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

المطلب الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال ومنتزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد بهذا عن جميع الكائنات وذلك بإثبات ما أثبتته سبحانه وتعالى لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله جل جلاله ولا تكييفها بتحديد كنهها، وإثبات كيفية معينة لها ولا تشبيهها بصفات المخلوقين³.

فتوحيد الأسماء والصفات هو أن تعتقد أن لله أسماء وصفات وأنه واحد في أسمائه وصفاته لا يشاركه فيها أحد ولا يشارك فيها أحد، وأنه نزه سبحانه بأسمائه وصفاته ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11)، وأنه رغم ثبوت الأسماء والصفات له، فإنه

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 10 .

² ابن كثير التمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص 222.

³ الجلي، العقيدة الإسلامية، ص 157 .

مخالف لغيره فيها، منزّه عن المشابهة والمماثلة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾ (الإخلاص: 1 - 4)، وأنه سبحانه يدعى

بها ويعرف بها ويعبد على ضوء معانيها¹.

وقد بينت العديد من آيات سورة الأنعام بعض أسماء الله تعالى وصفاته، فمن ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ

ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: 1).

2. قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 12).

قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة².

3. قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: 13).

4. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا

يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (

الأنعام: 14).

¹ الخطيب، أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص 151.

² الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 273.

قال السيوطي¹: يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ: يُرْزَقُ وَلَا يُرْزَقُ . وقال الطبري²: ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾

﴿ وَهُوَ يُرْزَقُ خَلْقَهُ وَلَا يُرْزَقُ .

5. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ

فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: 17) .

فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ والله الذي أصابك بذلك فهو على كل شيء قدير، هو القادر

على نفعك وضرك وهو على كل شيء يريد قادر، لا يعجزه شيء يريد ولا يمتنع منه شيء طلبه،

ليس كالألوهة الذليلة المهينة، التي لا تقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها، ولا دفع ضرر

عنها ولا غيرها³.

قال الزمخشري⁴: في قوله تعالى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي قادر على إدامته،

أو إزالته.

6. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: 18) .

يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَهُوَ﴾ نفسه، يقول: والله القاهر فوق عباده، ويعني بقوله

﴿الْقَاهِرُ﴾ المُنْزَلُ المستعبد خلقه العالی عليهم . وإنما قال ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾، لأنه وصف نفسه

تعالى بجهرة إياهم، ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه، فمعنى الكلام إذن: والله غالب

عباده، المنزل لهم، العالی عليهم بتذليله لهم وخلقهم إياهم، فهو فوقهم بجهرة إياهم وهم دونه.

¹ السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصر، دار هجر، د.ط، 1424 هـ - 2003 م، ج6، ص 27 .

² الطبري، جامع البيان، ج11، ص 282 .

³ الطبري، جامع البيان، ج11، ص 287 .

⁴ الزمخشري، الكشاف، ص 322 .

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾: في علوه على عباده وقهره إياهم بقدرته وفي سائر تدبيره، الخبير

بمصالح الأشياء ومضارها¹.

7. قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ

عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ

فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام: 54).

8. قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ

الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام: 57).

﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾: أي إنما يرجع أمر ذلك إلى الله، إن شاء عجل لكم ما سألتموه من

ذلك، وإن شاء أنظركم، لما في ذلك من الحكمة العظيمة، ولهذا قال ﴿ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ

الْفَاصِلِينَ ﴾ أي وهو خير من فصل في القضايا، وخير الفاتحين في الحكم بين عباده².

قال لطبري³: ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ أي: وهو خير من بيّن وميّر بين المحق والمبطل

وأعدلهم.

9. قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ

وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام: 59). جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن

¹ الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 287.

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 153.

³ الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 397.

المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن الموثوق منها بالإغلاق والأقفال، ومن علم مفاتيحها

وكيف تفتح توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده، لا يتوصل إليها غيره¹.

10. قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَبْلُؤَاهُمْ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ

الْحَاسِبِينَ ﴾ (الأنعام: 62) . قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ معناه: لا حكم إلا لله، ويتأكد

ذلك بقوله: ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾² . وقدم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ لَهُ الْحُكْمُ

﴾ للإختصاص، أي له لا لغيره . فإن كان المراد من الحكم جنس الحكم مقتصرة على الله،

إما حقيقي بالمبالغة بعدم الاعتداد بحكم غيره . وإما إضافي للرد على المشركين، أي ليس

لأصنامكم حكم معه، وإن كان المراد من الحكم الحساب، أي الحكم المعهود يوم القيامة،

فالقصر حقيقي وربما نرجح هذا الاحتمال لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾، أي ألا

له الحساب وهو أسرع من يحاسب فلا يؤخر جزاؤه³.

المبحث الثالث: الغيب في سورة الأنعام:

تمهيد:

مما يرتبط بتوحيد الله سبحانه وتعالى، والإيمان به الإيمان بكل ما جاء عن الله سبحانه

وتعالى، وخاصة فيما لا يقع تحت حس الإنسان وتجربته ولا يدركه إلا بعقله، ومنه عالم

الغيب وميدانيه، ولبيان ذلك لا بد من بيان مفهوم الغيب وأقسامه .

¹ الومخشري، الكشاف، ص 330 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج13 ص 17

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 141 .

المطلب الأول: مفهوم الغيب:

الغيب: في كلام العرب كل ما غاب عنك، وهو من ذوات الياء، يقال منه غابت الشمس تغيب، والغيبه معروفة، وأغابت المرأة فهي مغيبة إذا غاب عنها زوجها، والغيابة: الأجمة، وهي جماع الشجر يغاب فيها، ويسمى المطمئن من الأرض: الغيب، لأنه غاب عن البصر¹.

والغيب موجود وراء محسوس² وهو كل غائب عن مجال إدراكنا الحسي حسب العادة، ويلاحظ في النصوص القرآنية أن الله تعالى يقدم الغيب على الشهادة، والحكمة في ذلك أن الأمور المغيبة عنا لا تنتهي سعة ومدى، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 85) .

والغيب لا تستطيع عقولنا وهي مستقلة أن تدرك شيئاً من الأشياء الداخلة فيه، لذا علينا أن نعلم حقاً أن عقولنا مفتقرة في إدراك الأشياء الداخلة في عالم الغيب إلى معلومات خارجة عنها، نظراً لما علمنا من أن عقولنا بشكل مستقل لا تستطيع أن تتصور، أو تتخيل، أو تحلل وتركب إلا في حدود الأشياء التي جاءت عن طريق الحس، وعالم الغيب لم يتصل بنا بشيء من طريق الحواس التي يشعر بها كل الناس، فلا تستقل عقولنا بإدراك شيء منه . وهذه المعلومات عن الغيب - الخارجة عن مجال تصورات العقل - لا يتأتى العلم بها إلا عن طريق من هو داخل في عالم الغيب أو متصل به، وهذا مما لا شك فيه ينطبق على الأنبياء والرسل بعد

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 163.

² رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1410 هـ - 1990 م، ج1، ص 108.

أن تأكد لنا صدق خبره، وعليه فإن الوحي هو الطريق الوحيد لتعريفنا بحقائق الأشياء الداخلة في عالم الغيب¹.

إذن فالغيب هو كل ما يغيب عن الإنسان ولم يشهده بما لا يقع تحت الحواس، أي هو كل مستور عن حواسنا ولا تقتضيه بداية التفكير².

والغيب شيء، والإيمان به شيء آخر، فالإيمان بالغيب هو التصديق الجازم الذي لا يخالطه شك أو ريب بحقيقة وجود الله تعالى وبكل الغيب الذي أخبر به في كتابه وسنة نبيه ﷺ، والإيمان بالغيب يدل على سلامة الفطرة ونقاؤها وقوة العقل ونور البصيرة، وهو من أعلى درجات الإيمان، لذلك امتدح الله المؤمنين به بقوله: ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾ (البقرة: 1 - 3).

المطلب الثاني: ذكر الغيب في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام إلى الغيب وميادينه إما بطريقة مباشرة بذكر الغيب صراحة أو ضمناً، وذلك عند الحديث عن سعة وإطلاق علم الله سبحانه وتعالى وأنه عالم بالغيب والشهادة وعالم بالسر والعلن وعلم بكل شيء أو عند الحديث عن بعض موضوعات وأقسام وميادين الغيب، ومن ذلك:

¹ الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 25.

² الزين، سمير عاطف، علم النفس: معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة مجمع البيان الحديث، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، ج 2، ص 8.

1. قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾

(الأنعام: 2)، قال الطبري¹: قوله ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ قال: خلق آدم من طين، ثم

خلفنا من آدم حين أخذنا من ظهره، وقوله ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ثم

قضى لكم أيها الناس ﴿ أَجَلًا ﴾ وذلك ما بين أن يخلق إلى أن يموت، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

عِنْدَهُ ﴾ وذلك ما بين أن يموت إلى أن يبعث .

قال القرطبي²: قال الضحاك ﴿ أَجَلًا ﴾ في الموت ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ أجل

القيامة، فالمعنى على هذا: حكم أجلاً وأعلمكم أنكم تقيمون إلى الموت ولم يعلمكم بأجل القيامة.

وقيل الأجل الأول: ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث، وهو

البرزخ، وقيل الأول: النوم، والثاني: الموت³.

2. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ

وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام: 3)، أي أنه الذي له الألوهية التي لا تتبغى لغيره،

والمستحق عليكم إخلاص الحمد له بألائه عنديكم؛ أيها الناس، الذي يعدل به كفاركم من

سواه هو الله الذي هو في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، فلا يخفى عليه

شيء⁴.

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 150 ،

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 388 .

³ الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 319 .

⁴ الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 361 .

قال ابن كثير¹: أن المراد أن الله الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض من سر وجهر . فيكون قوله « يَعْلَمُ » متعلقاً بقوله « فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ » تقديره: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون، أي: جميع أعمالكم خيراً وشرها .

المقصود من هذه الآية بيان كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات، وهذه الآية تدل على كمال العلم وعليه يكون المعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم في السماوات سرائر الملائكة، وفي الأرض يعلم سرائر الإنس والجن².

قال الشعراوي³: « وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ »، إياك أيها المسلم أن تفهم أن السماء والأرض هنا ظرفية، لأن الظرفية وعاء وجيز، وإذا كنت لم تعلم مكان روحك في جسدك، فكيف تعلم مكان الله، لقد قصد الله بذلك العقول أنه معبود في السماوات ومعبود في الأرض، أي أنه إله واحد يعلم السر والجهر، ويترتب على ذلك الثواب والعقاب، فلا تظن أيها الإنسان أنك تغفلت من حساب ربك، وإن كان سبحانه ويعلم السر فمن باب أولى أن يعلم الجهر، فإله وإن كان غيباً فإنه يعلم الغيب ويعلم المشهد، وأنه سبحانه لم ينتظر علمه إلى أن يبرز الشيء جهراً بل هو بكمال علمه وطلاقة إحاطته يعلمه من أول ما كان سرّاً، ويعلمه ويحيط به بعد أن برز وظهر ووجد وكأنه - سبحانه - يؤرخ للعلم في ذات الإنسان الواحد .

ويعلمنا الله سبحانه أنه لا يقف عند السر فقط، بل يعلم السر من قبل أن يكون سرّاً، وكل أمر قبل أن يصبح جهراً يكون سرّاً، وقبل أن يكون سرّاً هو أخفى من السر، وقال « وَيَعْلَمُ

¹ ابن كثير المشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 240 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 481 - 482 .

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 2428 - 2431 .

مَا تَكْسِبُونَ» ، والكسب إنما ينشأ من عملية تجارة في رأس مال ما والزائد عليه يكون هو الكسب، وقد يكون الكسب خيراً أو شراً، فالذي يكسب شراً هو الذي يأخذ فوقه ما أحل الله له .

3. قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا

لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ

فَأَهْلَكْنَاهُمْ بَدُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام: 6) .

مكن له في الأرض: أي جعل له مكاناً، أي لم نعطي أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا، والسماء المظلة، وذكر الشارع قرناً آخرين بعدهم للدلالة على أنه لا يتعاضده أن يهلك قرناً ويخرب بلاده منهم، فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله¹ ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ (الشمس: 15) .

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتي الجاحدون بنبوتك، كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطأة لم أوطئها لكم، وأعطيتهم فيها ما لم أعطكم، أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها، وأعطتهم الأرض ريع نباتها، وجابوا صخور جبالها، ودرت عليهم السماء بأمطارها، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني، فغمطوا نعمة ربهم وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم، وبغوا حتى حق عليهم قولي، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم، وأهلكت بعضهم بالرغبة وبعضهم بالصيحة، وغير ذلك من أنواع العذاب².

¹ الزمخشري ، تفسير الكشاف، ص 319 - 320 .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، 156 - 157 .

قال ابن عاشور¹: هذه الجملة بيان لجملة « فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَتْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ » (الأنعام: 5)، جاء بيانها بطريقة الاستفهام الإنكاري عن عدم رواية القرون
الكثيرة الذين أهلكتهم حوادث خارقة للعادة يدل حالها على أنها مسلطة عليهم من الله عقاباً لهم
على التكذيب والرواية يجوز أن تكون قلبية، أي ألم يعلموا كثرة القرون الذين أهلكناهم، ويجوز
أن تكون بصرية بتقدير: ألم يروا آثار القرون التي أهلكناهم كديار عاد وثمود، وقد رآها كثير
من المشركين في رحلاتهم، وحدثوا عنها الناس حتى تواترت بينهم فكانت بمنزلة المرئي
وتحققها نفوسهم .

4. قوله تعالى: « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » (الأنعام: 27) .

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: « وَلَوْ تَرَى » يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام
والأوثان الجاحدين بنبوتك الذين وصفت لك صفتهم، « إِذْ وَقَفُوا » يقول إذ حبسوا، « عَلَى
النَّارِ » يعني: في النار، فوصفت « عَلَى » موضع (في) كما قال: « وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُو
الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ » (البقرة: 102) بمعنى في ملك سليمان². « وَلَا نُكَذِّبَ
بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » أي واعدن الإيمان كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن
على وجه الإثبات³ .

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 19 .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 206 .

³ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 324 .

وتقدير الآيات: ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في حال رؤيتهم العذاب، وفزعهم منه

لعلت أن القوة لله جميعاً¹.

قال الرازي² في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ ﴾: أعلم أنه تعالى

ذكره لما ذكر صفة من ينهى عن متابعة الرسول ﷺ، وينأى عن طاعته بأنهم يهلكون أنفسهم،

شرح كيفية ذلك الهلاك بهذه الآية فقوله ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾ يقتضي جواباً وقد حذف تفخيماً وتعظيماً

للشأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر ولو قدرت الجواب، كان

التقدير: لرأيت سوء منقلبهم أو لرأيت سوء حالتهم، وحذف الجواب في هذه الأشياء أبلغ في

المعنى من إظهاره، وأما قوله ﴿ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ ﴾ فتحمل أربعة أوجه، الأول: وقفوا عندها

وهم يعاينوها فهم موقوفون على أن يدخلوها . والثاني: وقفوا عليها وهي تحتهم، بمعنى أنهم

وقفوا فوق النار على الصراط، وهو جسر فوق جهنم . والثالث: معناه عرفوا حقيقتها تعريفاً من

قولك . والرابع: أنهم في جوف النار، وتكون النار محيطة بهم، ويكونون غائسين فيها وعلى

هذا التقدير فقد أقيم (على) مقام (في)، والتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي، يفيد

المبالغة من هذا الاعتبار والاعتبار في التكرير والتوكيد .

قوله تعالى: ﴿ وَقَفُوا ﴾ ماضٍ لفظاً والمعنى به الاستقبال، أي إذا يقفون . وجيء فيه

بصيغة الماضي للتنبية على تحقيق وقوعه لصدوره عمّن لا خلاف في خبره³.

قال أبو حيان¹: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ ﴾: مضارع معناه الماضي أي: ولو رأيت فإذا باقية على

كونها ظرفاً ماضياً محمولاً لترى، وأبرز هذا في صورة المعنى وإن كان لم يقع بعد إجراء

¹ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح التقدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر، د. طه. د. ت، ج 1، ص 213.

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 507 - 508 .

³ ابن عسور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 60.

(المحقق المنتظر مجرى الواقع الماضي، والظاهر أن الرؤيا هنا بصريه وجوزوا أن تكون من رؤيا القلب، والمعنى لو صرفت فترك الصحيح إلى تدبر حالهم لآزددت يقيناً أنهم يكونوا يوم القيامة على أسوأ حال .

5. قوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (الأنعام: 59) .

معنى الكلام: وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه وليس تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم، لا يخفى عليه شيء، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم، فأخبر سبحانه أنه عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد .

وذلك هو الغيب، وإن ذلك مثبت في اللوح المحفوظ، مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذي يوجد فيه والحال التي يفنى فيها .

وقوله تعالى ﴿ مُبِينٍ ﴾ أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما

رسم². قال الزمخشري³: جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة، لأن المفاتيح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق فيها بالأغلال والأقفال، ومن علم مفاتيحها وكيف تفتح توصل إليها، فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره .

¹ الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، د.م، دار الفكر، د.ط، 1420 هـ - 1999 م، ج 4، ص 80 - 81 .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 281 - 283 .

³ الزمخشري، تفسير الكشاف، ج 7، ص 330 .

وقال الرازي في تفسير هذه الآية¹ " وللحكما في تفسير هذه الآية كلام عجيب، مفرع

على أصولهم، فقالوا أثبت أن العلم بالعلة علة للعلم بالمعلول وأن العلم بالمعلول لا يكون علة للعلم بالعلة . قالوا: وإذا ثبت هذا فنقول: الموجود إما أن يكون واجباً لذاته وإما أن يكون ممكناً لذاته، والواجب لذاته ليس إلا الله سبحانه وتعالى، وكل ما سواه ممكناً لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا يتأثر الواجب لذاته وكل ما سوى الحق سبحانه فهو موجود بإيجاده كائن بتكوينه واقع بإيقاعه . إما بغير واسطة واحدة وإما بوسائط كثيرة على الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضاً، إذا ثبت هذا القول نقول: علمه بذاته يوجب علمه بالأثر الأول الصادر منه، ثم علمه بذلك الأثر الأول يوجب علمه بالأثر الثاني لأن الأثر الأول علة قريبة للأثر الثاني، وقد ذكرنا أن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فهذا علم الغيب ليس إلا علم الحق بذاته المخصوصة ثم يحصل له من علمه بذاته علمه بالآثار الصادرة عنه على ترتيبها المعتمد ولما كان علمه بذاته لم يحصل إلا لذاته لا جرم صح أن يقال « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » .

قال ابن عاشور²: الغيب: ما غاب على علم الناس بحيث لا سبيل لهم إلى علمه وذلك

يشمل الأعيان المغيبة كالملائكة والجن، والأغراض الخفية، ومواقيت الأشياء و«مَفَاتِحُ

الْغَيْبِ» بمنزلة أن يقول: عنده علم الغيب، الذي لا يعلمه غيره .

6. قوله تعالى: « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » (الأنعام: 73) .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 10 .

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 135 - 136 .

أي وهو الذي خلق السماوات والأرض حقاً وصواباً، لا باطلاً وخطأً فهو حكمه من حكم الله سبحانه تعالى، لأنه موصوف بالحكمة، خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه، قوله ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾، فالحق هو قوله وكلامه، والله خلق الأشياء بكلامه وقيله كما خلق به الأشياء غير المخلوقة . قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وجب أن يكون كلام الله الذي خلق به غير مخلوق¹.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ يفيد الحصر والمعنى: أنه لا ملك في يوم ينفخ في الصور إلا الحق سبحانه وتعالى، فالمراد بالكلام تقريراً لحكم الحق المبرأ عن العبث والباطل، والمراد بهذا الكلام تقدير القدرة الكاملة التي لا دافع لها و لا معارض . وقوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ تقديره وهو عالم الغيب والشهادة . والله سبحانه و تعالى ما ذكر أحوال البعث في القيامة إلا وقرر فيه أصليين: أحدهما: كونه قادر على الممكنات، والثاني: كونه عالماً بكل المعلومات، لأنه بتقدير أن لا يكون قادراً على كل الممكنات لم يقدر على البعث والحشر و رد الأرواح إلى الأجساد، و بتقدير أن لا يكون عالماً بجميع الجزئيات لم يصح ذلك منه أيضاً لأنه ربما اشتبه المطيع بالعاصي، والمؤمن بالكافر، والصديق بالزنديق . فلا يحصل المقصود الأصلي من البعث والقيامة وعليه فقوله: ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ يدل على كمال القدرة، وقوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ يدل على كمال العلم فلا جرم من مجموعهما أن يكون قوله حقاً، وأن يكون حكمه صدقاً، وأن تكون قضاياه مبرأة عن الجور والعبث والباطل².

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 335.

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 27 - 28 .

المبحث الرابع: الملائكة والجن وذكرهما في سورة الأنعام:

المطلب الأول: مفهوم الملائكة:

يمكن القول بأن الملائكة: هي أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السماوات¹.

وعرفهم الخطاطبة²: على أنهم مخلوقات غيبية نورانية، عابدة لله، طائعة له ذات صفات خاصة ووظائف معينة.

ويمكن للباحث استخلاص تعريف الملائكة شرعاً من خلال جمع بين التعريفين السابقين فيصبح تعريف الملائكة شرعاً هو: أنهم مخلوقات غيبية نورانية ذات أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، عابدة لله، طائعة له، ذات صفات خاصة ووظائف معينة ومسكنها السماوات.

ونحن لا نستطيع أن نعرف من حقيقة الملائكة إلا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ لأننا - بحسب العادة - لا نتصل بهم عن طريق الحس اتصالاً يفيد العلم اليقيني، حتى نكتشف حقيقةهم ونحدّ تكوينهم³.

¹ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، تحقيق: ابن باز، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1414هـ - 1993 م، ج 6، ص 306.

² الخطاطبة، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، ص 145.

³ حبكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 267.

المطلب الثاني: مفهوم الجن:

الجن: نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يرون على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، لهم قدرة على التشكل وأصلهم مخالف لأصل البشر¹.

ويعرف كذلك على أنه عالم من عوالم الغيب، مخلوق من نار، مكلفين بعبادة الله سبحانه وتعالى، تجري فيهم سنن الله تعالى من الحياة والموت والشهوة، والثواب والعقاب².

المطلب الثالث: ذكر الملائكة والجن في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام لذكر الملائكة والجن في كثير من الآيات ومن ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَكَوْنُوا أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَأَنْظُرُونَ ﴾ (8) وَكَوْنُوا جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (9)﴾

(الأنعام: 8-9) .

أي قال العادلون بربهم الأنداد والآلهة هلا نزل عليك ملك من السماء في صورته يصدقك على ما جئتنا به، ويشهد لك بحقيقة ما تدعي من أن الله أرسلك إلينا ﴿ وَكَوْنُوا أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَأَنْظُرُونَ ﴾ ولو أنزلنا ملكاً على ما سألوا ثم كفروا ولم يؤمنوا بي وبرسولي لجاهم العذاب عاجلاً غير آجل، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة كالأمم السابقة التي سألت الآيات ثم كفرت فجعلت لهم النعمة ولم ينظروا ﴿ وَكَوْنُوا جَعَلْنَاهُ مَلَكَ

¹ ينظر: الحاج، خالد بن محمد علي، خصائص الإيمان بالملائكة والجان، الأردن، مكتبة المنار، 1407 هـ - 1987 م، ص 209 .
² الخطاطبة، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، ص 152 .

﴿ أَي لَوْ جَعَلْنَا رَسُولَنَا إِلَى هَؤُلَاءِ الْعَادِلِينَ بِرَبِّهِمْ مَلَكًا يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَشْهَدُ بِتَصْدِيقِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ ﴾ (لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) أَي فِي صُورَةِ رَجُلٍ مِنَ الْبَشَرِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَرَوْا الْمَلِكَ فِي صُورَتِهِ وَعَلَيْهِ فَالْأَمْرُ فِي كِلَا الْحَالَتَيْنِ سِوَاءٌ¹.

قال ابن كثير² في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ لَأُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ أَي لِيَكُونَ

معه نذيراً ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ أَي لَوْ نَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ، فَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْعَذَابُ. ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ أَي وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَعَ الرَّسُولِ الْبَشْرِيَّ مَلَكًا أَي لَوْ بَعَثْنَا إِلَى الْبَشَرِ رَسُولًا مَلَكًا، لَكَانَ عَلَى هَيْئَةِ الرَّجُلِ لِيُمْكِنَهُمْ مَخَاطَبَتَهُ وَالِانْتِفَاعَ بِالْأَخْذِ عِنْدَهُ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَاتَّبَسَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ، كَمَا هُمْ يَلْبَسُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي قَبُولِ رِسَالَةِ الْبَشْرِيِّ.

ويرى الرازي³ أن معنى هاتين الآيتين: إن منكري النبوات يقولون: لو بعث

الله إلى الخلق رسولاً لوجب أن يكون ذلك الرسول واحداً من الملائكة فإنهم إذا كانوا من زمرة الملائكة فإن علومهم أكثر وقدراتهم أشد، ومهابتهم أعظم، وامتيازاتهم عن الخلق أكمل، والشكوك والشبهات في بنوتهم ورسالتهم أقل وكان الجواب من الله ﴿ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ

الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾، أَي إِنْ إِنْزَالَ الْمَلِكَ عَلَى الْبَشَرِ آيَةً بَاهِرَةً، فَبِتَقْدِيرِ إِنْزَالِ الْمَلِكِ عَلَى

هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ فَرِيماً لَمْ يُؤْمِنُوا، وَإِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا وَجِبَ إِهْلَاكُهُمْ بِعَذَابِ الْإِسْتِثْصَالِ وَالْوَجْهِ الْآخِرِ:

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 160 - 162 .

² ابن كثير الممشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 140 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 486 - 487 .

أنهم إذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشهدون، والوجه الثالث: أن إنزال الملك آية باهرة جارية مجرى الإلحاء، وإزالة الاختيار، وذلك مغل بصحة التكليف .

2. قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ

الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: 43) .

تأويل الكلام: فهلا إذا جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذوبة، رسلها الذين لم يتضرعوا عندما أخذناهم بالبأساء والضراء، تضرعوا فاستكانوا لربهم، وخضعوا لطاعته، فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم، وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم، استهانة بعقاب الله واستخفافاً بعذابه، وقساوة قلب منهم ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التي يكرها الله ويسخطها منهم¹ .

قوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ استتراك على

المعنى وبيان للصارف لهم عن التفرغ وأنه لا مانع لهم إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم² .

3. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ

أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام: 61) .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 243 - 244 .

² البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر، تفسير البيضاوي، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، ج 2، ص 409 .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ ﴾: الله الغالب خلقه العالي عليهم بقدرته، ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

حَفَظَةً ﴾ وهي ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلاً ونهاراً يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرطون في حفظ ذلك وإحصائه ولا يضيعون¹.

قال الزمخشري²: ﴿ حَفَظَةٌ ﴾ ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون،

فإن قلت: الله تعالى عني بعلمه عن كتبة الملائكة، فما فائدتهم؟ قلت: فيها لطف للعباد، لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم، والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء.

﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ أي: استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه. ﴿ وَهُمْ لَأَ

يُفَرِّطُونَ ﴾ أي في حفظ روح المتوفي، بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله، إن كان من الأبرار ففي عليين، وإن كان من الفجار ففي سجين عياداً بالله³.

4. قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى

يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام: 68) .

أي ﴿ إِذَا رَأَيْتَ ﴾ يا محمد المشركين ﴿ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ التي

أنزلناها إليك، واستهزأهم بها وسبهم من أنزلها وتكلم بها، وتكذبيهم بها ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 288 - 289 .

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 331 .

³ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 155 .

أي: صد بوجهك وقم عنهم، ولا تجلس معهم ﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ أي: حتى

يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله ﴿ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ﴾ وإن أنساك الشيطان

نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ثم ذكرت ذلك، فقم

عنهم ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين¹ .

قال الزمخشري²: قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ ﴾ أي إن شغلك

بوسوسة حتى تنسى النهي عن مجالسهم ويجوز أن يكون المعنى وإن كان الشيطان ينسبك قبل

النهي قبح مجالسة المستهزئين، لأنها مما تنكره العقول، فلا تقعد بعد أن ذكرناك قبحها ونهيناك

عليه معهم .

(الخوض): حقيقة الدخول في الماء مشياً بالرجلين دون سباحة، ثم استعير

للتعرف الذي فيه كلفة أو عنت، كما استعير التعسف وهو المشي في الرمل لذلك، واستعير

الخوض أيضاً للكلام الذي فيه تكلف الكذب والباطل لأنه يتكلف قائله، والخطاب للنبي ﷺ

مباشرة وحكم بقاء المسلمين كحكمة (والإعراض عنهم) هو ترك الجلوس إلى مجالسهم . و (

حتى) عاية للإعراض لأنه إعراض فيه توقيف دعوتهم زماناً أوجبه رعي مصلحة أخرى هي

من قبيل الدعوة، فلا يضر توقف الدعوة زماناً، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى

أصلها قوله ﴿ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

عطف حالة النسيان زيادة في تأكيد الأمر بالإعراض واسند الإنساء إلى الشيطان فدلنا على أن

النسيان من آثار الخلق التي جعل الله فيها حظاً لعمل الشيطان، كما ورد أن الثأوب من

الشيطان وليس هذا وسوسة الشيطان في أعمال الإنسان لأن الرسول ﷺ معصوم من وسوسة

¹ الطبري، جامع البيان ، ج 9، ص 312 - 313 .

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 332 .

الشیطان في ذلك، فالنسيان من الأعراض البشرية الجائزة على الأنبياء في تبليغ ما أمروا تبليغه
علا جمهور علماء السنة¹.

5. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى

أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ()
الأنعام: 71).

قل أدعوا من دون الله أي أعبد من دون الله النافع الضار ما لا يقدر على نفعنا

ولا على ضررنا، ونرد على أعقابنا راجعين إلى الشرك بعد أن أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام ﴿

كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾ قيل: مشتق من الهوى في الأرض، وهو النزول من الموضع

العالي إلى الوهرة السافلة العميقة في قعر الأرض، فشبّه الله تعالى حال هذا الضال به . ولا

شك أن حال هذا الضال عند هويته من المكان العالي إلى الوهرة العميقة المظلمة يكون في غاية

الاضطراب والضعف والدهشة وقيل: أنه مشتق من اتباع الهوى والميل، وبالتالي ربما بلغ

النهاية في الحيرة، والحيرة: التردد في الأمر بحيث لا يهتد إلى مخرجه².

قوله تعالى: ﴿ لَهُ أَصْحَابٌ ﴾ أي رفقة ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ إلى أن يهدوه

الطريق المستوي، المستقيم بالهدى، يقولون له ﴿ ائْتِنَا ﴾ وقد اعتسف المهمة تابعاً للجن لا

يجيبهم ولا يأتيهم، وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن الجن تستهوي الإنسان،

والغيلان تستولي عليه كقوله: ﴿ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (البقرة:

¹ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 6، ص 150 - 152 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 25 - 26 .

(275) . فشبّه الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشياطين والمسلمون يدعونه إليه فلا

يلتفت إليهم ﴿ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ ﴾ وهو الإسلام ﴿ هُوَ الْهُدَى ﴾ وحده وما وراءه ضلال

وغى، فماذا بعد الحق إلا الضلال¹ .

6. قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ

بغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (الأنعام: 100) .

أي جعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والأنداد لله ﴿ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ وفيها

وجهان من النصب: أحدهما: أن يكون تفسير للشركاء، والآخر أن يكون معنى الكلام: وجعلوا

الله الجن شركاء وهو خالقهم²، وقدم اسم الله على الشركاء استعظام أن تتخذ الله شريك من كان

ملكاً أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك، وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم، فقيل: الجن، وبالجر

على الإضافة للتبين والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين

زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وإبليس خالق الشر وكل ضار³ .

قال ابن كثير⁴: فإن قيل كيف عبدت الجن، مع أنهم إنما يعبدون الأصنام،

فالجواب: أنهم ما عبدوها إلا عن طاعة الجن وأمرهم إياهم بذلك، وقوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾

أي وقد خلقهم، فهو الخالق لا شريك له .

قوله: ﴿ وَخَلَقَهُمْ ﴾ أي خلق الجاعلين لله شركاء ومعناه: وعلموا أن الله خالقهم

دون الجن، ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكاً للخالق ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ أي افتعلوا

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 333 .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 453 .

³ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 340 .

⁴ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، 179 .

له « بَنِينَ وَبَنَاتٍ »، « بَغَيْرِ عِلْمٍ » من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ وصواب، ولكن رمياً بجهالة له¹.

والخرق: أصله القطع والشق، وهو ضد الخلق فإنه فعل الشيء بتقدير ورفق والخرق بغير تقدير وقد استعمل مجازاً في الكذب والمعنى: كذبوا على الله على سبيل الخرق، أي نسبوا إليه بنين وبنات كذباً².

7. قوله تعالى: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ » (الأنعام: 112).

الشیطان في كلام العرب: كل متمرّد من الجن والإنس والدواب وكل شيء ولذلك قال: « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ » فجعل من الإنس شياطين مثل الذي جعل من الجن . والمعنى: كما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين « يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ » ليصدوهم لمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك والإيمان بك، وبما جنتهم به من عند ربك، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل، وذلك تسلية للنبي ﷺ³.

والشیطان أصله نوع من الموجودات المجردة الخفية وهو نوع من جيش الجن ويطلق الشيطان على المضلل الذي يفعل الخبائث من الناس على وجه المجاز، والإنس الإنسان وهو مشتق من التأنس والإلف لأن البشر يألف بالبشر ويأنس به وشياطين الإنس استعارة للناس

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 340 .

² ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 6، ص 243 - 245 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 417 .

الذين يعقلون فعل الشياطين من مكر وخديعة، وإضافة شياطين إلى الإنس إضافة مجازية، وشياطين الجن حقيقة، والإضافة حقيقية لأن الجن منهم شياطين ومنهم غير شياطين ومنهم صالحون وعداوة شياطين الجن للأنبياء ظاهرة وما جاءت الأنبياء إلا للتحذير من فعل الشياطين¹. قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ (طه: 117).

والجن فيهم المؤمن والكافر، والمؤمنون من الجن فيهم الطائع العاصي، والشياطين هم مرده الجن المتمردون على منهج الله، وكل متمرد على منهج الله نسميه شيطاناً سواء كان من الجن أو من الإنس².

والوحي في اللغة: هو إعلام بخفاء، وليس الأمر مقصوراً على الحق سبحانه وتعالى، بل يصح أن يكون الوحي من الله، أو من الشياطين أو من جنود الشياطين، وقد يكون الوحي إلى الجماد وإلى الحيوان وإلى الملائكة وإلى الإنسان ولكن هي بالمعنى الشرعي إلا على الإعلام بخفاء من الله ورسوله³.

قوله تعالى: ﴿ زُخْرَفَ الْقَوْلِ ﴾ أي يدخلون على المسائل بالتزين

فيزينون للناس الشهوة ولذلك سماها (وسوسة) وهي صوت الحلي، وهي تغري بالنفاسة وعظم القيمة، والوسوسة طريقها الخفاء، والزخرف: الشيء المزين ظاهره ولكن باطنه فاسد⁴.

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 7 - 8.

² الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 287.

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 1953.

⁴ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 2691 - 2694.

المبحث الخامس: الإيمان بالكتب والأنبياء والرسل والإهتداء بهم:

المطلب الأول: مفهوم الكتب السماوية:

الكتاب: هو كلام من كلام الله تعالى فيه هدى ونور، يوحى به الله إلى رسول من رسله ليبلغه للناس، ويطلق اسم الكتاب شرعاً على ما يشمل الصحف والألواح، جميع أنواع الوحي اللفظي أو الكتابي التي نزلها الله على أي رسول من رسله، ليبلغها إلى الناس، وبأي لغة من اللغات نزلت، صغيرة كانت أم كبيرة، مدونة أو غير مدونة فيها صفة الإعجاز اللفظي للناس أو ليس فيها كذلك¹.

والإيمان بالكتب الإلهية ركن من أركان الإيمان لحديث جبريل عليه السلام لما سأل عن الإيمان فقال النبي ﷺ: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"².

والمراد بالكتب في هذا النص وأمثاله " الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء"³.

المطلب الثاني: مفهوم الرسل عليهم الصلاة والسلام لغة واصطلاحاً:

الرسول: هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلقه⁴.

ويعرف كذلك على أنه: مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِشَرَعٍ جَدِيدٍ، وَقِيلَ: تَكْلِيفَ اللَّهِ نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَائِهِ

بِتَبْلِيغِ شَرِيعَةٍ جَدِيدَةٍ لِلنَّاسِ¹.

¹ حينكه، العقيدة الإسلامية وأسبها، ص 536 .

² البخاري، الجامع الصحيح، ج 1، ص 20، حديث رقم: 51، مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان، ج 1، ص 45، حديث رقم 16، صحيح على شرط الشيخين .

³ القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، د.م، دار الفكر، ط 2، 1398 هـ - 1978 م، ج3، ص 48 .

⁴ حينكه، العقيدة الإسلامية، ص 298 .

ويعرف كذلك على أنه: مَنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَشَرِ بِشَرَعٍ وَأَمْرٍ بِتَبْلِيغِهِ².

ويتعلق بتعريف الرسول تعريف النبي، فمن هو النبي:

النبي لغة: النبيُّ بغير همز فقد قال النحويون: أصله الهمز، فترك همزه، وقال بعض

العلماء، هو من النبوة أي الرفعة، وسمي نبياً لرفعة محله عند سائر الناس المدلول عليه بقوله:

﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (مريم: 57) . فالنبي بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز، لأنه ليس

كل متنبئ رفيع القدر والمحل والنبوة والنبوة: الارتفاع³، وهو مأخوذ من النبأ أي: الخير، قال

تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (2) ﴾ (النبأ: 1 - 2)، أو من النبوة وهي

ما ارتفع من الأرض، يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع⁴.

أما النبي اصطلاحاً: فهو المبعوث لتقرير شرع من قبله⁵، وقيل اصطفاء الله عبداً من

عباده بالوحي إليه⁶.

وعرّف كذلك على أنه: اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي ولم يؤمر بالتبليغ⁷.

أو هو: من قال له الله أرسلتك أو بلغهم عني ونحوه من الألفاظ⁸.

وبناءً على ذلك لابد من بيان الفرق بين النبي والرسول:

¹ الأشقر، عمر سليمان، الرسل والرسالات، الكويت، مكتبة الفلاح، 1983، ص 13 - 14 .

² الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى عالم الأصول في التوحيد، ضبط وتعليق: عمر بن محمود، الدمام، ط 2، 1413 هـ - 1992 م، ج 2، ص 675 .

³ الأصفهاني، المفردات، ص 482 .

⁴ حبنكه، العقيدة الإسلامية، ص 297 .

⁵ الأشقر، الرسل والرسالات، ص 13 .

⁶ حبنكه، العقيدة الإسلامية، ص 297 .

⁷ الحكمي، معارج القبول، ج 2، ص 675 - 676 .

⁸ الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، (د . ط)، د . ت، ص 337 .

الرأي الأول: ذهب بعض العلماء إلى التفريق بين النبي والرسول، وعرفوا النبي بأنه إنسان أوحى إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أم لم يؤمر، والرسول: هو إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه للناس، فالنبي أعم من الرسول، فمن نبيٍّ وأمر بتبليغ ما نبيُّ به إلى الناس فهو نبي ورسول وإن لم يؤمر بتبليغهم فهو نبي غير رسول، وعليه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول¹، يؤيد هذا ما قاله شارح الطحاوية " وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمر أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يؤمر أن يبلغ غيره فهو نبي وليس رسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها² .

الرأي الثاني: أن الكلمتين متوافقتان، ولهما مدلول واحد، فالنبي يسمى رسولاً، والرسول يسمى نبياً، فيسمى رسولاً بالنظر إلى ما بينه وبين الناس الذين أرسله الله تعالى إليهم، ويسمى نبياً بالنظر إلى ما بينه وبين الله حيث أنه نبيٍّ وأوحى إليه³ .

الرأي الثالث: وهو رأي لابن تيمية، وهو أن النبي هو من أوحى الله إليه وهو يبلغ ما أوحى إليه لكنه لم يرسل إلى قوم كافرين ليخرجهم من الكفر إلى الإيمان، أما الرسول فهو من أرسل إلى قوم كفار يدعوهم للتوحيد، فإن الله تعالى قال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (الحج: 52)، فذكر أن الإرسال يعم الرسول والنبي، وخص أحدهما بأنه رسول وهذا هو الرسول المطلق الذي أمر بتبليغ رسالة الله إلى قوم خالفوا أمر الله

¹ الجلي، العقيدة الإسلامية، ص 218 - 219 .

² ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص 113 .

³ الخن، مصطفى سعيد، مبادئ العقيدة الإسلامية، دمشق، جامعة دمشق، ط 6، 1413 هـ - 1993 م، ص 197 .

ووقعوا في الشرك كما كان شأن نوح عليه السلام، وقد ثبت أنه أول رسول بعث إلى الأرض، وقد كان قبله أنبياء كآدم وشعيب وإدريس عليهم السلام، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولا عند الإطلاق، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ولهذا قال ﷺ: " الْعُلَمَاءُ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ"¹ وليس من شرط الرسول أن يأتي بشرع جديد، فإن يوسف كان رسولا وكان على ملة إبراهيم وداوود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة².

ويجب على العبد الإيمان برسول الله وأنبيائه أجمعين وأن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله تعالى قد بعث إلى خلقه من الإنس والجن رسلاً وأنبياءً وأوحى إليهم بالهدى ودين الحق³.

المطلب الثالث: ذكر الأنبياء والرسل والكتب المنزلة عليهم في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام لذكر رسل الله وكتبهم السماوية التي نزلت عليهم وذلك بذكر اسمائهم وأسماء كتبهم أو بذكر قصصهم مع أقوامهم تسلية للنبي ﷺ ومواساة له فيما يلاقه مع قومه، وبيان الهدف من إرسالهم بأنهم حجة على البشر، ثم بيان أوصافهم وامتنان الله عليهم باصطفائهم ونزرياتهم وجعلهم أنبياء من بين بني البشر، أو بيان حال الأمم الذين أرسلوا إليهم بمجازاة الطائعين بطاعتهم ومعاقبة المعاندين بعد ظهور الحق وسطوعه محضراً بذلك المخاطبين بالقرآن الكريم من أن يحذوا حذو أولئك في عنادهم وكفرهم وصددهم عن الحق

¹ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت. ج 3، ص 354، حديث رقم: 3643، "الْعُلَمَاءُ وَرِثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرُثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَإِذَا قَالَ الْأَلْبَانِيُّ: صَحِيحٌ .

² ابن تيمية، أحمد، اللبوات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 هـ - 1985 م، ص 255 - 256 .

³ خطاطبه، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، ص 137 .

وثرغيبهم في أخذ العضة والعبرة من أولئك الذين سبقوهم لئلا تكون نتيجتهم كنتيجة أولئك .

ومن ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ (11) ﴾ (الأنعام: 10 - 11) .

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ مسلماً عنه بوعيد المستهزئين به عقوبة ما يلقي منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف في ذات الله: هون عليك يا محمد ما أنت لاق من هؤلاء المستهزئين بك المستخفين بحقك في وفي طاعتي، وامض كما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدني والإقرار في والإذعان لطاعتي فإنهم إن تمادوا في غيهم وأصروا على المقام على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النعمة لهم وحلول المثالات بهم، فقد استهزأت أمم من قبلك برسلك برسلكهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا مثل فعل قومك بك فنزل وأحاط بالذين هزئوا برسلكهم العذاب الذي كانوا يهزأون به وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسلكم، وسيروا في الأرض وجولوا في بلاد المكذبين رسلكم الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس، ثم انظروا كيف أعقبتهم تكذيبهم ذلك الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار فاعتبروا به¹ .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 165 - 166 .

قال الرازي¹: أعلم أن بعض الأقوام الذين كانوا يقولون هذا الكلام على سبيل الاستهزاء، وكان يضيق قلب الرسول ﷺ عند سماعه فذكر ذلك ليصير سبباً للتخفيف عن القلب لأنه أحد ما يخفف عن القلب المشاركة في سبب المحنة والغم، فكأنه قيل له إن هذه الأنواع الكثيرة من سوء الأدب التي يعاملونك بها قد كانت موجودة في سائر القرون مع أنبيائهم فلست أنت فريداً في هذا الطريق.

2. قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: 20) .

يعني: اليهود والنصارى يعرفون رسول الله ﷺ بحلته وبعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة ﴿ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ بحلاهم وبعوتهم لا يخفون عليهم، ولا يلتبسون بغيرهم، وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به، وبصحة ثبوته ثم قال: ﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ من المشركين، ومن أهل الكتاب الجاحدين ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ به جمعوا بينه وبين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح² .

3. قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (48) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (49) (الأنعام: 48 - 49) .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 487 .

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 322 .

أي مبشرين عباد الله المؤمنين بالخيرات، ومنذرين من كفر بالله النقمات والعقوبات، ولهذا قال ﴿ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ ﴾ أي فمن آمن قلبه بما جاءوا به، وأصلح عمله باتباعه إياهم، ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ أي بالنسبة لما يستقبلونه ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي بالنسبة لما فاتهم وتركوه وراء ظهورهم من أمر الدنيا وصنيعها، الله وليهم فيما خلفوه، وحافظهم فيما تركون ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أي ينالهم العذاب، بما كفروا بما جاءت به الرسل، وخرجوا عن أوامر الله وطاعته، وارتكبوا من مناهيه ومحارمه وانتهاك حرماته¹.

قال الزمخشري²: قوله تعالى: ﴿ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ من آمن بهم وبما جاؤوا به من أطاعهم ومن كذبهم وعصاهم، ولم يرسلهم ليتلهم بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة.

4. قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) ﴾

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 150.

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 328.

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا
قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اِقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (الأنعام: 84 - 90) .

يقول تعالى: فجزينا إبراهيم عليه السلام على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه
ومفارقتة دين قومه المشركين بالله بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا
له أولاداً خصصناهم بالنبوة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة وفضلناهم على العالمين، منهم ابنه
إسحاق، وابن ابنه يعقوب، ﴿ كُلاًّ هَدَيْنَا ﴾: هدينا جميعهم لسبيل الرشاد، فوقفناهم للحق
والصواب من الأديان . ونوحاً وفقنا للحق والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وهدينا
أيضاً من ذرية نوح داوود وسليمان، فجزينا نوحاً بصبره على ما امتحن به فينا بأن هديناه
فوقفناه لإصابة الحق الذي خذلنا عن من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه، وهدينا من ذريته
من بعده من ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذي هديناه له، وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم
إيانا وصبرهم على المحن فينا كذلك نجزي بالإحسان كل محسن¹ .

المبحث السادس: اليوم الآخر ومصير الإنسان

عقيدة الإيمان بالله تعالى لا تنفك ع الإيمان باليوم الآخر، لأن من مقتضى الإيمان بالله
تصديقه في جميع ما يخبرنا به، وقد أخبرنا باليوم الآخر في وعده ووعيده، وما أعد الله في
هذا اليوم من نعيم للمؤمنين المنقين، وما اعتد فيه من عذاب للمجرمين . ولقد قرر الله سبحانه
- حقيقة الحياة الثانية بعد الموت، وأنها حياة الحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني في

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 381 - 382 .

الخالق¹، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ
عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: 136)، وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ
تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 177) . وفي حديث جبريل الذي رواه
مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سأل جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال صلى الله عليه وسلم: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"².

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الآخر:

واليوم الآخر: الاعتقاد الجازم بانتهاء هذه الحياة وما فيها، وبداية حياة جديدة. هي الدار
الآخرة، وما يتم فيها من بعث ونشر وحشر وحساب وجزاء. وفقاً للتفاصيل التي بينها القرآن
وأخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم³.

¹ حنكته، العقيدة الإسلامية، ص 626 .

² مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج 1، ص 29، حديث رقم 8، وأخرجه البخاري نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج 1، ص 20، حديث رقم 50.

³ الجلبي، العقيدة الإسلامية، ص 275 .

أو هو: الإيمان بكل ما أخبر به الله في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجن والنار وما أعد الله تعالى لأهلها جميعاً¹.

ويعرف كذلك على أنه: التصديق الجازم بإتيانه (اليوم الآخر) والعمل بموجب ذلك، ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وإماراتها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور وتفصيل الحشر ونشر الصحف، ونصب الموازين، وبالصراط، والحوض، والشفاعة، والجن والنار².

ويعرف الباحث اليوم الآخر على أنه: يوم من أيام الله جل وعلا يبدأ بنفخ إسرافيل عليه السلام نفخة البعث ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ (يس: 51)، وما يتصل بالبعث من مقدمات وما يلحق به من وقائع وأحداث إلى استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار بالنار.

المطلب الثاني: ذكر اليوم الآخر في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام لذكر اليوم الآخر صراحة على سبيل تهديد العصاة بما سينالهم من عقاب وعذاب في هذا اليوم العظيم أو بيان مصير الطائعين لله في هذا اليوم العظيم ومن ذلك:

¹ ياسين، محمد نعيم، الإيمان أركانه ونواقضه، الأردن، دار الفرقان، د.ط، 1407 هـ - 1987 م، ص 73 - 74.

² العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، نواقض الإيمان القولية والعملية، الرياض، دار الوطن، ط 21، 1415 هـ - 1995 م، ص

1. قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: 12) .

قيل المعنى: ليجمعنكم أي في القبور إلى اليوم الذي أنكرتموه، وقيل: ﴿ إِلَى ﴾ بمعنى

في، أي ليجمعنكم في يوم القيامة¹ .

واللام في ليجمعنكم: لام قسم مضمرة، والتقدير: والله ليجمعنكم، فقد بين الله سبحانه

وتعالى كمال الهيبة بقوله: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ ثم بين تعالى

أنه يرحمهم في الدنيا بالإمهال ودفع عذاب الاستئصال، وبين أنه يجمعهم إلى يوم القيامة، فقوله:

﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أنه يمهلهم وقوله: ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أنه لا

يمهلهم بل يحشرهم ويحاسبهم على كل ما فعلوه، وقد يكون المعنى كتب على نفسه الرحمة

وكتب ربكم على نفسه ليجمعنكم إلى يوم القيامة .

وقيل: أنه لما قال: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ فإنه قيل: وما تلك الرحمة ؟ فقيل:

أنه تعالى ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وذلك لأنه لولا خوف العذاب يوم القيامة لحصل

الهرج والمرج ولارتفع الضبط وكثر الخبط، فصار التهديد بيوم القيامة من أعظم أسباب الرحمة

في الدنيا فكان قوله ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ كالتفسير لقوله ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ

الرَّحْمَةَ ﴾².

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ص 395 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 488 - 489 .

قوله: ﴿ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ ﴾ اللام في قوله ﴿ لِلَّهِ ﴾ للملك،

دلت على عبودية الناس لله دون غيره، ويستلزم أن العبد صائر إلى مالكة لا محاله، ولا سبب

للعبودية أحق وأعظم من الخالقية ويستتبع هذا الاستدلال الإنذار بغضبه على من أشرك معه .

وهذا استدلال على المشركين بأن غير الله ليس أهلاً للإلهية لأن غير الله لا يملك ما

في السماوات وما في الأرض، إذ ملك ذلك لخالق ذلك وهو تمهيد لقوله ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ﴾، لأن مالك الأشياء لا يهمل محاسبتها¹.

2. قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنعام: 15).

قال السمعاني: أي عذاب القيامة².

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ قل لهؤلاء المشركين: إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه،

وإني أخاف إن عصيت ربي، فعبدتها، عذاب يوم عظيم، يعني عذاب يوم القيامة . ووصفه

تعالى بالعظيم لعظم هولاه وفضاعة شأنه³ .

قال القاسمي⁴: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي ﴾ أي بمخالفة أمره

ونهيه أي: عصيان ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يعني: عذاب يوم القيامة الذي تظهر فيه عظمة

القهر الإلهي وفي الآية مبالغة أخرى في قطع اطماعهم وتعرض لهم بأنهم عصاة مستوجبون

للعذاب العظيم، ووجه التعريض إسناد ما هو معلوم الانتقاء، بـ ﴿ إِنَّ ﴾ التي تفيد الشك

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 30 - 32 .

² السمعاني، منصور بن محمد، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وعظيم بن عباس، الرياض، دار الوطن، د. ط. 1418 هـ -

1997 م، ج 2، ص 92 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 177 .

⁴ القاسمي، محاسن التأويل، ج 3، ص 16 .

تعريضاً. وجيء بالماضي إبرازاً له في صورة الحاصل على سبيل الفرض، تعريضاً بمن صدر عنهم ذلك، وحيث كان تعريضاً لهم، والمراد تخويفهم إذا صدر منهم ذلك، لم يكن فيه دلالة على أنه يخاف هو ﷺ على نفسه المعصية، مع أنه معصوم .

3. قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ

الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا

مُشْرِكِينَ (23) ﴾ (الأنعام: 22 - 23) .

يقول تعالى: إن هؤلاء المغترين على الله كذباً، والمكذبين بآياته لا يفلحون اليوم في

الدنيا، ولا يوم نحشرهم جميعاً، يعني: ولا في الآخرة ففي الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف¹.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ يوم القيامة، فنسألهم عن الأصنام والأنداد

التي كانوا يعبدونها من دون الله² . ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم

تزعمون إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك إذ فتناهم فاخترناهم ﴿ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا

مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ كذباً منهم في إيمانهم على قلوبهم ذلك³ .

المبحث السابع: القدر وسنن الله تعالى:

تقوم عقيدة القدر على الإيمان الكامل والمطلق بالله سبحانه وتعالى وصفاته العلى كلها،

والتي منها علمه جل وعلا الكامل الأزلي، إذ أن الله " إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، 188 .

² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 143 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 188 .

اَكْتَبَ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا اَكْتَبُ قَالَ اَكْتَبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ¹. وقال تعالى:
﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ
شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (يونس: 61).

فقد علم سبحانه وتعالى ما كان وما يكون وما سيكون كيف يكون إذا كان . إيمان
المؤمن أن يؤمن بأقدار الله سبحانه وتعالى ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم
يكن ليصيبه، وكذلك قال النبي ﷺ لابن عباس: " يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ
تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ
اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ
أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ
الصُّحُفُ"².

¹ البيهقي، السنن الكبرى، ج 10، ص 204، حديث رقم: 20664 ؛ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج 37، ص 378، حديث رقم: 22705 ؛ والترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: محمد أحمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج 4، ص 457، حديث رقم: 2155 ؛ قال الألباني: صحيح .
² رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج 4، ص 667، حديث رقم: 2516، وقال حديث حسن صحيح .

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الست لحديث جبريل الذي رواه مسلم عن عمر

بن الخطاب رضي الله عنه حيث سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال: " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"¹.

المطلب الأول: تعريف القدر:

اختلف العلماء في تعريف القدر، ويمكن حصر اختلافهم على اتجاهين:

الاتجاه الأول: على أن القدر: علم الله تعالى السابق للأشياء قبل وقوعها²، أو أنه علم الله

تعالى بما يكون عليه المخلوقات بالمستقبل³.

الاتجاه الثاني: على أنه " النظام المحكم الذي وضعه الله بهذا الوجود والقوانين الطبيعية

التي سيره عليها، وأن كل ما فيه قد خلقه الله بمقادير معينة"⁴، أو أنه " السنن التي سنها الله

لهذا الكون، والنظام الذي سلكه به، والقوانين الطبيعية التي سيره عليها، وأن كل ما فيه قد

خلقه بمقادير معينة"⁵.

ويلاحظ على التعريفات السابقة أن أصحاب الاتجاه الأول نظروا إلى القدر على أنه

صفة من صفات الله سبحانه وتعالى فهو عندهم علم الله الأزلي للأشياء قبل وقوعها وهذه

صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، في حين نظر أصحاب الاتجاه الثاني إلى القدر على أنه

¹ مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج 1، حديث رقم 8، ص 29 البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج 1، ص 20، حديث رقم 50، صحيح على شرط الشيخين .

² الأشقر، عمر، القضاء والقدر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1410 هـ - 1990 م، ص 27، وابن عثيمين، محمد بن صالح، المحاضرات في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الرياض، مكتبة طبرية، ط1، 1413 هـ - 1993 م، ج2، ص 597 .

³ ياسين، الإيمان أركانه ونواقضه، ص 125 .

⁴ سابق، السيد، العقائد الإسلامية، لبنان، دار الفكر، د.ط، 1978 م، ص 93 .

⁵ الطنطاوي، علي، تعريف عام بدين الإسلام، الأردن، دار الفرقان، د.ط، 1985 م، ص 151 .

فعل من أفعال الله سبحانه وتعالى فهو عندهم النظام المحكم الذي وصفه الله سبحانه وتعالى
أو السنن التي أسنها الله سبحانه وتعالى لهذا الكون وهذه من أفعاله جل وعلا .

ولإيضاح الأمر لابد من بيان مفهوم القضاء وعلاقته بالقدر:

القضاء: وقوع الأشياء وفق علم الله تعالى السابق لها¹ . أو هو: تقدير الله تعالى للأمور
وكتابته لذلك، وكونها تجري بحكمة ودقة على حسب ما أَرادها سبحانه وقضاها² .

وبناءً على ذلك فإن هناك علاقة بين مفهومي القضاء والقدر أو تداخل بينهما، ولذلك فإن
العلماء اتجهوا للعلاقة بين مفهومي القضاء والقدر إلى أربعة اتجاهات هي:

الاتجاه الأول: أن القضاء: إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه
في وجودها الحادث .

والقدر: إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحددة بالقضاء في نواتها وصفاتها وأفعالها
وأحوالها وأزمنتها وأمكنتها وأسبابها³ .

الاتجاه الثاني: أن القضاء: هو الخلق الراجع إلى التكوين، والقدر: هو التقدير وهو جعل
الشيء بالإرادة على مقدار محدد قبل وجوده ثم يكون وجوده في الواقع بالقضاء وفق التقدير⁴ .

الاتجاه الثالث: أنهما بمعنى واحد ولا فرق بينهما، وتأخذ لهما عنواناً مشتركاً ومدلولاً
واحداً، فمعنى القضاء والقدر معاً: هو إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص ثم إيجادها
فعالاً وفق المراد¹ .

¹ انظر، الأشقر، عمر، القضاء والقدر، ص 27 ، وابن عثيمين، شرح الواسطية، ج2، ص 597 .

² الجلي، العقيدة الإسلامية، ص 353 .

³ ينظر: حبيكة، العقيدة الإسلامية، ص 729 .

⁴ ينظر: حبيكة، العقيدة الإسلامية، ص 730 .

الاتجاه الرابع: أن القضاء والقدر من المصطلحات التي يصح فيها القول القائل: إذا

اجتمعما الفترقا، وإذا افترقا اجتمعما، فإن اجتمعما فكل منهما مفهومه الخاص به، فالقدر علم الله

السابق أو تقدير الله السابق للمخلوقات، والقضاء: إيجاد الأشياء على الهيئة التي قدرها الله

لها².

وإذا افترقا، فإذا قيل، هذا قدر الله، فهو شامل للقضاء، فالقدر إذا أطلق شمل القضاء،

والقضاء إذا أطلق شمل القدر³.

ويصح معنى القضاء والقدر معاً: هو إرادة الله إيجاد الأشياء على وجه مخصوص ثم

إيجادها فعلاً وفق المراد⁴.

المطلب الثاني: ذكر القدر في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام لموضوع القدر إما صراحة بذكر القدر أو ذكر القضاء أو عن

طريق ذكر ما يجري في الكون من أحداث مقدره من الله سبحانه وتعالى سواء كانت هذه

الأحداث كونية من سنن الله سبحانه وتعالى أم أحداث تجري على الإنسان مثل أجل الإنسان

ورزقه، ما يقع على الإنسان من خير أو شر . ثم تشير سورة الأنعام في بعض آياتها أيضاً

إلى بعض سنن الله سبحانه وتعالى من ذلك سنن الله في إهلاك الظالمين المكذبين ومن ذلك:

¹ ابن حزم، علي، الفصل في الملل والأهل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1416 هـ - 1996 م، ج 1، ص 85، وينظر: المحمود، عبد الرحمن بن صالح، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، الرياض، دار الوطن، ط 2، 1418 هـ - 1997 م، ص 40 - 44، وينظر: حبنكه، العقيدة الإسلامية، ص 730 .

² ابن عثيمين، شرح الواسطية، ج 2، ص 597 .

³ ابن عثيمين، محمد بن صالح، مجموع الفتاوى والرسائل، الرياض، دار الثريا، ط 2، 1414 هـ - 1994 م، ج 2، ص 79 - 80 .

⁴ حبنكه، العقيدة الإسلامية، ص 730 .

1. قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ

أَلْتُمْ تَمْتُرُونَ ﴾ (الأنعام: 2).

معنى أجلاً: أجل الموت ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾: أجل القيامة، وقيل الأجل الأول ما

بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني: ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الأول النوم

والثاني: الموت¹.

قال الطبري²: وأولى الأقوال عندي: ثم قضى أجل هذه الحياة الدنيا، ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

عِنْدَهُ ﴾ وهو أجل البعث عنده. وذلك لأن الله تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من

أنفسهم، فقال لهم: أيها الناس، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم

وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً أجساماً أحياءً تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم ﴿

وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ لإعادتكم أحياءً وأجساماً كالذي كنتم قبل مماتكم.

وروى أبو نعيم الحافظ في كتابه عن مره عن ابن مسعود أن الملك الموكل بالرحم

يأخذ النطفة فيضعها على كفه ثم يقول: يا رب مخلقة أم غير مخلقة، قال: يا رب ما الرزق ما

الأثر، ما الأجل؟ فيقول: أنظر في أم الكتاب، فينظر في اللوح المحفوظ فيجد منه رزقه وأثره

وأجله وعمله ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته . وخرج عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ " ما من مولود إلا وقد در عليه من تراب حفرته"³.

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 319 .

² الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج 9، ص 154 .

³ ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 388 .

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾ أي كتب لموت كل واحد منكم أجلاً خاصاً به، أي

حداً معيناً من الزمان يفنى عند حلوله، و﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ أي حد معين لبعثكم جميعاً

مثبت معين في علمه، لا يقبل التغيير ولا يقف على وقت حلوله أحد و﴿ عِنْدَهُ ﴾ أنه مستقل

بعلمه ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ استبعاد واستنكار لافتراءهم في البعث، بعد معاينتهم لما ذكر من

الحجج الباهرة عليه¹.

2. قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ

بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنعام: 17) .

الضر اسم للألم والحزن والخوف وما يفضي إليها أو إلى أحدها والنفع اسم للذة
والسرور وما يفضي إليها أو إلى أحدها، والخير اسم للقدر المشترك بين دفع الضر وبين
حصول النفع، فإن كان الأمر كذلك فقد ثبت الحصر في أن الإنسان إما أن يكون الضر أو الخير
لأن زوال الضر خير سواء حصل فيه اللذة أم لم تحصل . وإذا ثبت هذا الحصر فقد بين الله
تعالى أن المضار قليلها وكثيرها لا تندفع إلا بالله، والخيرات لا يحصل قليلها ولا كثيرها إلا
بالله، والدليل على أن الأمر كذلك، أن الموجودات إما واجب لذاته وإما ممكن لذاته، أما الواجب
لذاته فواحد فيكون كل ما سواه ممكناً لذاته والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته، وكل
ما سوى الحق فهو إنما يحصل بإيجاد الحق وتكوينه فيثبت أن اندفاع جميع المضار لا يحصل
إلا به وحصول جميع الخيرات والمنافع لا يكون إلا به².

¹ القاسمي، محاسن التأويل، ج 3، ص 27 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 494 .

قال ابن عاشور¹: الضر: الحال الذي يؤلم الإنسان، وهو من الشر، ويقابله النفع، وهو من الخير، وهو الملائم، والمعنى إن يقدر الله لك الضر فلا يستطيع أحد كشفه عنك إلا هو إن شاء ذلك، لأن مقدراته مربوطة ومحوطة بنواميس ونظم لا تصل إلى تحويلها إلا قدرة خالقها جل وعلا.

قال ﷺ " اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ"².

3. قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (42) قُلُوبًا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (43) (الأنعام: 42 - 43) .

هذا إخبار للنبي ﷺ عن سنته جل وعلا في الذين خلو قلوبهم من الأمم على منهاجهم في تكذيب الرسل ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ يا محمد ﴿ إِلَىٰ أُمَمٍ ﴾ يعني إلى جماعات وقرون ﴿ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ ﴾ يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالبأساء وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ وهي الاسقام والعلل العارضة في الأجسام ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ليضرعوا، ويخلصوا لي العباد، ويوجهوا رغبتهم إليّ دون غيري بالتذلل منهم لي بالطاعة والاستكانة منهم إليّ بالإجابة، وفي الكلام محذوف قد استغني عنه بما دل عليه الظاهر عند ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

¹ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 6، ص 42 .

² البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، القاهرة، دار الشعب، ط 1، 1407 هـ - 1987 م، كتاب بدء الوحي، باب الذكر بعد الصلاة، ج 1، ص 214، رقم الحديث: 844، قال الألباني: صحيح .

فَأَخَذْنَاَهُمْ ﴿١﴾، وإنما كان سبب أخذه إياهم تكذيبهم وخلافهم أمره لا إرسال الرسل إليهم، فهذا إذا جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عندما أخذناهم بالبأساء والضراء، تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته فيصرف ربهم عنهم بأسه وعذابه¹.

قال ابن عاشور²: لما أُنذِرهم بتوقع العذاب أعقبه بالاستشهاد على وقوع العذاب بأمر من قبل، ليعلم هؤلاء أن تلك سنة الله في الذين ظلموا بالشرك.

4. قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام: 44).

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي تركوا، لأن التارك للشيء إعراضاً عنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من النعم والخيرات أي كثرت لهم ذلك ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ بطروا وأشروا وأعجبوا وظنوا أن ذلك العطاء لا يبيد، وأنه دال على رضا الله عز وجل عنهم ﴿ أَخَذْنَاَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي استأصلناهم وسطونا بهم فجأة وهي الأخذ على غيرة ومن غير تقديم إمارة، وهي أنكى، فكان ذلك استدراجاً من الله تعالى لقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (الأعراف: 183)، ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ المبلس: الباهت الحزين الأيس من الخير³.

قال الإمام أحمد عن عقبه بن عامر عن النبي ﷺ قال: " إِذَا رَأَيْتَ اللّهَ يُعْطِي العَبْدَ مَا

يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعْاصِيهِ، فَإِلْمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ " ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 241 - 243 .

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 98 .

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 426 - 427 .

مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً
فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ¹ .

5. قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: 116) .

يخبر تعالى عن حال أكثر أهل الأرض من بني آدم أنه الضلال وهم في ضلالهم ليسوا
على يقين من أمرهم وإنما هم في ظنون كاذبة وحسبان باطل لأن الخرص هو الخرز، وذلك
كله عن قدر ومشيتته، فييسرهم لذلك، وكلُّ ميسر لما خلق له².

وسبب هذه الأثرية أن الحق والهدى يحتاج إلى عقول سليمة، ونفوس فاضلة، وتأمل
في الصالح والضار، وتقديم الحق على الهوى، والرشد على الشهوة ومحبة الخير للناس، وهذه
صفات إذا احتل واحد منها بطرق الضلال إلى النفس بمقدار ما انتظم من هذه الصفات،
واجتماعها في النفوس لا يكون إلا عن اعتدال تام في العقل والنفس وذلك بتكوين الله وتعليمه،
وهي حالة الرسل والأنبياء، أو عن اقتداء بمرشد معصوم كما كان عليه أصحاب الرسل
والأنبياء وخيرة أممهم فلا جرم كان أكثر من في الأرض ضالين وكان المهتدون قلة ممن ابتغ
الضالين أضلوه³ .

¹ ابن حنبل، مسند أحمد، ج 28، ص 547، حديث رقم: 17311، حديث حسن .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 188 .

³ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 7، ص 18 - 21 .

لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم ﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ وهو ظنهم أن

آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهاهم ﴿ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يقدرون أنهم على شيء

أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا¹.

6. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا

يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام: 123) .

أي جعلنا في كل قرية أكابر ليمكروا فيها وذلك يقتضي أنه تعالى إنما جعلهم بهذه الصفة لأنه أراد منهم أن يمكروا بالناس فهذا يدل على أن الخير والشر بإرادة الله تعالى قال الزجاج: إنما جعل المجرمين أكابر لأنهم لأجل رئاستهم أقدر على الغدر والمكر وترويح الأباطيل على الناس من غيرهم ولأن كثرة المال وقوة الجاه يحمل الإنسان على المبالغة في حفظهما وذلك الحفظ لا يتم إلا بجميع الأخلاق النميمية من المكر والكذب، والغيبة والنميمة، والإيمان الكاذبة².

قال الزمخشري³ يعني: وكما جعلنا في مكة صنائديها ليمكروا فيها، كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها، ومعناه: خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ لأن مكرهم يحيق بهم.

يعني أنه جل وعلا شبه أكابر المجرمين من أهل مكة في الشرك بأكابر المجرمين في أهل القرى في الأمم الأخرى، أي أن أمر هؤلاء ليس ببدع ولا خاص بأعداء هذا الدين، فإنه

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 8، ص 343 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 135 .

³ الزمخشري، الكشاف، ج 8، ص 344 .

سنة المجرمين مع الرسل الأولين فالجعل بمعنى: الخلق، ووضع السنن الكونية وهي سنن خلق أسباب الخير وأسباب الشر في كل مجتمع وخاصة القرى، وفي هذا تنبيه على أن أهل البداوة أقرب إلى قبول الخير من أهل القرى، لأنهم لبساطة طباعهم من الفطرة السليمة، فإذا سمعوا الخير تقبلوه بخلاف أهل القرى، فإنهم لتشبثهم بعوائدهم وما ألفوه بنفرون من كل ما يغيره عليهم ولهذا قال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَي النَّفَاقِ ﴾ (التوبة: 101)، فجعل النفاق في الأعراب نفاقاً مجرداً، وفي أهل المدينة نفاقاً مارداً¹.

المبحث الثامن: الأثر التربوي للأصل العقدي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام:

إن الإيمان الجازم الذي لا يخالطه شك بأن الله سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون وما فيه وخالق كل شيء أنه وحده المستحق للعبادة والطاعة واصطفى رسلاً على سائر خلقه مبشرين ومنذرين ومؤيدين بالمعجزات وأنزل معهم المنهاج الذي تحتكم إليه الأمم أنه تعالى خلق الملائكة والجن لغاية يعلمها هو وهم موكلين بأعمال ولهم صفات خاصة وأن الله أجرى في هذا الكون سنن وقوانين تحكمه وتحكم من فيه وقدر أقداراً تقضى بإنه وجعل في نهاية هذه الحياة يوماً آخر هو يوم الفصل بين الناس وهو يوم الحساب إنما بعده إما نعيم دائم وخلود بلا موت وإما شقاء وتعاسة وعذاب دائم وخلود لا موت وعليه فإن الإيمان بهذه كله على الإجمال والتفصيل لينعكس سلوكاً عملياً في واقع حياته ومن ذلك:

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 36.

1. استحضر عظمة الخالق جل وعلا في كل وقت وحين وفي كل صغيرة وكبيرة سرّاً كان ذلك أم علناً .

2. إخلاص النية لله سبحانه وتعالى في كل قول وعمل لتصبح كل أعماله عبادة يبتغي بها وجه الله سبحانه وتعالى ليصبح لديه هدفاً سامياً يسعى إلى تحقيقه باستمرار وهو الفوز برضا الله سبحانه وتعالى ودخول الجنة .

3. الالتزام التام بمنهج الله سبحانه وتعالى وعدم مخالفته أياً كانت الأسباب ومهما كانت الظروف وفي أي موضع كان وبحسب الصلاحيات والمسؤوليات فلا يجعل الحاكمية إلا لله ولا يقدم شيئاً على أمر الله سبحانه وتعالى .

4. التعمق بالنظر في آيات الله في الكون والبحث الدائم عما به من أسرار وقوانين لاستغلالها والاستفادة منها وفق ما أراد خالقه جل وعلا للوصول إلى أعلى درجات النفع من التسخير ليحقق بذلك العيش الكريم والمعنى الحق للاستخلاف .

5. التمتع بالإيجابية والإقدام وحب العمل وإتقانه وعدم اليأس والقنوط مهما حصل له من سراء أو ضراء فلا يغتر بالطاعة والنعيم ولا ييأس من المعصية وذنك العيش ويرضى بأقدار الله سبحانه وتعالى التي لا تدفع ويستسلم لها ويدفع ما يكمن دفعه من الأقدار بنفس عالية وهمة كبيرة وبالكيف الذي أراده الله منه .

6. جعل الولاء والبراء لله سبحانه وتعالى فيوالي من والى الله ويعادي من عادى الله معلناً الحرب دائماً على أعداء الله وعلى رأسهم الشيطان والشر وأعاونهم بكل ما أوتي من قوة واستطاعة وبحسب ما يكون مناسباً ويقدر الحاجة لذلك .

7. السعي دائماً بأن تكون حياته وأعماله وتصرفاته وفق سنن الله في الكون وقوانينه لينجح ويفوز برضا الله فلا يعارضها فيخسر و يجعل من هذه القوانين والسنن مبادئ عامة في حياته يسير وفقها لا يخالفها مهما حصل .

8. التحرر من كل الأوهام والأساطير والخرافات وكل سلطة غير سلطة الله سبحانه وتعالى فلا يتعلق إلا بالله ولا يدعو إلا الله ولا يسأل إلا الله ولا يتذلل إلا لله فهو على نور وبينه من الله يعلم أن النافع والضار والمعز والمذل هو الله وأن الخير بيده وحده دون غيره وما دونه بحاجة إليه وهو غني عن العالمين فيسعى دائماً ليكون في معية الله لأنه يعلم أن من كان الله معه فمن عليه .

9. تعظيم حرمانات الله والسعي الدائم لبث الخير والدعوة إليه ومحاربة الرذيلة وسترها ومنع نقشها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر محتسباً كل ما يواجهه في سبيل الله سبحانه وتعالى .

10. محبة كل المسلمين والسعي للتأليف بينهم ونبذ الفرقة والاختلاف، يحبهم في الله ويحب الخير الذي فيهم ويكره عصيان العاصي منهم ويرشده ولا يفضل أحداً على المسلمين أياً كان ومهما كانت صلته به ويسعى دائماً لتوحيد الكلمة والصف مع جماعة المسلمين ولا يشذ عنهم مهما حصل .

11. عدم السعي للحصول من الدنيا إلا على ما يوفر له العيش الكريم والحياة الكريمة الآمنة فلا يقبل عليها بكل طاقاته ولا يغتر بما فيها من متاع وشهوات بل يسعى دائماً لاستغلال ما في يده من الدنيا للفوز برضا الله سبحانه وتعالى معلناً بذلك حالة التوازن بين الدنيا والآخرة مقدماً أمر الآخرة على أمر الدنيا في حالة التعارض رافضاً لمبدأ الرهينة والانقطاع عن الدنيا بكل ما فيها من أجل الآخرة .

12. الرضا بما قسم الله له في هذه الحياة فلا ينظر إلى ما في أيدي الناس ويتمنى لهم الخير والسعادة ويبتعد عن الحسد والكراهية والحقد ليبقى عزيزاً كريماً عفيفاً مترفعاً عن كل نقص أو خلل متذللاً لعباد الله المؤمنين الطائعين .

13. البقاء دائم التفكير في نفسه وما بها من نعم عظيمة وأجهزة دقيقة واضعاً نصب عينيه أن هذه النفس كالحصان الجامح إن تركت لشهواتها ورغباتها ولم تضبط بشرع الله افلنت وعصت أمره وأصبحت شريرة يصعب السيطرة عليها فيسعى دائماً إلى ترويضها وعدم اتباع شهواتها ومحاربة الشر الذي بها دافعاً بها نحو الخير والصلاح لتصبح نفساً مطمئنة بإذن الله .

14. الإيمان بوجود الملائكة وأنهم من عالم الغيب غير المدرك وغير المحسوس ويحبهم لالتزامهم بطاعة الله تعالى وقيامهم بالأعمال التي وكلوا بها خير قيام بما يعود بالنفع عليه وعلى غيره من مخلوقات الله تعالى ساعياً بنفسه إلى التسامي والعلو والرفعة والعزة والكمال مستمراً بفعل الخير مستزيداً منه مشبهاً بالملائكة مبتعداً عن كل ما يؤذيهم من أقوال وأفعال وتصرفات .

15. السعي دائماً للتضحية في سبيل الله والإقدام وحب الجهاد والموت في سبيل الله متحرراً من الخوف إلا منه سبحانه وتعالى دائم التفكير في ذلك .

16. عدم الشعور بالاغتراب والوحدة بل بالأنس والطمأنينة والمثابرة على فعل الخير لعمله بوجود الملائكة التي تبارك أعمال الخير منه وتحصيها وتكره أعمال الشر منه وتحصيها وتحفظه من كل شر ومكروه وتكون له عوناً وسنداً في حياته وبعد مماته بإذن الله تعالى.

17. الإيمان بوجود الجن وأنهم من عالم الغيب غير المحسوس ولا المدرك وأنهم خلق من خلق الله تعالى وأن منهم الطائعين ومنهم العاصي وأن الشيطان أكبر عصاتهم وأنه عدو الله

وملائكته ورسوله وكل المؤمنين الصالحين ويسعى بكل ما أوتي من قوة لصد المؤمنين وإخراجهم من طاعة الله وعبادته إلى عصيان أمره كما أخرج آدم حواء من الجنة فيحذر منه ويحذر المؤمنين منه ومن مكائده مستعيناً عليه بالله وبالذكر وبأفعال الخير والثبات عليها ودوام الإستعاذة منه ومن شره بالوسائل والأساليب الصحيحة التي بينها الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم .

18. العلم أن الجن مهما بلغ من القدرة والعلم فإنه لا يعلم الغيب ولا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله فلا يكون أسيراً للأوهام والخرافات والأساطير والسحر والشعوذة إنما يؤمن بوجود الجن وتأثيره ولكنه مع ذلك يؤمن أن النافع والضار هو الله وبه سبحانه يدفع ضرر الخلق كله عنه ويحفظه من شر المخلوقات أيأ كانت .

19. السعي دائماً لمخالفة الشيطان وأن لا يكون في زمرة ويصر على معاندة واتخاذ عدواً والحرص دائماً على أن يكون في زمرة الطائعين لله سبحانه وتعالى من الملائكة والأنبياء والرسول وعامة المؤمنين .

20. استحضر عظمة الخالق جل وعلا وقدرته عند إيمانه بوجود خلق عظيم مثل الملائكة والجن وقدراتهم العظيمة وأنهم كلما عظموا وعظمت قدرتهم فإن خالقهم أكبر وأعظم فيؤدي ذلك إلى مزيد من تعظيم الله سبحانه وتعالى والتذلل والخضوع له وعدم الالتجاء إلا إليه والاستزادة من أعمال الخير والطاعات اعترافاً بالعبودية وشكراً لله خاصة إذا علم أن من أعمال الملائكة الدعاء والاستغفار للمؤمنين الطائعين لربهم .

21. محبة رسل الله تعالى أجمعين وتوقيرهم واحترامهم والصلاة عليهم وعدم التفريق بينهم والاعتقاد بأن الله اصطفاهم وفضلهم على جميع خلقه ليكونوا للناس هدأة مبشرين ومنذرين وأنهم في أعلى درجات الكمال الإنساني أدو الأمانة وبلغوا الرسالة على أتم وجه

وأكمل صورة وتحملوا الأذى وصبروا واحتسبوا عند الله فهم قدوة ومثل أعلى في الاستقامة والسلوك والدعوة إلى الله عز وجل والاعتقاد بأن سيدهم وخاتمهم نبينا محمد عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام .

22. الثقة المطلقة بأن كل ما جاء به الرسل عن ربهم جل وعلا هو صدق وحق فهم الموصوفون بالصدق والأمانة معصومون عن كل نقص وخلل ليورث ذلك الثقة الاطمئنان بكل ما صح عنهم مما جاءوا به عن ربهم جل وعلا .

23. التأسى بالرسول في الدعوة إلى الله فلا ييأس ولا يضعف ولا يستكين مها واجهه من التحديات والصعوبات ليعلم علم اليقين أن التعامل مع البشر وتغيير الأفكار والمعتقدات والاتجاهات وتحويل السلوك لهو من أصعب الأعمال ولا يأتي بسهولة بل بحاجة إلى صبر وجهد وإصرار وقوة بأس وتحمل أذى .

24. استحضار محبة الله سبحانه وتعالى وعنايته ورحمته بالخلق أجمعين حيث بعث بكل أمة رسول خاص بها وأنزل معه الكتاب الذي يمثل المنهج والمعجزة التي تمثل دليل الصدق على ما جاء به الرسول فتزداد محبته للمخالف جل وعلا ويدفعه لمزيد من العمل والعبادة والتوحد والتقرب إليه جل وعلا لمزيد من الشكر .

25. محبة الرسول باعتباره خير الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين وإبراز أثر ذلك سلوكاً عملياً باتباع ما جاء به عن ربه ومتابعته بذلك والافتداء به وتقديم سنته على أي رأي آخر مهما كان ولمن كان .

26. احترام الكتب السماوية كلها المنزلة من الله والمذكورة في القرآن الكريم واحترام ما جاء فيها من عقائد وشرائع إذ أن مصدرها واحد وأن ما فيها من عقائد يجب أن يكون منسجماً مع ما جاء بالقرآن الكريم لا تعارض بينها مع إقرار الاختلاف في الشرائع فإن

حصل اختلاف وتعارض فإن مرده إلى ما طرأ عليها من تشويه وتحريف من فعل البشر وأصحاب المطامع والمصالح وهذا لا يؤثر في أصل نسبة هذه الكتب إلى الله ولا يؤثر في الاحترام والتقدير والإجلال لهذه الكتب .

27. المحبة المطلقة للقرآن الكريم باعتباره آخر الكتب السماوية والمعجزة الخالدة للرسول محمد ﷺ والإيمان الكامل والمطلق به جملةً وتفصيلاً والاعتقاد الكامل بأنه الكتاب الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه على مر الزمان والمكان وإبراز ذلك بالاندفاع إلى تلاوة القرآن الكريم وتعلم علومه وفهمه والتفقه فيه والدعوة إليه والاعتزاز به وتطبيق كل ما جاء به في واقع الحياة وعدم مخالفة واعتباره الدستور الأول والمرجع الأول في حياة الإنسان المسلم .

28. الاعتقاد الجازم أن القرآن الكريم الكتاب الوحيد الذي يصلح ويُصلح كل زمان ومكان وكل شأن من شؤون الحياة وأن لا فلاح ولا نجاح لأي أمة أو جيل إلا إذا تمسكت به واهتدت بهديه واستخلصت منه منهاج حياتها كله بما في ذلك مجالات التربية والتنشئة والتعليم، ذلك لأن القرآن خاتم الكتب السماوية والمعجزة الخالدة .

29. الإنتباه إلى قضية الإعداد المستقبلي من قبل التربويين والقائمين على التربية بكل مراحلها من ذلك إعداد المكان وتهيئته بأحسن الظروف ثم ملاحظة طبائع الجيل وما يناسبه والإعداد الجيد للمناهج بحيث تتناسب مع المرحلة والظروف والزمان والمكان ثم الاختيار الجيد للمربين بدقة متناهية وبما لديهم من صفات تؤهلهم لذلك فقد أحسن الله كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم اصطفى من بين البشر رسلاً وأنزل معهم المنهاج الذي يناسب الزمان والمكان والمرحلة .

30. عدم الاغترار بالدنيا لأنها عند المسلم دار ابتلاء وامتحان وصبر وعمل وتحمل وليست دار قرار وملذات فلا يكثرث لما يحصل له فيها بل يسعى للنجاح والفوز برضا الله والجنة.

31. عدم الاغترار بالصحة وصغر السن والعافية لأنه يعلم أن الموت قادم ولا يفرق بين صحيح ولا سقيم ولا كبير ولا صغير بل سيأتي في وقته الذي قدره الله له لا يتقدم ولا يتأخر ليبقى المسلم في حالة تأهب واستعداد تام لملاقاة ربه جل وعلا متهيأ لذلك نفسياً ومعنوياً وعملياً .

32. استحضار المزيد من الشعور بعظمة الخالق جل وعلا عندما يعلم أن لا أحد يعلم متى الساعة ومتى الموت ولو كان خير البشر محمد ﷺ وخير الملائكة جبريل عليه السلام فيزداد حبه كذلك للنبي محمد ﷺ ولجبريل عليه الصلاة والسلام إذ قدما اعترافاً بعدم علمهما بالساعة حين سأل جبريل النبي عن الساعة فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل فكلاهما لا يعلم وفي هذا إشارة تربوية عظيمة وهي أن الإنسان ما بلغ من العلم فإن علمه محدود وله سقف لا يتجاوزه وعلم الله مطلق وحال الإنسان دوام الدعوة إلى الله بقوله: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (طه: 114)، وتبقى حالة عمله كما وصفه خالقه

جل وعلا: ﴿ وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًا ﴾ (الإسراء: 85)، ولذلك لا يتحرج من قول لا أعلم فقد قالها سيد البشر وسيد الملائكة وفي ذلك أيضاً إشارة تربوية هامة وهي أن على المتعلم أن يتتبعه إلى قضية خطيرة جداً وهي الخوض في مسائل الغيب بالعقل والاجتهاد والتأويل والترجيح الذاتي بل يترك الأمر لصاحب الأمر جل وعلا ويكتفى به بما ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة ويكون ذلك ضمن منهجية علمية وضوابط

خاصة في التعامل مع هذه النصوص بما يكفل البعد عن التأويلات والترجيحات والتحميلات الخاطئة والخروج بتصوير واضح وصحيح لها يؤدي إلى الوحدة في الفهم والاعتقاد وبخلاف ذلك يحدث الخلل والفوضى والانشقاق وبالتالي ضياع الأجيال وتشويه الاعتقاد إذ أن إيمان المؤمن لا يصح إلا إذا آمن بالغيبيات إيماناً صحيحاً منهجياً علمياً كما أراده الله واعتقد بها اعتقاداً يقينياً لا مجال للشك فيه على الوجه الصحيح بحيث تصبح جزءاً من منظومته الفكرية والعقدية بما يكفل بروز آثارها سلوكياً عملياً على جوارحه المختلفة فهي الأساس الذي ينبثق عنه سائر التصرفات المختلفة ومن ثم يحتذى بمنهجية الإصلاح هذه إلى باقي القطاعات ومنها المناهج التربوية المختلفة في المراحل الدراسية كلها بما يكفل خروج جيل منضبط الفهم والسلوك ويقترح الباحث لذلك عمل مؤسسي منهجي علمي بحيث يتم التأسيس لذلك وفق مؤسسة خاصة يتم فيها اختيار نخبة من علماء المسلمين المختصين بمجال العقيدة الإسلامية ليقوم هؤلاء بحصر جميع النصوص العقدية من القرآن وصحيح السنة ثم الاتفاق على فهم واحد واضح لجميع هذه النصوص تلتزم به الأمة الإسلامية جميعها وتعتمد في المناهج التربوية المختلفة ويمنع مخالفتها لتكون هذه نواة لعمل مؤسسي منهجي لبقية الأمور التي قد يحدث فيها نوع من الفوضى والاختلاف.

33. مراقبة الإنسان المسلم أعماله كلها صغيرة كانت أم كبيرة سراً أم علناً لأنه يعلم أنها

ستحصى عليه من قبل الملائكة فهم يكتبون كل شيء حتى أنفاسه وأن كل شيء يعلم الله الذي لا تخفى عليه خافية وأن أعماله هذه ستعرض على الخلائق يوم المحشر لهذا فالمسلم دائم التفكير بهذا الموقف العظيم ويسعى بأن تكون صحيفته بيضاء نقية يبيض بها وجهه أمام الله والخلائق .

34. انتظار الموت وتذكره هدف من أهداف المؤمن إذ أن الموت بالنسبة له أمر ثابت لا يمكن نسيانه أو تجاهله فهو وسيلة الضبط والضغط على النفس وهواها ومن أكبر وسائل كبح جماحها بما يكفل انضباطها واستقامتها على الطريق الصحيح المؤدي إلى الفوز بالدارين.

35. المسلم دائم الخوف والرجاء والتعظيم لله سبحانه وتعالى فلا يقل ولا يفعل إلا ما يرضيه جل وعلا وإذا خرج عن جادة الصواب ذكر الله واستغفر وعاد ولم يصر على ما فعل قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: 135)، فهو وقاف عند حدود الله سبحانه وتعالى يعظمه في نفسه وقلبه وعقله وفي أعماله وأقواله لعلمه بأنه جل وعلا سيفني الخلق أجمعين ويبقى وحده قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) ﴾ (الرحمن: 26 - 27)، وأنه سيبيح الخلق أجمعين بعد موتهم ويحشرهم ويحاسبهم على أعمالهم كلها قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ (الزلزلة: 7-8)، وقال أيضاً: ﴿ وَيَقُولُونَ يَا بُولِتِنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف: 49)، وستعرض هذه الأعمال على الخلائق جميعاً وسيشهد الخلق كلهم أهوال هذا اليوم العظيم وما به من مسرات وملذات للطائعين وأهوال ومصائب للعصاة المعاندين بهذا كله آيات وعلامات دالة على كمال

قدرة وعلم الخالق جل وعلا وعظمته فتزداد في نفس المؤمن الخوف والرجاء من العظيم
جل وعلا ويزداد معه سعيه للاستعداد لمواجهة هذه الأحداث فهي عنده يقين لا ينطرق
إليه الشك والنسيان .

36. في الإعلان عن وجود ثواب للطائعين السائرين على نهج الله ورسوله ووجود عقاب
للعصاة المعاندين ويوم حساب عظيم فذلك أدعى للالتزام من قبل المخاطبين وذا تأثير أشد
عليهم فنفسهم جبلت على حب الثواب والنفور من العقاب وكذلك على كل مربي أو معد
للتربية أن يتنبه إلى مثل هذا في إعلان الثواب والعقاب على الالتزام بالسلوك أو
الإنحراف عنه .

37. السعي للحصول على النعيم الموصوف عند الله سبحانه وتعالى سواء نعيم القبر أو
نعيم الحشر أو النعيم الدائم في الجنة وما بها من خيرات مما تشتهي النفس وتلذ الأعين
من حور عين ولحم طير وفواكه كثيرة وغيرها مما ذكرته آيات القرآن الكريم والسنة
النبوية تفصيلاً وإجمالاً وذلك بالاندفاع نحو العمل المؤدي إلى ذلك والثبات عليه
والاستمرار فيه.

وعلى الجانب الآخر فإن وصف ما في القبر من عذاب وما في المحشر من هول وما في
النار من جحيم وعذاب شديد مما وصفه القرآن الكريم والسنة على التفصيل والإجمال
يولد لدى النفس رهبة من هذا العذاب ونفور وكرهاً وإصراراً على عدم فعل ما يؤدي إلى
مثل هذا الاستمرار على ذلك . وفي هذا كله يتولد لدى المسلم مزيد من الشعور بعظمة
الخالق جل وعلا القادر على خلق الجنة ونعيمها، وخلق النار وجحيمها، والقادر على
محاسن الخلق بدقة متناهية بالرغم من كثرة العدد وكثرة الأعمال وتنوع الأجساد وطول
الزمان فهو خالق عظيم يتصف بصفات الكمال المطلق وكلما زاد الإنسان علماً يخالقه

وعظمته جل وعلا ازداد جياً له وطمعاً فيما عنده وخوفاً من عذابه والتزاماً بأوامره
وانتهاءً من نواهيهِ وازداد تقوىً وخشياً له جل وعلا .

38. إن النفس جبلت على حب التملك وحب الخلود، وما في الجنة من تملك وخلود لا موت
بعده، ونعيم دائم فإن ذلك يوافق هوى النفس فيستثيرها للعمل الدؤوب للفوز بالملك العظيم
في الجنة والخلود الذي لا موت بعده .

39. المؤمن جريء لا يابه من اتخاذ القرار بعد أن يأخذ بالأسباب يقدم على الأمر بكل نفس
مرتاحة لا تشغله النتائج كثيراً مهما كانت، إن كانت خيراً حمد الله وشكره، وإن كانت
غير ذلك أيضاً حمد الله وشكره لأنه يعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى هو المنكفل
بالنتائج وأن الله مهما قسم له إنما يقسم له خيراً وإن كان في ظاهره المؤقت وبالنسبة
لعلمه المحدود يعتبر أذىً أو شراً .

40. تقدير المؤمن عظمة الخالق جل وعلا وكمال صفاته حين يعلم علم اليقين أن الله وقبل
أن يخلق الخلق قد أمر القلم فكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، فيزداد به إيماناً ويزداد
يقيناً بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، ويترجم ذلك شكراً في قلبه ولسانه .

41. لا يفرح المؤمن لما يحصل له من نعم كثيرة ومسرات عظيمة ولا يغتر بذلك لما ينسيه
القيام بواجبها وواجب المنعم عليه بها، إنما يصبر على هذه النعم والمسرات ويؤدي حق
الله فيها ويشكر ربه عليها وكذلك فإنه لا يندم ولا يتأسى ولا يحزن إن فاتته شيء منها أو
أصابه مكروه أو أذى بل يصبر ويحتسب ذلك عند الله لأنه يعلم أن ما أصابه لم يكن
ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويعلم كذلك أن هذا كله قدر الله سبحانه وتعالى وهو
خير وإن كان ظاهره غيره ذلك .

الفصل الثالث

الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام

الفصل الثالث

الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام

تمهيد:

المعرفة ضرورية بالنسبة للإنسان، وهي تمثل مقوماً من مقومات حياته، فقد ميزه الله بها عن سائر خلقه، وبها حقق ذاته، وبها ينمو في صورته الفردية ويظهر خصائصه العقلية والنفسية والروحانية والوجدانية والجسمانية والإبداعية، وبها تتحقق خشيته من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: 28)، وبالمعرفة استحق الإنسان الاستخلاف في الأرض، فهي أساس بناء الحضارات وشرطاً ضرورياً لتربية الإنسان وإنمائه، لذلك فلا بد وأن يكون للمعرفة المكانة الأولى في أية فلسفة تربوية أو نظام تربوي حتى تأخذ المعرفة دورها الحقيقي في العملية التربوية بصورة تخدم الإنسان ليحقق غايته في الحياة¹.

من هنا برزت أهمية الكشف عن الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية

المستخلص من سورة الأنعام، وتفصيل ذلك:

¹ ينظر: الخوالدة، محمد محمود، أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 1425 هـ - 2004 م، ص 170 .

المبحث الأول: مفهوم الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام:

لبيان مفهوم هذا المركب لابد من بيان معاني أجزائه، وقد بينت الدراسة معنى الأصل والنظرية التربوية الإسلامية، وفي ما يلي بيان مفهوم المعرفة وما يتعلق فيها .

المطلب الأول: مفهوم المعرفة لغةً واصطلاحاً:

أولاً: المعرفة لغة: العرفان هو العلم، وعرفه الأمر: أعلمه إياه¹، وبضاد المعرفة الإنكار²، والعلم والجهل وتعارفوا: عرفوا بعضهم بعضاً، وقيل: عرفها لهم بأن وصفها لهم وشوقهم إليها وهداهم³ .

ثانياً: المعرفة اصطلاحاً: عرفها الجرجاني⁴ على أنها: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل ونسيان بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق سبحانه العالم دون العارف .

وعرفها التهانوي⁵ على أنها: إدراك البسيط تصورا للماهية، أو تصديقا بأحوالها أو هي إدراك الجزئي مفهوماً أو حكماً، أو هي إدراك الكلّي مفهوماً، أو حكماً أو هي إدراك الجزئي عن دليل أو إدراك بعد جهل .

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص 236 .

² ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1404 هـ - 1984 م، ص 660 .

³ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 331 .

⁴ الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1407 هـ - 1987 م، ص 375 .

⁵ التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون (موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية)، بيروت، شركة خياط للكتب والنشر، دط. د. ت، ج 4، ص 995 .

وقيل أنها "فعل الذات العارفة في إدراك موضوع وتعريفه بحيث لا يبقى منه أي غموض أو التباس"¹.

وقال الراغب²: المعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكير وتدبر لأثره وهو أخص من العلم وبضاده الإنكار، ويقال: فلان يعرف الله، ولا يقال: يعلم الله متعدياً إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر أثاره دون إدراك ذاته، ويقال الله يعلم كذا، ولا يقال يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستخدم في القاصر المتوصل به بتفكر .

وعرفها الرازي كذلك: على أنها حصول العلم بعد الالتباس وأنها سبق الجهل، ولهذا يوصف الله تعالى بأنه عالم ولا عارف لأن الجهل محال على الله³ .

ويمكن تعريف المعرفة: على أنها إدراك ماهية وحقيقة الأشياء أو معرفة كنهها عن طريق وسائل ومصادر المعرفة المعتمدة والمتفق عليها .

يلاحظ من من خلال تعريف العلماء للمعرفة وجود صلة بينها وبين مصطلح العلم، وللوقوف على ذلك لابد من بيان معنى العلم وآراء العلماء فيه ثم بيان درجة الصلة بين المصطلحين، وعليه فالعلم: نقيض الجهل⁴، وعلمه يعلمه علماً: عرفه حق المعرفة⁵ .

¹ مراد وهبه، المعجم الفلسفي، ط 3، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1399 هـ - 1979 م، ص 412 - 413 .

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 331 .

³ الرازي، التفسير الكبير، المجلد الأول، ج 2، ص 185 - 188 .

⁴ ابن فارس، مجمع اللغة، ج 3، ص 624 .

⁵ الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، د.ط، د.ت، بيروت، المكتبة العلمية، ج

4، ص 88 . ابن منظور، لسان العرب، ج 12، ص 418 .

المطلب الثاني: معنى العلم:

ويعرف العلم على أنه: "الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"¹ . ويعرف أيضاً على أنه إدراك الشيء على حقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدراك ذات الشيء، والثاني: الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه . فالأول يتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: 60)، والثاني المتعدي إلى مفعولين نحو قوله: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ (المتحنة: 10)² .

وعرف كذلك على أنه: الإدراك مطلقاً تصوراً كان أم تصديقاً يقينياً أم غير يقيني³ .

المطلب الثالث: العلاقة بين العلم والمعرفة:

يرى ابن قيم الجوزية أن فعل العلم وفعل المعرفة إن وقعا على مفعول واحد فهما بنفس المعنى، ذلك لأن فعل المعرفة يتعدى إلى مفعول واحد كما في قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (يوسف: 58)، وقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة: 146، الأنعام: 20)، وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: 60) . أما إن تعدى فعل العلم إلى مفعولين فلا يكون بمعنى المعرفة كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ (المتحنة: 10) . هذا من حيث اللفظ، أما من حيث

¹ الجرجاني، التعريفات، ص 200 .

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 343 .

³ التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج 4، ص 1055 .

المعنى، فإن المعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم بأحواله كقوله تعالى: ﴿ فَاَعْلَمُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ ﴾ (محمد: 19)، وقوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة: 98).

والمعرفة كذلك تأتي في الغالب لما غاب من القلب بعد إدراكه فإن أدركه قبل عرفه أو

لما وصف في صفات قامت في نفسه فإن رآه وعلم أنه الموصوف قيل عرفه، قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ (يونس: 45)،

﴿ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (يوسف: 58)، ﴿الَّذِينَ

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (البقرة: 146، الأنعام: 20).

فالمعرفة تشبه الذكر للشيء ولهذا كان ضدها الإنكار، أما الجهل فضد العلم، قال تعالى:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ (النحل: 83) . وتفيد المعرفة كذلك: العلم بالشيء

مفصلاً عما سواه بخلاف العلم فإنه يتعلق بالشيء مجملاً¹ .

ويرى الرازي أن المعرفة إدراك الجزئيات، أما العلم فإدراك الكلّيات، وعليه فإن كل

عارف عالم، وليس كل عالم عارفاً² .

وقيل أن المعرفة تطلق على ما يدرك بآثاره ولا ندرك ذاته، ويطلق العلم على ما ندرك

ذاته . ولذلك يقال: عرفت الله، ولا يقال علمته³ .

¹ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج 3، ص 337 .

² الرازي، التفسير الكبير، المجلد الأول، ج 2، ص 188 .

³ معجم اللغة العربية: مجمع ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، طبعة الهيئة العامة، 1392 هـ - 1973 م، ج 2، ص 35 .

وعليه فإن خلاصة الأمر أن هناك " ثلاثة آراء في التفريق بين العلم والمعرفة: القول بعموم المعرفة واستغراقها للعلم، والقول بعكس ذلك تماماً إلى جانب الذين لا يفرقون بينهما، بل يحملونهما على معنى واحد، والحق أن من العسير جداً وضع حد فاصل تماماً بين حدود المعرفة وحدود العلم لأن حجم الاتصال لا يقل عن حجم الانفصال بينهما، لذلك يصدق عليها القول بأنها من المعاني التي إذا التقت افترقت وإذا افترقت التقت، ويكون السياق هو المحدد الوحيد لمن رام تعريفاً بينهما¹ .

وعليه يمكن تعريف الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام: بأنه مجموعة المبادئ والقواعد المعرفية المنظمة والمتناسقة والمستنبطة من سورة الأنعام والتي تبنى عليها النظرية التربوية الإسلامية وتنطلق منها في مبادئها وأفكارها وعلومها النظرية والعملية المختلفة .

المبحث الثاني: مصادر المعرفة وأدوات اكتسابها:

تمهيد:

بعد الإطلاع على ما كتب تحت هذا العنوان يلاحظ وجود خلط بين مصادر المعرفة وأدوات اكتسابها، أما صراحة أو ضمناً فقد أشار الشيباني² إلى مصادر المعرفة بقوله: " ولكن هذه المصادر على تعددها وتنوعها يمكن إرجاعها إلى خمسة مصادر رئيسية هي: الحس،

¹ الدشني، أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دمشق، دار الفكر، ط 1، 1422 هـ - 2002 م، ص

92 .

² الشيباني، عمر التومي، فلمفة التربية الإسلامية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1988 م، ص 194 .

والعقل، والحدس، والإلهام، والوحي الإلهي، وتابعه في ذلك الخوالده¹ وزاد عليها التقليد، والتجريب، الذي قال إنه يحصل من استعمال العقل والحواس والأدوات معاً .

على أن أبا الأعلى المودودي² اعتبر كل من السمع والبصر والفؤاد أدوات للقدرة على التعلم والمعرفة، حيث قال: " أما أدوات القدرة على التعلم فمنها السمع والبصر والفؤاد، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: 78)، فالسمع معناه إحرار المعرفة التي اكتسبها الآخرون، والبصر معناه تمييزها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث، والفؤاد معناه تمييزها من أدرانها وأوشابها ثم استخلاص النتائج منها، وهذه القوى الثلاث إذا تضافرت بعضها على بعض، نجمت عنها المعرفة التي من الله بها على بني آدم، والتي بها وحدها استطاع الإنسان أن يهزم سائر المخلوقات ويسخرها لإرادته ."

وقد حاول الدغشي³ حسم الأمر والتفريق بين المصادر والوسائل أو الطرائق حسب تعبيره فبعد أن ساق خلاف العلماء وخطبهم بين مصطلحي المصادر والطرائق قال: " وخروجاً من الإلباس الذي قد يؤدي إلى عدم التحديد الواضح للمراد لمصطلحي المصادر والطرائق في هذه الدراسة، فإن الضرورة الموضوعية تقتضي المسارعة هنا إلى الإفصاح عن أنه أياً ما كان المقصود لدى الباحثين الآخرين من إطلاقهم مصطلحي المصادر والطرائق فإن المراد هنا من إطلاقهما: الأصول التي يستقي منها الباحث المسلم معرفته، والأدوات التي يتعامل بها مع الظواهر المختلفة فيما يخص الوحي والحس والعقل فحسب، أما الحدس والإلهام والرؤيا الصادقة

¹ الخوالده، محمد محمود، أسس بناء المناهج التربوية، ص 175 .

² المودودي، أبو الأعلى، المنهج الإسلامي الجديد، ط جمعية التمدن الإسلامي بدمشق، 1371 هـ - 1951 م، ص 5 .

³ الدغشي، نظرية المعرفة، ص 195 - 196 .

فمصادر ثانوية لا تتجاوز ذلك إلى الطرائق لأنها ذاتية داخلية ليست في متناول إرادة الإنسان كما هو الحال مع المصادر والطرائق الرئيسية¹.

وعند حديث الكردي¹ عن طرائق المعرفة يقول: " إن القرآن لا يوافق أبداً على اعتبار الحواس طريقاً وحيداً للمعرفة، كما أنه لا يوافق أبداً على رفض الحواس طريقاً من طرق المعرفة، وإنما تعتبر الحواس باباً للعقل في المعرفة والعقل والحواس يعملان معاً جميعاً في عملية المعرفة ".

وعليه لابد من توضيح المقصود بمصادر المعرفة وأدوات أو وسائل أو طرق اكتساب المعرفة .

فمصادر المعرفة الإنسانية في التربية الإسلامية هي المنابع الرئيسية أو الأصول الرئيسية التي يستقي منها الإنسان المسلم معارفه باستخدام ما زوده الله به من أدوات للتعامل مع هذه الأصول لاستخلاص المعارف منها .

أما أدوات المعرفة أو وسائل اكتساب المعرفة فهي ما زود الله به الإنسان من قوى أو قدرات أو استعدادات يكتسب ويأخذ من خلالها المعارف من مصادرها بحيث تدخل إلى منظومته الفكرية ويتعامل معها بما يعود عليه بالنفع المادي والمعنوي أو كلاهما .

وعليه فإن مصادر المعرفة خارجة عن الإنسان لكن لديه قدرات واستعدادات من خلالها يكتسب المعارف والعلوم المختلفة أشار إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ

أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَّا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ

¹ الكردي، راجع عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض، مكتبة المؤيد، ط 1، 1412 هـ - 1992 م، ص 587

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ (النحل: 78) . قال الطبري¹: والله أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد

ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئاً ولا تعلمون، فرزقكم عقولاً تفقهون بها وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات . والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص والأشياء وتميزون به بعضاً من بعض، (الأفئدة) أي القلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها.

قال القرطبي²: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَأَتَعَلَّمُونَ شَيْئاً ﴾ فيه ثلاثة

أقاويل: أحدهما: لا يعلمون شيئاً مما أخذ عليكم من الميثاق في اصلاص آبائكم، الثاني: لا يعلمون شيئاً مما قضى عليكم من السعادة والشقاء، الثالث: لا يعلمون شيئاً من منافعكم . وقوله " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " أي التي يعلمون بها ويدركون بها، أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي والأبصار لتبصروا آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته .

وقال القرطبي³ أيضاً في تفسيره للآية في سورة الروم: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ لَأَتَعَلَّمُونَ شَيْئاً ﴾ فمن لا يعلم شيئاً استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو انكار . إذ يستحيل في المعقول أن يكون الطفل حين ولادته يعقل كفراً أو إيماناً، لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئاً .

وعند الحديث عن معنى الفطرة قال: وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي

الخلق والفاطر الخالق، وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار،

¹ الطبري، جامع البيان، ج 14، ص 315 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 151 .

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 27 - 28 .

وإنما المولود يولد على السلام في الأغلب خلقه وطبعاً وبيئته ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة .

وقال الرازي¹ قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾

لكنه سبحانه وتعالى إنما خلقها للطاعة، والطاعة مشروطة بالعلم مبين أن أمر الطاعة لغرض العلم، والعلم لا بد منه على كل حال، فلا بد وأن تكون النفس متمكنة من تحصيل هذه المعارف والعلوم فأعطاه الحق سبحانه من الحواس ما أعانه على تحصيل هذا الغرض فقال في السمع:

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: 10)، وقال في البصر: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي

أَنْفُسِهِمْ ﴾ (فصلت: 53)، وقال في الفكر: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

(الذاريات: 21)، فإذا تطابقت هذه القوى صار الجاهل عالماً وهو معنى قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ

(1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) ﴾ (الرحمن: 1 - 2)، فالحاصل أن استعداد النفس لتحصيل هذه

المعارف هو الذهن .

وقال الشعراوي² عند تفسيره لهذه الآية: " وهكذا يعلمنا الله أن منافذ العلم في الإنسان

هي السمع والأبصار والأفئدة " .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 2، ص 422 - 423 .

² الشعراوي، محمد متولي، ج 1، ص 62 .

المطلب الأول: مصادر المعرفة:

يرى الباحث أن مصادر الإنسانية في الإسلام محصورة في مصدرين:

أولاً: معارف غيبية تؤخذ من الوحي الإلهي، من خلال القرآن الكريم وصحيح السنة إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش دوره في هذه الحياة الدنيا ويقوم بوظيفة الخلافة في الأرض ويتوجه في كل عمله إلى خالقه جل وعلا، ولا يستطيع أن يحدد وظيفته، وأن تكون له معرفة صحيحة بخالقه وبما يتطلب منه وينتهي دوره فيه بالتسليم لكل ما جاء في القرآن وصحيح السنة؛ لأنه لا يقع تحت سيطرة حواسه وقدراته، فيكفيه هنا الوثوق بكل ما جاء عن الله جل وعلا، وإمعان النظر في آيات الوحي الإلهي ليتوصل الإنسان إلى معرفة الأمور التي لا يمكن أن يتوصل إليها إلا بالخبر الصادق عن الله جل وعلا، فيتوصل إلى معرفة عالم الغيب على رأسها معرفة الخالق جل وعلا وأسمائه وصفاته، ومعرفة عالم الملائكة والجن واليوم الآخر وغيرها من الأمور الغيبية، والتي لا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان المسلم في هذه الحياة بدونها . فبمعرفة خالقه يعرف كيف يتوجه إليه وكيف يجب أن تكون علاقته بخالقه عز وجل، وبمعرفة العوالم المحيطة بالإنسان من عالم الملائكة والجن يدرك عظمة خالقه ويتعلم كيف يتعامل مع هذه العوالم من الوحي، يعرف ما ينتظره بعد الموت وما سيلقي من أحداث .

فالوحي الإلهي ينير للإنسان حياته ويوصله إلى درب السعادة خروجاً من الأوهام

والأساطير والخرافات والحيرة والالتباس إلى مثل ذلك، إشارة العديد من الآيات:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: 28)، قال

القرطبي¹: قيل معناه: كافاً للناس، تكنهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام، وقيل: أي
ذا منع للناس من أن يشذوا عن تبليغك، أو ذا منع لهم من الكفر، بشيراً بالجنة لمن أطاع، ونذيراً
من النار لمن كفر .

وقال الرازي²: أي رسالة كافة أي عامة لجميع الناس تمنعهم من الخروج عن الانقياد
لها، المعنى: أرسلناك كافة تكف الناس من الكفر، بشيراً أي تحثهم بالوعد، وتزجرهم بالوعيد،
ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم .

وقد علل الله سبحانه وتعالى إنزال القرآن إلى الرسول محمد ﷺ بإخراج الناس من
ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، قال تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ (إبراهيم: 1)، قال الطبري³: هذا كتاب أنزلناه إليك يا
محمد، يعني القرآن ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي لتهديهم به من ظلمات
الضلالة والكفر إلى نور الإيمان وضيائه، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبل الرشاد والهدى،
وذلك بتوفيق من الله ربهم ولطفه بهم . وسماه الله سبحانه وتعالى بصائر بقوله: ﴿ هَذَا بَصَائِرُ
لِلنَّاسِ ﴾ (الجاثية: 20)، قال الطبري⁴: أي هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ﴿ بَصَائِرُ
لِلنَّاسِ ﴾ يبصرون به الحق من الباطل ويعرفون به سبيل الرشاد. قال القرطبي⁵: أي هذا الذي

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 14، ص 300 .
² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 206 .
³ الطبري، جامع البيان، ج 13، ص 588 .
⁴ الطبري، جامع البيان، ج 21، ص 86 .
⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 165 .

أنزلت عليك براهين ودلائل ومعالم للناس في الحدود والأحكام . وقال تعالى أيضاً: ﴿ هَذَا

بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: 203)، قال القرطبي¹:

﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي رشد وطريق يؤدي إلى المحبة لمن أخذ به . قال ابن عاشور²:

بصائر: جمع بصيره وهي إدراك العقل الأمور على حقائقها، شبهت ببصر العين، ووصف

القرآن بالبصائر مجاز عقلي لأن ذلك سبب البصائر، قال: وإنما كان هدى لأنه طريق نفع لمن

اتبع ارشاده فاتباعه كالاقتداء للطريق الموصلة إلى المقصود، وإنما كان رحمة لأن في اتباع

هدية نجاح الناس إفراداً وجماعات في الدنيا لأنه نظام مجتمعهم ومناطق أمنهم وفي الآخرة لأنه

سبب نوالهم درجات النعيم الأبدي، وكان بصائر لأنه يبين للناس الخير والشر ويحرضهم على

الخير ويحذرهم من الشر ويعددهم على فعل الخير ويوعدهم على فعل الشرور فعمله عمل

البصيرة . والقرآن الكريم يمثل الملاذ والملجأ في حال الفرقة والاختلاف للخروج من الالتباس

وبيان الحق والصواب قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا

فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل: 64)، قال الطبري³: أي وما أنزلت يا محمد

عليك كتابنا وبعثناك إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرفهم الصواب منه

والحق من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله التي بعثك بها، ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ أي

وبياناً من الضلالة . قال الرازي⁴: المعنى: أنا ما أنزلنا عليك القرآن إلا لتبين لهم بواسطة

بيانات هذا القرآن الأشياء التي اختلفوا فيها، والمختلفون هم أهل الملل والأهواء، وما اختلفوا فيه

هو الدين مثل التوحيد والشرك والجبر والقدر، وإثبات المعاد ونفيه، ومثل الأحكام، مثل أنهم

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 16، ص 165 .

² ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 25، ص 249 - 250 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 14، ص 268 .

⁴ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 230 .

حرموا أشياء وأحلوا أشياء . وبهذا المعنى قال تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)﴾ (المائدة: 15-16).

إذاً فمعارف الوحي بالنسبة للإنسان تمثل طريق الهداية والسعادة والنجاح والفوز برضا خالقه جل وعلا، للخلود بجنات النعيم بإذن الله تعالى .

أمثلة على المعارف الغيبية في سورة الأنعام:

أشارت سورة الأنعام إلى العديد من المعارف الغيبية التي لا يمكن أن تؤخذ إلا عن طريق الوحي، من ذلك:

1. قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ

أَنْتُمْ مَمْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: 2).

قال الطبري¹ في بيان معنى هذه الآية: " أيها الناس، إن الذي يعدل به كفاركم الآلهة والأنداد هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صوراً وأجساماً أحياء بعد إذ كنتم جماداً، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم تراباً وطيناً كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم، ثم أنتم تشكون في قدرة من قدر على خلق السماوات والأرض وإظلام الليل وإنارة

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 153 - 153 .

النهار وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التي أنتم بها، على إنشائه إياكم من بعد مماتكم
وفنائكم وإيجاده إياكم بعد عدمكم " .

2. قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنعام: 15).

قال ابن كثير¹: يوم عظيم: أي يوم القيامة .

3. قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ

رَبِّنَا وَكَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام: 27) .

يقول ابن كثير²: يذكر تعالى حال الكفار، إذا وقفوا يوم القيامة على النار، وشاهدوا ما
فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا " يا
ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين"، يتمنون أن يردوا إلى الدنيا، ليعملوا
صالحاً، ولا يكذبوا بآيات ربهم، ويكونوا من المؤمنين .

قال القرطبي³: " ولو ترى إذ وقفوا على النار" أي إذا وقفوا غداً و (إذ) قد تستعمل في

موضع (إذا) و (إذا) في موضع (إذ)، وما سيكون فكانه كان، لأن خبر الله تعالى حق
وصدق، فلهذا عبر بالماضي .

يقول الرازي في تفسيره لهذه الآية⁴ قوله ولو ترى يقتضي جواباً وقد حذف تفخيماً للأمر

وتعظيماً للشأن، وجاز حذفه لعلم المخاطب به، وأشباهه كثيرة في القرآن والشعر . ولو قدرت

الجواب، كان التقدير: لرأيت سوء مُتقلبهم أو لرأيت سوء حالتهم، وحذف الجواب في هذه

الآيات أبلغ في المعنى من إظهاره .

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 142 .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 144 .

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 408 .

⁴ الرازي، مفتاح الغيب، ج 12، ص 507 - 508 .

4. قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ

وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام: 94) .

أي كما بدأناكم أعدناكم، وكنتم تتكرون ذلك وتستبدون، فهذا يوم البعث¹ .

وغيرها من الآيات التي بينت عوالم الغيب جميعها مما ذكر في فصل الأصل العقدي

للنظرية التربوية في سورة الأنعام في هذه الأطروحة .

ثانياً: معارف حسية تؤخذ من الكون بما فيه .

والكون فيه قسمان فرعيان هما: 1. الآفاق 2. النفس .

قال تعالى: ﴿ سُنِّرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

(فصلت: 53)، وقال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ (20) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ ﴿ (الذاريات: 20 - 21)، وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الروم: 22)،

وتفصيل ذلك:

1. الآفاق: إن الكون بما فيه بالنسبة للإنسان المسلم يمثل " الكتاب المفتوح المملوء

بالمعارف، وما عليه إلا أن يفتح صفحاته، ويتأمل بما منحه إياه من عقل ما أودعه الله في هذه

الصفحات من بدائع الصنع ودقة النظام وأسرار حكمته وعظم آياته، وفيما أرساه الله من قوانين

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 176 .

وسنن يسير وفقها كل شيء في هذا الكون وتدل بدقتها واضطرارها على وجود الخالق العليم الحكيم الكامل الإرادة والقدرة جل وعلا¹.

وقد دعا القرآن الكريم الإنسان في كثير من الآيات إلى النظر في آيات الله في السماوات والأرض، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 164)، وقوله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (191) (آل عمران: 190 - 191)، وقوله: ﴿ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (191) (آل عمران: 190 - 191)، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحج: 65)، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (النحل: 65)، وقوله: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ (

¹ الشيباني، عمر، قضايا الإنسان، ضمن كتاب: الفكر التربوي العربي الإسلامي: الأصول والمبادئ، تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1407 هـ - 1987 م، د. ط، ص 147.

النمل: 93)، وقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ (يونس: 67).

وفي دعوة القرآن الكريم إلى النظر في آيات الله في السماوات والأرض إشارة واضحة

إلى أن الكون محراب الفكر، وكتاب المعرفة، ودليل على وحدة التدبير والنظام¹.

أمثلة على آيات الآفاق في سورة الأنعام:

أشارت سورة الأنعام في العديد من الآيات إلى هذا المصدر من مصادر المعرفة وهو

المعرفة من خلال النظر في آيات الآفاق:

1. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ (الأنعام: 95).

قال الرازي²: اعلم أنه تعالى لما تكلم في التوحيد ثم أردفه بتقرير أمر النبوة ثم تكلم في

بعض تفاريع هذا الأصل عاد ههنا إلى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه

وحكمته وقدرته تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من جميع المباحث العقلية والنقلية وكل

المطالب الحكيمة إنما هو معرفة الله بذاته وصفاته وأفعاله .

والفلق هو الشق، والحب هو الذي يكون مقصوداً بذاته مثل حبة الحنطة والشعير وسائر

الأنواع، والنوى: هو الشيء الموجود في داخل الثمرة مثل نوى الخوخ والتمر، فإذا وقعت الحبة

أو النواة في الأرض الرطبة، أظهر الله في أعلاها شقاً، وفي أسفلها شقاً آخر، أما الشق الذي

في الأعلى، فإنه يخرج منه الشجرة الصاعدة في الهواء، وأما الشق الذي يظهر في الأسفل فإنه

يخرج منه الشجرة الهابطة في الأرض وهي العروق، ومع أن الحس والعقل يشهدان أن طبيعة

¹ شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د . ط 1399 هـ - 1979 م، ص 76 - 77 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 73 - 76 .

إحدى الشجرتين مضادة للأخرى علمنا أن ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصة، بل بمقتضى الإيجاد والإبداع والتكوين.

وقوله ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ أي يخرج النبات

الحي من الحب والنوى، الذي هو كالجماذ الميت، وهناك من قال يخرج الدجاجة من البيضة وعكسه، ومن قال يخرج الولد الصالح من الفاجر وعكسه¹.

﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ ﴾ أي: ذلكم المحيي والمميت هو الذي تحقق له الربوبية، ﴿ فَأَلَيْ تُوَفِّكُونَ ﴾

فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره².

2. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنعام: 97).

هذا تكبير بوحداية الله، وتعظيم خلقه النجوم، وبالنعمة الحاصلة من نظام سيرها، إذ كانت هداية للناس في ظلمات البر والبحر يهتدون بها، والمقصود الأول من هذا الخبر للاستدلال على وحداية الله تعالى بالإلهية³.

قال الرازي⁴: هذا نوع من الدلالة على كمال القدرة والرحمة والحكمة وهو أنه تعالى خلق هذه النجوم لمنافع العباد، إما ليهتدي الخلق بها إلى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر، أو يستدلون بأحوال حركة الشمس على معرفة أوقات الصلاة . وبالتالي فإنه يستدل بها على معرفة الصانع الحكيم وكمال قدرته، ولعل في قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ المقصود بها أي: "يعقلون" ويتفكرون ويتأملون ويستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد إلى الغائب .

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 177 .

² الزمخشري، تفسير الكشاف، ص 338 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 234 .

⁴ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 82 - 83 .

3. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ

وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

وَيَنْعِهِ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: 99) .

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ أي بقدر مباركاً ورزقاً للعباد وإحياء وغيثاً

للخلائق، رحمة من الله بخلقه، ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي زرعاً وشجراً أخصراً،

ثم بعد ذلك يخلق منه الحب والتمر ولهذا قال ﴿ نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا ﴾ أي يركب بعضه

بعضاً كالسنابل ونحوها، ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ ﴾ أي جمع قنوة، وهي عذوق

الرطب ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ أي قريبة من المتناول، يعني قصار النخيل اللاصقة غذوقها بالأرض، ﴿

وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ ﴾ أي نخرج منه حبات من أعناب، وهذان الصنفان هما أشرف الثمار

عند أهل الحجاز وربما كان خيار الثمار في الدنيا ﴿ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ ﴾ أيها الناس ﴿ لآيَاتٍ ﴾

أي دلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يصدقون

به ويتبعون رسله¹.

قال الرازي²: واعلم أن هذا من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته

ورحمته ووجود إحسانه واعلم أنه هذه الدلائل كما أنها دلائل فهي أيضاً نعم بالغة، وإحسانات

كاملة، والكلام إذا كان دليلاً من بعض الوجوه، وكان إنعاماً وإحساناً من سائر الوجوه، كان

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 178 - 179 .
² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 71 - 88 .

تأثيره في القلب عظيماً وعند هذا يظهر أن المشتغل بدعوة الخلق إلى الحق لا ينبغي أن يعدل عن هذه الطريقة . واعلم أن الله تعالى ذكره ذكر أربعة أنواع من الأشجار: النخل والعنب والزيتون والرمان، وإنما قدم الزرع على الشجر لأن الزرع غذاء، وثمار الأشجار فواكه، والغذاء مقدم على الفاكهة . وإنما قدم الثمر على سائر الفواكه لأن الثمر يجري مجرى الغذاء بالنسبة للعرب، وقوله: ﴿ اُنظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ أمر بالنظر في حال الثمر في أول حدوثها، والنظر في حالها عند تمامها وكمالها، وهذا موضع الاستدلال والحجة هي تمام المقصود، وذلك لأن هذه الثمار والأزهار تتولد في أول حدوثها على صفات مخصوصة وعند تمامها وكمالها لا تبقى على حالها، فتنتقل من الخضرة إلى السواد أو الحمرة، ومن الحموضة إلى الحلاوة، وربما كانت في أول الأمر باردة ثم في آخر الأمر حارة، فتحول هذه التبدلات والتغيرات لأبد له من سبب، وذلك السبب ليس هو تأثير الطبائع والفصول والأفلاك، لأن نسبة هذه الأحوال بأسرها إلى جميع هذه الأجسام المتباينة متساوية متشابهة والنسب المتشابهة لا يمكن أن تكون أسباباً لحدوث الحوادث المختلفة، ولما بطل إسناد حدوث هذه الحوادث إلى الطبائع والأفلاك، وجب إسنادها إلى القادر المختار الحكيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والمصلحة والحكمة ولهذا نبه سبحانه على ما في هذا الوجه اللطيف من الدلالة ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ المراد لمن يطلب الإيمان بالله تعالى لأنه آية لمن آمن ولمن لم يؤمن ويحتمل أن يكون وجه تخصيص للمؤمنين بالذكر أنهم الذين انتفعوا به دون غيرهم كما في قوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ أي إذا أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلاً

ضعيفاً لا يكاد ينتفع به، وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئاً جامعاً لمنافع وملاذ،

نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبرة وناقلة من حال إلى حال¹.

2. الأنفس: وهو القسم الثاني من أقسام الكون، وقد دعا القرآن الكريم في العديد من الآيات

دعا الإنسان إلى التبصر بنفسه وجسده وحقيقته وأصله وكيونته ومراحل خلقه، والخصائص

المميزه له عن غيره من المخلوقات، والسنن التي تحكم هذا العالم عالم الأنفس، فعن أصل

الإنسان قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (السناء:1)، وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَلْشَّكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

فَمُسْتَقَرًّا وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام: 98)، وعن مراحل خلقه

قال: ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾ (مريم: 67)، وقال: ﴿

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا

أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى مِنْ قَبْلُ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ﴾ (غافر: 67)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ

جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَلْشَّأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

¹ الزمخشري، الكشاف، ص 339 .

الْخَالِقِينَ (14) ﴿ (المؤمنين: 12 - 14) ، وعن المراحل التي يمر بها الإنسان خلال حياته

فقد قال: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ (الروم: 54) ، وعن خصائص

الإنسان ومميزاته وتكريمه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: 30) ، وقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ

فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: 72)

(وعن السنن التي تحكم حياته قال: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ

سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ (النساء: 123) ، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: 11) ، وعن دعوته للإنسان للتفكير بنفسه قال: ﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ ﴾ (الروم: 8) ، وقال: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: 21).

أمثلة على آيات الأنفس في سورة الأنعام:

أشارت سورة الأنعام في العديد من الآيات إلى هذا المصدر من مصادر

المعرفة الحسية، من ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ

أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: 2) .

في هذا استدلال بخلقة الإنسان على إثبات وجود الصانع الحكيم، قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ والمشهور أن المراد منه أنه تعالى خلقهم من آدم و آدم كان مخلوقاً من طين، فلهذا السبب قال ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ معناه أنه تعالى خصص موت كل واحد موقت معين وذلك التخصيص عبارة عن تعلق مشيئته بإيقاع ذلك الموت في ذلك الوقت، وأما قوله ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾، فإن هذه الآية تدل صراحة على حصول أجلين لكل إنسان، فالأجل الأول هو أجل الموت، والأجل المسمى عند الله هو أجل القيامة، وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت، والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ، وقد يكون الأول هو النوم والثاني الموت، أو أن الأول مقدار ما انقضى من عمر كل واحد والثاني مقدار ما بقي من عمر كل واحد¹. قال القرطبي²: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾، الآية خبر وفي معناه قولان: أحدهما وهو الأشهر وعليه من الخلق أكثر أن المراد آدم عليه السلام، والخلق نسله، والفرع يضاف إلى أصله فلذلك قال ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالجمع فأخرجه مخرج الخطاب لهم إذ كانوا ولده، والثاني: أن تكون النطفة خلقها الله من طين على الحقيقة ثم قلبها حتى كان الإنسان منها ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ مفعول، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ ابتداء وخبر و﴿أَجَلًا﴾ في الموت، و﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ أجل القيامة، والمعنى على هذا: حكم أجلاً وأعلمكم أنكم تقيمون إلى الموت ولم يعلمكم بأجل القيامة ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ابتداء وخبر، أي تشكون في أنه إله واحد، وقيل: تجادلون جدال الشاكين .

¹ الرزازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 479 - 481 .
² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 387 - 389 .

قال ابن عاشور¹: في الآية استئناف لغرض التعجب من حال المشركين، إذ أنكروا البعث، فإنه ذكرهم ابتداءً بخلق السموات والأرض . وعجب من حالتهم في تسويتهم ما لم يخلق السموات والأرض بالله تعالى في الألفية .

ثم ذكرهم بخلقهم الأول وعجب من حالهم كيف جمعوا بين الاعتراف بأن الله هو خالقهم الخلق الأول، فكيف يمترون في الخلق الثاني، وأتى بضمير "هو" في قوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ليحصل تعريف المسند والمسند إليه معاً، فتفيد الجملة القصر في ركني الإسناد وفي متعلقهما، أي هو خالقكم لا غيره من طين لا من غيره، وهو الذي قضى أجلاً وعنده أجل مسمى فينسحب حكم القصر على المعطوف على المقصور، والحال الذي اقتضى القصر هو انكارهم البعث لأنهم لما أنكروه وهو الخلق الثاني نزلوا من منزلة من أنكر الخلق الأول، إذ لا فرق بين الخلقين بل الإعادة في متعارف الصانعين أيسر، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (الروم: 27)، والخطاب في قوله ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ موجه إلى الذين كفروا، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب لعقد التوبيخ، وذكر مادة ما منه الخلق بقوله: ﴿ مِنْ طِينٍ ﴾ لإظهار فساد استدلالهم على إنكار الخلق الثاني، لأنهم استبعدوا أن يعاد خلق الإنسان بعد أن صار تراباً . وتكررت حكاية ذلك عنهم في القرآن، فقد اعترفوا بأنهم يصيرون تراباً بعد الموت، ومعنى ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ أنه خلق أصل الناس وهو البشر الأول من طين، فكان كل البشر راجعاً إلى الخلق من طين .

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 12 - 13 .

قال الأوسي¹: «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ» استئناف مسوق لبيان كفرهم بالبعث، والخطاب وإن صح كونه عاماً، لكنه هنا خاص بالذين كفروا كما يدل عليه الخطاب الآتي ففيه التفات، والنكته فيه زيادة التشنيع والتوبيخ، وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر أدلة صحة البعث، مع أن ما تقدم من أظهر أدلته لما أن دليل الأنفس أقرب إلى الناظر من دليل الآفاق الذي في الآية السابقة ومعنى خلق المخاطبين من طين، أنه ابتداء خلقهم منه، فإن المادة الأولى لما أنه أصل آدم عليه الصلاة والسلام هو أصل سائر البشر . وقيل في توجيه خلقهم منه: أن الإنسان مخلوق من النطفة والطمث وهما من الأغذية الحاصلة من التراب بالذات أو بالواسطة . وقيل الكلام على حذف مضاف أي (خلق آباءكم) وأياً ما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى شأنه على البعث ما لا يخفى .

2. قوله تعالى: « وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ » (الأنعام: 98) .

« هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » يعني آدم عليه السلام، « فَمُسْتَقَرٌّ » أي في الأرحام و « وَمُسْتَوْدَعٌ » الأصلاب، وقيل « فَمُسْتَقَرٌّ » في الدنيا « وَمُسْتَوْدَعٌ » حيث يموت².

قال الطبري³: « الَّذِي أَنْشَأَكُمْ » الذي ابتداء خلقكم من غير شيء فأوجدكم بعد إن لم تكونوا شيئاً، « مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ » يعني آدم عليه السلام، وقوله « فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ » أولى التأويلات في ذلك أن كل خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة مستقراً ومستودعاً، ولم يخص من ذلك معنى دون معنى، ولا شك أن من بني آدم مستقراً في الرحم، ومستودعاً في الصلب، ومنهم

¹ الأوسي، روح المعاني، ج 4، ص 81 - 83 .

² ابن كثير دمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 178 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 432 - 442 .

من هو مستقراً على ظهر الأرض أو بطنها، ومستودع في أصلاب الرجال، ومنهم مستقر في القبر مستودع على ظهر الأرض، فكل مستقر أو مستودع بمعنى من هذه المعانِ فداخل في عموم قوله « فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ » ومراد به .

قال ابن عاشور¹: هذا تذكير بخلق الإنسان وكيف نشأ هذا العدد العظيم من نفس واحدة كما هو معلوم لهم، فالذي أنشأ الناس وخلقهم هو الحقيق بعبادتهم دون غيره مما أشركوا به، والنظر في خلقه الإنسان من الاستدلال بأعظم الآيات، قال تعالى: « وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » (الذاريات: 21) .

والإنشاء: الإحداث والإيجاد، والنفس الواحدة هي آدم عليه السلام، وقوله « فَمُسْتَقَرٌّ » الفاء للتفريع عن أنشأكم وهو تفريع المُشْتَمَلِ عَلَيْهِ الْمُقَارَنِ عَلَى المُشْتَمَلِ . والاستقرار هو القرار، يقال: استقر في مكان بمعنى (قرّ) .

والاستيداع: طلب الترك وأصله مشتق من الودع: وهو الترك على أن يسترجع المستودع، يقال: استودعه مالا إذا جعله عنده وديعة، فالاستيداع مؤذن بوضع مؤقت، والاستقرار مؤذن بوضع دائم أو طويل، وقوله « يَفْقَهُونَ » لأن دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيها من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبر، فإن المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبر عن علمها بأنه فقه بخلاف الآية السابقة في دلالة النجوم على حكمة الاهتداء بها، فهي دلالة متكررة وتعريضاً بأن المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإن العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة والفقه إدراك الأشياء الدقيقة، فحصل تفصيل الآيات للمؤمنين وانتفى الانتفاع به

للمشركين، ولذلك قال بعدها: « إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (الأنعام: 99).

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 395 - 398 .

قال الزمخشري¹: فإن قلت لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و (يفقهون) مع ذكر

إنشاء آدم، قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفيهم بين أحوال مختلفة اللفظ وأدق
صنعة وتدبيراً، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له .

المطلب الثاني: أدوات المعرفة و وسائل وطرق اكتسابها من مصادرها:

يستقبل الإنسان معرفة من مصادرها الرئيسية من المنافذ التي زوده الله بها وهي

الحواس والعقل . وفيما يأتي تفصيل لهذين المنفذتين:

أولاً: الحواس: تعرف الحاسة على أنها " القوة التي بها تدرك الأعراض الحسية،

والحواس المشاعر الخمس، وما أحسسته فحقيقته أدركته بحاستي² .

وتعرف كذلك على أنها " قوة طبيعية في الجسم بها يدرك الإنسان والحيوان الأشياء

الخارجة عنه وما يطرأ على جسمه من تغيرات³ .

والحواس نوعان: حواس ظاهرة وهي خمسة: السمع والبصر واللمس والشم والطعم،

والحواس الباطنية أو الإحساس الباطني كاللذة والألم والفرح والحزن والإحساس بالجوع

والعطش⁴ .

وتعتبر الحواس منفذاً هاماً لوصول المعارف إلى الإنسان، إذ أن معارفه كلها قائمة على

ما رآه وسمع ولمسه بنفسه وقد ورد ذكر السمع في القرآن الكريم على صور متعددة منها

ذكره بشكل مستقل، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 339 .

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 116 .

³ معجم اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص 65 .

⁴ ينظر، الدعشي، نظرية المعرفة، ص 210 .

تُرْحَمُونَ ﴿ (الأعراف: 204)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ

سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ (القصص:

71)، وبين القرآن الكريم حال من يعطل حاسة السمع بقوله: ﴿ إِنْ مَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ

يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ (الأنعام: 36)، فحاله حال الميت .

وصور القرآن الكريم حال أولئك المعرضين عن سماع الحق على لسان نوح عليه

السلام بقوله: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا

ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح: 7)، وقال: ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ

(7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشْرَهُ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴾ (8) (الجاثية: 7 - 8)، وقال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَ نَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ

وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (فصلت: 26)، وقال: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا

كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ (هود: 20)، وقال: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا

(100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَأَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا

(101) ﴾ (الكهف: 100-101).

وقد وجه القرآن نظر الإنسان إلى مشاهدة الكون بما فيه، ومعرفة الحقائق الطبيعية وما

فيها من دلالات، والرموز التي توحى بالأسرار المكمونة وراءها وتثير الدهشة والإعجاب

وروعة القلب، ولهذا ذم القرآن الكريم الذين لا يندهشون ولا يأخذون خبرة بما يشاهدون ولا

يعون ولا يسمعون ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَأَ

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ

بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ (الأعراف: 179) ، ودعا القرآن إلى النظر إلى

الطبيعة ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(الأعراف: 185) ، وقال: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ

كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ

(20) فَذَكِّرْ إِنْ مَا آتَى مُذَكَّرٌ (21) ﴾ (الغاشية: 17 - 21) ، وقال: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ

الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ

مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ

أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ

وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَّا يَعْلَمُونَ (36) ﴾ (يس: 33 - 36)¹

ودعا القرآن الكريم أيضاً إلى النظر في تاريخ الأمم السابقة وأخذ العبرة مما حصل لهم

حين عاندوا وخرجوا عن قانون الله الذي رسمه للإنسان والكون، وكيف سعدت وفازت حين

أطاعت وانسجمت مع ذلك القانون الرباني، قال تعالى: ﴿ فَعَلَّكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل: 52) ، وقال: ﴿ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا

ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾ (الكهف: 59) ، وقال: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

¹ يالجن، مقدار، توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، الرياض، دار المريخ للنشر، ط 1، 1402 هـ - 1982 م، ص 163

قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ لِمَكَّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا

وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا

آخَرِينَ ﴿ (الأنعام: 6) . وقد جعل القرآن الكريم من المشاهدات الحسية للآيات الكونية

دليلاً على وجود الخالق ووحدانيته وعظمته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفِكُونَ (95)

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الشُّجُومَ لِيَتَذَكَّرُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ

فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَلْشَّاكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرًّا

وَمُسْتَوْدَعًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنْ

النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ

مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ (

الأنعام: 95 - 99) .

ثانياً: العقل:

العقل في اللغة: الحِجْر والنَّهْي، ضد الحمق، والجمع عقول، وهو مصدر وإن كان سيئويه يعده صفة، لأن المصدر لا يأتي على وزن مفعول البتة، وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه¹.

والعقل هو القوة المتهيئة لقبول العلم، ويطلق على العلم الذي يستفيده الإنسان عن طريق العقل².

والعقل في اللغة وفي القرآن الكريم قوة مدركة في الإنسان، تميزه عن سواه من الكائنات وتجعل منه مخلوقاً مسؤولاً عن أعماله على أساس قدرته على الإدراك والتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، والحسن والقبیح، وأن القرآن يطلق ألفاظ القلب أو الفؤاد أو اللب أو النهي على الأداة أو الآلة التي تقوم بوظيفة العقل، أو الربط وإيجاد العلاقة بين الأسباب والنتائج³.

ويحظى العقل باهتمام بالغ في القرآن الكريم، فهو وإن لم يأت بذكر اسمه أو مصدره، ولكن عملياته العليا محط اهتمام لا تخفى على دارس لآياته.

ولا غرابة أن يعد العقل مناط استخلاف الله للإنسان في الأرض وسر تكريم على سائر المخلوقات، ومن هذا المنطلق جاءت دعوة القرآن للإنسان لارتداد عالم الآفاق واكتشاف نواميسه كي تتواءم حياة الإنسان مع مسيرة الكون⁴.

ولهذا يرشد القرآن الإنسان إلى ما في الكون من الصنعة التي تجعل الإنسان يؤمن

مضطراً بوجود صانع له ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ

¹ ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 854.

² الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج 4، ص 85.

³ سعيد، جودت، اقرأ وربك الأكرم، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 1، 1415 هـ - 1994 م، ص 122.

⁴ العلواني، طه جابر، خواطر في الأزمة الفكرية المعاصرة (ضمن بحوث: المؤتمر الرابع للعلوم السلوكية والتربوية، المنعقد في الخرطوم في 1407 هـ - 1987 م)، هيرندن - فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دط 1411 هـ - 1990 م، ص 14.

يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ

(34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (35) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ

الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (36) وَآيَةٌ لَهُمْ

اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ

تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (39)

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(40) ﴿ (يس: 33 - 40) ، ولهذا لما وجه القرآن السؤال إلى المشركين عن خالق

السموات والأرض اضطروا بالبداهة إلى الاعتراف بالخالق ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَلَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿

(العنكبوت: 61) ، ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَعْدِ

مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ (العنكبوت: 63) ، وفيما

يتعلق بالبعث بعد الموت، قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ

خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ (يس: 79) ¹ .

¹ يالجن، توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، ص 167 .

ودعا القرآن الإنسان إلى أن يكون له عقل وازع يروعه عن الشر، قال تعالى: ﴿وَلَا

تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: 151) .

ودعا القرآن الإنسان إلى التفكير والنظر العقلي والتدبر والذكر والاستدلال العقلي، فعن

التعقل قال: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: 151)، وعن التفكير أشار القرآن: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ﴾ (الأنعام: 50)، وعن الاستدلال فقد قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ
فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: 99)، وقال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ
مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: 57)، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا
أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30)، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (36) أَلَمْ
يَكُ لُطْفَةً مِنْ مَنِيَّ يُمْنِي (37) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ
الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)﴾ ()

القيامة: 36 - 40)، وعن النظر العقلي فقد قال: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (آل عمران: 137)،

وقوله: ﴿ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا

أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الروم: 9)، وقد

حذر القرآن من تعطيل العقل، من ذلك: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَقَتْلِهِمُ النَّبِيَّاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا

يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: 155)، وقال: ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (التوبة: 87)، وقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا

فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون: 3)، وجعل القرآن الكريم العقل سيداً

للهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا ﴾ (الإسراء: 41)،

وقال: ﴿ إِنَّا أَلزَمْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: 2)، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: 82)، ورفع

القرآن الكريم من منزلة العقل والعقلاء، فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ

آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ
 ﴿ (آل عمران: 7) ، وقال: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
 خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (البقرة: 269) ، وقال: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَكْثَرَ
 الْأَنْزِلِ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الرعد:
 19) ، وقال: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
 وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: 18) .

وخت القرآن الكريم الإنسان على التفقه والذي يقوم على المعرفة الحقيقية والفهم
 الخالص والفتنة وهي وظيفة أعمق من سائر الوظائف وكأنه يدل على العلم الحقيقي المستقر
 القائم على فهم آيات الله¹، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
 أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ
 يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام: 25) ، وقال
 تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ
 أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُدْبِقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَعْضٍ الظُّرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ
 لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام: 65) ، وقال تعالى: ﴿ لَأَتُنَمَّ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ
 اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الحشر: 13) .

¹ الكردي، نظرية المعرفة، ص 639 - 640 .

المطلب الثالث: تكامل وسائل وطرائق المعرفة:

فكما سبق كان الحديث عن وسائل المعرفة الإنسانية وطرق اكتسابها من مصادرها حيث ظهر فيها انفعال الإنسان وتأثره بما يحيط به من عوالم مشاهدة ومحسوسة وما يصله من خبر صادق عن طريق الوحي الإلهي من عالم الغيب غير المحسوس بما يشكل لدى هذا الإنسان جملة من المعارف الحسية والعقلية وذلك من خلال اتحاد وسائله في اكتساب المعارف من مصادرها، فالحواس والعقل لا يمكن فصل أي منهما عن الآخر في اكتساب المعارف الإنسانية من مصادرها، فالقرآن الكريم لا يوافق أبداً على اعتبار الحواس طريقاً وحيداً للمعرفة، كما أنه لا يوافق أبداً على رفض الحواس طريقاً من طرق المعرفة، وإنما يفيد الحواس باباً للعقل في المعرفة والحواس والعقل يعملان معاً جميعاً في عملية المعرفة¹. " فالسمع والبصر أدوات تتلقى العلم والمعرفة، ثم ترسلها إلى القوى العقلية لتقوم بفهمها ووعيتها²، وبناءً على ذلك فإن معارف الإنسان إما أن تكون بشرية يستقبلها الإنسان عن طريق الحواس المختلفة مما يرى الإنسان، ويسمع، ويجرب، ثم تنتقل إلى العقل ليقوم العقل بدوره في تمحيص وتحليل وتنقية هذه المعارف وترتيبها ثم عرضها على معارفه الواردة عن طريق الوحي لبيان النافع منها وكيفية الاستفادة منه والتعامل معه، والضار منها بالاستغناء عنه وعدم أخذه، ومعارف أخرى تأتيه عن طريق الوحي الإلهي هي معارف يقينية حقة يسلم لها وينفذها، وتكون بمثابة الضابط لمعارفه الأخرى، وعلى هذا فإن العقل والحواس يعملان معاً تحت مظلة الوحي الإلهي.

¹ الكردي، نظرية المعرفة، ص 587 - 588.

² الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دبي، دار القلم، ط 1، 2005 م، ص 160.

وعن أدوات المعرفة وطرق اكتسابها من مصادرها وتكامل العلاقة بينهما فقد ذكرت سورة الأنعام العديد من الآيات، من ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ

تُمْكِنَ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ

فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام: 6) .

أشارت الآية إلى قضية مهمة وهي دعوة المعاندين والمستكبرين المكذبين للنبي محمد ﷺ ورسالته إلى استخدام حاسة البصر، وذلك بالنظر في حال الأمم التي سبقتهم كيف أن الله أنعم عليهم وأمدهم بالخيرات ومكنهم من الأرض - دل على ذلك ما تركوه من آثار خلفهم - وذلك لأخذ العظة والعبرة مما حل بهم نتيجة استكبارهم، وإصرارهم على ما هم عليه من المعاصي من الهلاك والبوار وخراب الديار والاستبدال ليتفكروا فيما حل بهم فلا ينهجوا نهجهم في العصيان والعناد والاستكبار، والرؤيا هنا إن كانت رؤيا بصرية بالعين فهي بحاجة إلى تدبر عقلي، لأن الرؤيا البصرية لا تتحقق فائدتها إلا بالتدبر العقلي، وفي ذلك إشارة إلى التكامل بين وظائف وسائل المعرفة فالحواس لا تعمل منفردة عن العقل .

قال الطبري¹: ألم ير هؤلاء المكذبون كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطاعة لم أوطأها لكم، وأعطيتهم منها ما لم أعطكم، أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها، وأعطتهم الأرض ريع نباتها، وجابوا صخور الأرض، ودرت عليهم السماء بأمطارها، وتنجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذني، فغمطوا نعمة ربهم

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 156 - 157 .

وعصوا رسول خالقهم وخالفوا أمر بارئهم وبغوا حتى حق عليهم قولي، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم .

قال الزمخشري¹: مكن له في الأرض، أي جعل له مكاناً منها ونحوه، وأما مكنته في

الأرض: فأثبتته فيها، ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله: ﴿ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ

لَمَكَّنْ لَكُمْ ﴾ والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة في

الأجسام والسعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة، والمدرار: المغزار .

فإن قلت ما فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم، قلت: الدلالة على أنه لا يتعاضمه أن يهلك

قرناً ويخرب بلاده منهم، فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين ويعمر بهم بلاده .

قال الرازي²: أعلم أن الله تعالى لما منعهم عن ذلك الإعراض والتكذيب والاستهزاء

بالتهديد والوعيد، أتبعه بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة في هذا الباب، فوعظهم بسائر

القرون الماضية: كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب وفرعون وغيرهم، والقرن:

القوم المقترنون في زمان من الدهر، فالمدة التي يجتمع فيها قوم ثم يفترون بالموت فهي قرن،

لأن الذين يأتون بعدهم أقوام آخرون اقتربوا فهم قرن آخر، وأعلم أن مقصود هذه الأوصاف

أنهم وجدوا منافع الدنيا أكثر مما وجده أهل مكة، ثم بين الله تعالى أنهم مع مزيد العز في الدنيا

بهذه الوجوه ومع كثرة العدد والبسطة في المال والجسم جرى عليهم عند الكفر ما سمعتم، وهذا

المعنى يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة، والسؤال هنا: كيف قال ﴿ أَلَمْ

يَرَوْا ﴾ وهم ما شاهدوا وقائع الأمم السابقة؟ والجواب: أن أقاصيص المتقدمين مشهورة بين

الخلق، فثبتعد أن يقال أنهم ما سمعوا هذه الحكايات، ولمجرد سماعها يكفي في الاعتبار .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 320 .

² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 848 - 845 .

2. قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: 7) .

الإشارة هنا إلى حاسة اللمس للتزود بالمعارف، فإن هؤلاء جاءهم من الحجج والبراهين العقلية التي تؤكد لهم صدق دعوى النبي ﷺ وصدق نسبة هذا القرآن لله سبحانه وتعالى فيما لا مجال للشك فيه، ولكنهم أعرضوا وعصوا وكذبوا، فبين الله لنبيه ﷺ أن هؤلاء ليس هدفهم الوصول إلى القناعة ومعرفة الحقيقة، بل هدفهم التكذيب والعناد، ذلك لأنهم لو نزل عليهم قرطاساً يلمسوه ويعاينوه بأيديهم ويرونه معلقاً بين السماء والأرض لأعرضوا وقالوا إن هذا إلا سحر مبين، وهذه إشارة إلى أن المعارف الحسية تؤكد وتوثق المعارف العقلية وتؤيدها، وإن كل من العقل والحواس يعملان معاً لا انفصال بينهما .

قال الطبري¹: هذا اخبار من الله سبحانه لنبيه عن القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والأصنام، يقول تعالى: وكيف يتفهون الآيات أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وجحود نبوتك بحجج الله وآياته وأدلته، وهم لعنادهم الحق وبعدهم من الرشد، لو أنزلت عليك يا محمد الوحي الذي أنزلته عليك مع رسولي في قرطاس يعاينونه ويحسونه بأيديهم وينظرون إليه ويقرعونه منه معلقاً بين السماء والأرض لحقيقة ما تدعوهم إليه وصحة ما تأتيهم به من توحيدي وتنزيلي، نقال هؤلاء ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ أي ما هذا الذي جئنا به إلا سحر سحرت به أعيننا ليست له حقيقة ولا صحة ﴿ مُّبِينٌ ﴾ مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لا حقيقة له .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 158 .

قال الزمخشري¹: « فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ » ولم يقتصر بهم على الرؤية: لنلا يقولوا سكرت

أبصارنا ولا تبقى لهم علة . لقالوا « إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ » نعتاً، وعناداً للحق بعد ظهوره

قال القرطبي²: المعنى: ولو نزلنا يا محمد بمرأى منهم كما زعموا وطلبوا كلاماً مكتوباً

« فِي قِرْطَاسٍ » وقال (نزلنا) على المبالغة بطول مكث الكتاب بين السماء والأرض، والكتاب

مصدر بمعنى الكتابة، فبين أن الكتابة في قرطاس؛ لأنه غير معقول كتابة إلا في قرطاس أي

في صحيفة، والقرطاس: الصحيفة « فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ » أي فعابنوا ذلك ومسوه باليد كما

اقترحوا وبالغوا في ميزه وتقليبه جساً بأيديهم ليرتفع كل ارتياب ويزول عنهم كل إشكال،

لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم .

قال الرازي³: أنهم إذا رأوه بقوا شاكين وقالوا إنما سكرت أبصارنا فإذا لمسوه بأيديهم فقد

يقوى الإدراك البصري بالإدراك اللمسي وبلغ الغاية في الظهور والقوة، قم هؤلاء بيقون شاكين

في أن ذلك الذي رأوه ولمسوه هل هو موجود أم لا، وذلك يدل على أنهم بلغوا في الجهالة إلى

حد كبير .

3. قوله تعالى: « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ الظُّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ »

(الأنعام: 11).

أمر من الله سبحانه وتعالى لكل من يعصيته ويكذب رسله بأن يجمع بين ما جاء به النبي

ﷺ من أدلة عقلية وأدلة النظر في الكون ليصل إلى نتيجة واحدة هي أن كل من يخالف أمر الله

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 320 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 392 - 393 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 485 - 486 .

ويعصبي رسله ستكون نهايته سيئة وعاقبته وخيمة، وجاؤ الأمر هنا بالسير في الأرض ثم النظر في عاقبة المكذبين، لأن السير هنا ليس فقط من أجل النظر، إنما سيروا في الأرض سيركم المعتاد سعياً للرزق أو التجارة أو السياحة واستغلوا هذا السير في النظر في عاقبة المكذبين من قبلكم كيف أوصلهم تكذبيهم إلى سوء المآل.

قال الطبري¹: قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾: جئوا في بلاد المكذبين رسلكم الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس، ثم انظروا كيف أعقبهم تكذبيهم ذلك الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار، وعفو الآثار، فاعتبروا به واحذروا مثل مصارعهم واتقوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم

قال ابن عاشور²: هذه الآية تحذوهم إلى مشاهدة ديار أولئك المستهزئين وليس افتتاح هذه الجملة بخطاب النبي ﷺ منافياً لكونها بياناً لأنه خوطب بأن يقول ذلك البيان فالمقصود ما بعد القول وافتتاحها بالأمر لأنها واردة مورد المحاوره على قولهم ﴿ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ (الأنعام: 8) . وهذه سلسلة ردود وأجوبة على مقالتهم المحكية آنفاً يتضمنها التصميم على الشرك والتكذيب، فكانت منحلته إلى شبه كثيرة أريد ردها وتنفيذها فكانت هاته الردود كلها مفتوحة بكلمة " قل " و " ثم " للتراضي الرتبي، كما هو شأنها في عطف الجمل، فإن النظر في عاقبة المكذبين هو المقصد من السير، فهو مما يرتق إليه بعد الأمر بالسير، وأن هذا النظر محتاج إلى تأمل وترسم فهو أهم من السير، والنظر يحتمل أن يكون بصرياً وأن يكون قلبياً، ووصفوا " بالمكذبين " ومن المستهزئين للدلالة على أ، التكذيب والاستهزاء كانا خلقين من

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 166 .
² ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 6، ص 29 - 30 .

أخلاقهم وأن الواحد من هذين الخلقين كافٍ في استحقاق العقاب إذ قال في الآية السابقة ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . وقال في هذه الآية ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ وهذا رد جامع لدحض ضلالتهم الجارية على سنن ضلالات نظرائهم من الأمم السابقة المكذبين .

قال الزمخشري¹: فإن قلت: أي فرق بين قوله: " فانظروا "، وبين قوله: " ثم انظروا "؟ قلت: جعل النظر مسبباً لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين، وأما قوله ﴿ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا ﴾ فمعناه: إباحة السير في الأرض للتجارة، وغيرها من المنافع، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بتم ليباعد ما بين الواجب والمباح .

4. قوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (الأنعام: 36) .

أشارة الآية إلى حاسة السمع ودورها في الوصول إلى المعرفة المؤدية إلى الاستجابة لله سبحانه وتعالى ولرسله، ذلك لأن الإنسان إذا سمع سماعاً نقياً حسناً، سماع قناعة وطاعة، ثم عرض ذلك على عقله ليتفكر فيه، اجتمعت لديه أدلة الحس والعقل فتوصل بذلك إلى الحقيقة المقنعة التي تقوده إلى الانصياع والاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، أما من سمع سماعاً لا نفع فيه، سماع معصية وإعراض فإن حاله حال الميت الذي لا يستفيد من سماع ما يسمع ولا يعقل منه شيئاً .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 321 .

قال الطبري¹: لا يكبرن عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم والإقرار بنبوتك فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهل لهم اتباع الرشد، دون من ختم الله على سمعه فلا يفقه دعائك إياه إلى الله وإلى اتباع الحق إلا ما تفقحه الأنعام من أصوات رعايتها ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾: أي والكفار يبعثهم الله مع الموتى، فجعلهم الله تعالى ذكره في عداد الموتى الذين لا يسمعون صوتاً، ولا يعقلون دعاءً ولا يفقهون قولاً، إذ كانوا لا يتدبروا حجج الله، ولا يعتبرون آياته .

قال القرطبي²: ﴿ إِمَّا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أي سماع إصغاء وتفهم وإرادة حق، وهم المؤمنون الذين يعقلون ما يسمعون، فينتفعون به ويعملون .

قال الرازي³: اعلم انه تعالى بين السبب في كونهم لا يقبلون الإيمان ولا يتركون الكفر، فقال: ﴿ إِمَّا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، وإنما يستجيب من يسمع كقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ (النحل: 80)، وأما قوله: ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ ففيه قولان: الأول: أنه قيل لقدرته على إيجائهم للاستجابة أي هو القادر على أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون للجزاء، وكذلك هنا أنه تعالى هو القادر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الإيمان وأنت لا تقدر عليه، والثاني: أن المعنى هؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون، فحينئذ يسمعون، وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 230 .
² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 418 .
³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 521 .

قال الألويسي¹: المراد بالسمع: سماع الفهم والتدبر بجعل ما عداه كالالسمع، أي إنما يستجيب دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم « فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى » (الروم: 52) والموتى: هم الكفار يبعثهم الله من قبورهم إلى المحشر، وقيل: بعثهم: هدايتهم إلى الإيمان وليس بشيء ثم إليه يرجعون للجزاء فحينئذ يسمعون، وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى سماعهم لما أن على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً، وقيل: الموتى: على الحقيقة، والكلام تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيق أولئك الكفار للإيمان باختصاصه سبحانه بالقدرة على بعث الموتى الذين رمّت عظامهم من القبور، وفيه إشارة إلى أنه ﷻ لا يقدر على هدايتهم لأنها كبعث الموتى .

قال ابن كثير²: « إِنْ مَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ » أي إنما يستجيب لدعائك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه، وقوله: « وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ » يعني بذلك الكفار، لأنهم موتى القلب، فشبههم الله بأموات الأجساد وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم.

5. قوله تعالى: « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ » (الأنعام: 46) .

أشارت الآيات إلى وسائل وأدوات المعرفة التي زود الله بها الإنسان ليتلقى بها المعارف من مصادرها وهي الحواس ممثلة هنا بالسمع والأبصار ثم القلوب وهي هنا بمعنى العقل، فإن الله سبحانه وتعالى أراد أن يقيم الحجة على هؤلاء المعاندين بأنه زودهم بهذه الوسائل والأدوات ليسمعوا ويبصروا ويعقلوا الحجج والبراهين والأدلة التي توصلهم إلى المعرفة الحقّة بأن الله

¹ الألويسي، روح المعاني، ج 4، ص 134 - 135 .
² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 147 .

حق وأن الرسول حق وأن الآخرة حق وأن الدنيا حق، وأن عليهم أن يستعملوها كما أراد منهم المنعم جل وعلا، لأنه إن سلبهم إياها فلن تستطيع الألهة التي يعبدونها من دونه أن تعيد لهم هذه الحواس وهذا العقل، فليعقلوا ذلك ويفهموه جيداً .

قال الطبري¹: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين: أريتم أيها المشركين بالله إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم وأعماكم فذهب بأبصاركم، ﴿ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ فطبع عليها حتى لا تفقهوا قولاً ولا تبصروا حجة ولا تفهموا مفهوماً، أي إله غير الله يأتيكم به، أي يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الاسماع والأبصار والإفهام فتعبدوه أو تشركوا في عبادة ربكم وهذا من الله يعلم نبيه الحجة على المشركين به فيقول له: قل لهم: إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ضرراً ولا نفعاً، وإنما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضر والنفع والقبض والبسط .

قال الرازي²: اعلم أن المقصود من هذا الكلام ذكر ما يدل على الصانع الحكيم المختار وتقريره أن أشرف أعضاء الإنسان هو السمع والبصر والقلب . فالأذن محل القوة السامعة والعين محل القوة الباصرة والقلب محل الحياة والعقل والعلم، فلو زالت هذه الصفات عن هذه الأعضاء اختل أمر الإنسان وبطلت مصالحه في الدنيا وفي الدين، ومن المعلوم أن القادر على تحصيل هذه القوى منها وصونها عن الآفات والمخالفات ليس إلا الله، فوجب أن يقال المستحق للتعظيم والثناء والعبودية ليس إلا الله تعالى، وهذا يدل على أن عبادة الأصنام طريقة باطلة وفسادة . وفي قوله ﴿ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ قيل معناه وطبع على قلوبهم فلم يعقلوا الهدى، وقيل أزال عقولكم حتى تصيروا كالمجانين، وقيل الختم الإمامة، أي يميت قلوبكم .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 251 .
² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 186 - 188 .

قال ابن عاشور¹: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ﴾ الرؤية قلبية متعدية إلى مفعولين . والأخذ: انتزاع الشيء وتناوله من مقره، وهو هنا مجاز عن السلب والإعدام، لأن السلب من لوازم الأخذ بالنسبة للمأخوذ منه، فهو مجاز مرسل، ولك أن تجعله تمثيلاً لأن الله هو معطي السمع والبصر فإذا أزيلهما كانت تلك الإزالة كحالة أخذ ما كان أعطاه فشبهت هيئة إعدام الخالق بعض مواهب مخلوقه بهيئة انتزاع الأخذ شيئاً من مقره . والمراد بالقلوب العقول التي بها إدراك المعقولات، لأن القلب سبب في إمداد العقل قوة الإدراك، والسمع مصدر دال على الجنس فكان في قوة الجمع، فعم بإضافته إلى ضمير المخاطبين ولا حاجة إلى جمعه، والإبصار جمع بصر، وهو في اللغة العين على التحقيق، وقيل يطلق البصر على حاسة الإبصار ولذلك جمع ليعم بالإضافة جميع أبصار المخاطبين، ولعل أفراد السمع وجمع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفة أحد اللفظين مفرداً والآخر مجموعاً عند اقترانهما .

6. قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَأَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ

إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا

تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: 50) .

بينت هذه الآية بعد أن ساقّت الأدلة الدافعة على أن محمد عليه الصلاة والسلام بشر مصطفى من قبل الله يوحى إليه، له حدوده البشرية لا يتعداها، فهو ليس بملك ولا إله، ولا يملك خزائن الله، ولا يعلم الغيب، إنما هو ذلك الإنسان الذي ميزه الله عن غيره بالوحي، بعد هذه الأدلة التي تثبت صدق دعواه جاءهم بالنتيجة وهي أن من لم تقنعه هذه الأدلة ولم توصله إلى الحقيقة، فحاله حال الأعمى، أعمى البصر والبصيرة التائه الذي لا يدري أين يوجه، فإنه لا

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 103 - 104 .

يمكن أن يقارن بحال من انتفع بهذه الأدلة، فأبصر بصرأ نافعاً قاده إلى الحقيقة فاتبع واهتدى
وسار على الدرب الصحيح فنجا .

قال الطبري¹: أي قل لهم يا محمد لست أقول لكم أنني الرب الذي له خزائن السموات
والأرض وأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء،
فيكذبون فيما أقول من ذلك لأنه لا ينبغي أن يكون رباً إلا من له ملك كل شيء وبيده كل شيء
ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الله الذي لا إله إلا هو «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ»
لأنه لا ينبغي لملك أن يكون ظاهراً بصورته لأبصار البشر في الدنيا فتجدوا ما أقول لكم،
«إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» ما اتبع فيما أقول لكم وادعواكم إليه إلا وحي الله الذي يوحى إليّ،
فامضي لوحيه وأنتمر لأمره، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله، عذركم على صحة قلبي في
ذلك، وليس الذي أقول من ذلك بمنكر في عقولكم ولا مستحيل كونه، بل ذلك مع وجود البرهان
على حقيقته هو الحكمة البالغة فما وجه إنكاركم لذلك؟ وذلك تنبيه من الله تعالى لنبيه على
موضع حجته على منكري نبوته من مشركي قومه «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ» أي
هل يستوي الأعمى عن الحق والبصير به؟ والأعمى هو الكافر الذي قد عمي عن حجج الله
تعالى، فلا يتبينها فيتبعها . والبصير: المؤمن الذي قد أبصر آيات الله وحججه فاقتدى بها
واستضاء بضئائها «أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ» أفلا تتفكرون فيما احتج عليكم به أيها القوم من هذه
الحجج، فتعلموا صحة ما أقول وادعواكم إليه من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان
والأنداد بالله ربكم وتكذيبكم إياي مع ظهور حجج صدقي، فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون
إلى ما أدعواكم إليه من الإيمان الذي تفوزون.

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 255 - 256 .

قال الزمخشري: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴾ مثل للضال والمهتدي، ويجوز

أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع ﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ فلا تكونوا ضالين أشباه

العميان، أو فتعلموا إنني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر، أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد منه ¹.

المبحث الثالث: الأثر التربوي لعناصر الأصل المعرفي للنظرية التربوية الإسلامية

المستخلص من سورة الأنعام

حين يعلم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى خلقه وأخرجه من الدنيا لا يعلم شيئاً وزوده بالوسائل والطرائق التي من خلالها يمكن له أن يكتسب المعارف والعلوم من مصادرها الرئيسية، الكون المفتوح والوحي المكتوب في القرآن وصحيح السنة، فإن هذا يؤدي به إلى:

1. استحضار مزيد من عظمة الخالق جلّ وعلا من خلال ملاحظة الدقة المتناهية في خلق الإنسان والحكمة المطلقة وعدم العبثية والعلم التام بالمخلوقات وأحوالهم وأصل خلقهم وما سيطرأ عليهم، مما يولد لديه الدافعية لدراسة هذه النفس الإنسانية ليسهل التعامل معها والسيطرة عليها وقيادتها القيادة الراشدة الحكيمة التي تؤدي بها إلى النهاية المقصودة من وجودها في هذه الدنيا .

2. شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه على الإنسان، ومن هذه النعم ما زوده به من منافذ ووسائل من خلالها يصل إلى المعارف والعلوم بعد أن كان لا يعلم شيئاً .

3. الإحساس بقيمة الحواس والعقل وما لها من أهمية في رفع قيمة الإنسان من جاهل لا يعلم شيئاً إلى عالم بكل ما يحيط به .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 329 .

4. علم الإنسان ومعرفته مكتسبة مما حوله من الوحي الإلهي وتراكمية وهي في حدود الطاقة

التي منحها الله سبحانه وتعالى لعقله وحواسه لا يتجاوزها فهو بذلك مخلوق ضعيف .

5. الاهتمام بالحواس باعتبارها من وسائل اكتساب المعرفة لدى الإنسان والاهتمام الأكثر

بحاستي السمع والبصر وتوفير الوسائل التي تعين المتعلم على الاستفادة منها بشكل أكبر وأوسع .

6. الاهتمام بالعقل ومهاراته لما لها من أهمية في عملية ضبط المعارف الواردة من الحواس وتفتحها وتمييزها والتفاعل معها .

7. إطلاق حواس الإنسان وفكره في الكون باعتباره الكتاب المفتوح لاستخلاص المعارف

والعلوم منه ضمن دائرة الوحي وحسب القوانين والسنن التي رسمها الله سبحانه وتعالى للإنسان في وحيه للوصول إلى أعلى وأفضل درجة من درجات الاستخلاف وعمارة الأرض والعيش الكريم .

8. النقة المطلقة بالوحي الإلهي باعتباره المصدر الرئيسي والمطلق للمعارف الغيبية والحاكم

على المعارف الكونية والمرشد الرباني لكيفية التعامل والتفاعل مع الكون المحيط والطريق الموصل إلى بر الأمان وإلى النجاة في الدنيا والآخرة .

9. الاكتفاء بالوحي الإلهي في أخذ المعارف الغيبية باعتباره الخبر الصادق عن الله سبحانه

وتعالى وعن نبيه ﷺ وعدم محاولة اقحام العقل والحواس في هذه المعارف والإيمان المطلق بكل ما جاء عن الله سبحانه وتعالى في كتابه وعن نبيه ﷺ، وفي هذا إراحة للعقل من عناء البحث فيما لا طائل من ورائه .

10. إن النجاح في الحياة الدنيا والفوز في الآخرة يكون بتفعيل حواس الإنسان وعقله

وانفعالها فيما حولها من كون مفتوح مع ارتباطها بالوحي الإلهي دستوراً ومنهجاً، وإن كل

من لم يستعمل حواسه وعقله الاستعمال الأمثل الذي يؤدي به إلى اليقين الكامل والتصديق المطلق والانقياد التام والمعرفة الكلية للخالق وعظمته والإنسان وصنعه فإنه يؤدي به ذلك إلى الكفر والكبر والاستعلاء ومعاندة الخالق وقوانين الكون ونواميسه، وبالتالي البوار والهلاك والشقاء في الدنيا والعذاب الدائم في الآخرة ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ (الأنعام: 104).

11. إن سر تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان هو في الاستخدام الأمثل لحواسه وعقله بما يتناسب مع تعاليم الوحي وإلا فإن الإنسان يصبح أدنى مستوى من الأنعام ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا لِنِعْمِ رَبِّهِمْ أَصْغُرَ ﴾ (الأعراف: 179)، وعليه يجب استخدامها في كل ما ينفع البشرية والابتعاد عن كل ما يسبب لها الهلاك والضرر والخسران .

12. تنبيه التربويين والقائمين على إعداد المناهج إلى أهمية الحواس وخاصة حاستي السمع والبصر ودورهما في تحصيل المعرفة بحيث تبنى المناهج بما يكفل تفعيل هذه الحواس وتدريبها على اكتساب المعارف من مصادرها .

13. تضمين واضعي المناهج التربوية لمختلف المراحل بما يكفل توجيه الحواس والعقل (باعتبارهم وسائل اكتساب المعارف الإنسانية)، إلى النظر في كتاب الكون المفتوح واستخراج المعارف الإنسانية منه ضمن إطار معرفة الوحي الإلهي وحسب المرحلة الزمنية والعمرية .

الفصل الرابع

الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام وآثاره التربوية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الفصل الرابع

الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة

الأنعام وآثاره التربوية

تمهيد:

الأصل التشريعي من الأصول الهامة التي تقوم عليها النظرية التربوية الإسلامية، لذلك

لابد من بيان مفهوم التشريع الإسلامي، وخصائصه ومجالاته وأمثله من سورة الأنعام .

المبحث الأول: مفهوم الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام:

لبيان مفهوم هذا المركب لابد من بيان جزئياته، وتفصيل ذلك:

المطلب الأول: مفهوم التشريع لغة واصطلاحاً:

أولاً: التشريع في اللغة: التشريع: مصدر الفعل شرَّع بالتشديد، وهي مضَعَّف الفعل

شرَّع بالتخفيف، ويدل هذا اللفظ في اللغة على مورد الماء العذب، والعادة، والطريق المستقيم¹.

قال الراغب الأصفهاني²: شرع: الشرع نهج الطريق الواضح، يقال: شرعت له طريقاً

والشرع مصدر ثم جعل اسماً للطريق النهج فقول له شرع وشرع وشرعة واستعير ذلك للطريقة

الإلهية، قال: « شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ » (المائدة: 48)، فذلك إشارة إلى أمرين: أحدهما: ما سخر

¹ ابن منظور، لسان العرب ج 8، ص 210 .

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 258 - 259 .

الله تعالى عليه كل إنسان من طريق يتحراه، مما يعود عليه إلى مصالح العباد وعمارَة البلاد،

وذلك المشار إليه بقوله: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف: 32) . والثاني: ما قِيض له من الدين وأمره به ليتحراه اختياراً مما

تختلف فيه الشرائع ويعترضه النسخ، دل عليه قوله ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعةٍ مِّنَ الْأَمْرِ

فَاتَّبِعَهَا ﴾ (الجاثية: 18) . وقيل سميت الشريعة شريعة تشبيهاً بشريعة الماء من حيث أن من

شرع منها على الحقيقة المصدوقة روي وتطهر .

وشرع: مأخوذ من الشروع في الشيء وهو الدخول فيه، والشريعة في كلام العرب

المشركة التي يشرعها الناس فيشربون منها¹ .

ثانياً: التشريع في الاصطلاح الشرعي: مصطلح يدل على الفقه الإسلامي الحاصل من

العلم بجملة من الأحكام الفروعية بالنظر والاستدلال² . ويعرف كذلك على أنه: العلم الذي يبحث

فيه حالة الفقه الإسلامي³ .

ويعرف كذلك على أنها: الأشياء التي أوجب الله تعالى على المكلفين أن يشرعوا فيها⁴ .

وعليه يمكن للباحث أن يعرف التشريع الإسلامي بأنه: الأحكام والقواعد والقوانين

والأنظمة المستخلصة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وفق أسس معتمدة متفق

عليها بين العلماء، تهدف إلى ضبط حياة الجماعات والأفراد وفق نهج الله سبحانه وتعالى، من

أجل الفوز برضا الله سبحانه وتعالى.

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 372 .

² الأمدي، علي بن محمد، الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، لبنان، دار الكتاب العربي، ط1، 1404 هـ - 1983م، ج 1، ص 22 .

³ أبو زيد، رشدي شحاته، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مصر، دار الوفاء، ط 1، 1428 هـ - 2008 م، ص 27 .

⁴ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 372 .

أو هو: مجموعة من الأنظمة والأحكام والقواعد والقوانين المتضمنة في الوحي الإلهي (القرآن الكريم وصحيح السنة) والتي تشكل في مجموعها منهاجاً ربانياً، تهدف إلى ضبط وتنظيم حياة الإنسان وعلاقاته، قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: 48) .

قال الشعراوي¹: الشريعة هي القانون الذي يحكم حركة حياتك، فالمنهج والشريعة هي محل التغيير بين الرسل، لأنها تتعلق بحركة الحياة والله تبارك وتعالى يعطي لكل بيئة على لسان رسولها ما يناسبها وما يعالج أمراضها وأدائها، أما الدين فهو الأمر الثابت والموحد من قبل الله تعالى، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ (الجاثية: 18) .

قال الطبري: ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾: طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا به من قبلك من رسلنا ﴿ فَاتَّبِعْهَا ﴾ يقول: فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك² .

المطلب الثاني: مفهوم الأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام:

هو مجموعة المبادئ والقواعد والأحكام التشريعية المنظمة والمتناسقة والمستنبطة من سورة الأنعام والتي تبنى عليها النظرية التربوية الإسلامية وتتطلق منها في مبادئها وأفكارها وعلومها النظرية والعملية المختلفة .

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 6161 .
² الطبري، جامع البيان، ج 21، ص 85 .

المبحث الثاني: ذكر مجالات التشريع الإسلامي وأمثلته في سورة الأنعام:

لم يترك الشارع الحكيم جل وعلا مجالاً من مجالات حياة الإنسان إلا وشرع له ما يناسبه من الأحكام التي تنظمه وتضبطه بما يشكل في مجموعه منهجاً شاملاً كاملاً متكاملًا ينظم جميع علاقات الإنسان وشؤون حياته بحيث يتحقق له الأمن والاستقرار النفسي والسعادة والعيش الكريم في حياته الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة ونيل رضا الشارع الكريم جل وعلا إذا التزم بهذا المنهج الرباني . ويقع عليه ضنك العيش وشقاوته والاضطراب النفسي والقلق الدائم في الدنيا والخزي والعار وغضب الجبار في الآخرة إن رفض المنهج الرباني واتبع هواه وشهوات نفسه، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾ (طه: 123-124).

أي فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزغ منه فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي، ولا يشقى في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة وينجيهِ من عذابه¹.

قال ابن عاشور²: في هذه الآية وصاية الله لأدم وذريته بإتباع رسل الله والوحي الإلهي، وبذلك يعلم أن طلب الهدى مركز في الجبلية البشرية، وقوله: ﴿ فَلَا يَضِلُّ ﴾ فمعناه: أنه إذا اتبع الهدى للوارد من الله على لسان رسله سلّم من أن يعتريه شيء من ضلال، وهذا مأخوذ من دلالة العقل في حيز النفي على العموم، كعموم النكرة في سياق النفي، أي فلا يعتريه ضلال في الدنيا، بخلاف من اتبع ما فيه هدى وورد من غير الله فإنه وإن استفاد هدى في بعض الأموال، لا يسلم من الوقوع في الضلال في أحوال أخرى، وهذا حال متبعي الشرائع غير الإلهية، وهي

¹ الطبري، جامع البيان، ج 16، ص 191 .

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 16، ص 197 - 200 .

الشرائع الوصفية، فإن واضعها وإن أفرغوا جهودهم في نطلب الحق لا يسلمون من الوقوع في ضلالات بسبب غفلات، أو تعارض أدلة، أو انفعال بعادات مستقرة، والشقاء هو شقاء الآخرة لأنه إذا سلم من الضلال في الدنيا، سلم من الشقاء في الآخرة، ولذلك فقد رتب على الإعراض عن هدى الله اختلال حاله في الدنيا والآخرة، فالمعيشة المراد بها مدة المعيشة أي مدة الحياة، والضنك: الضيق، ويستعمل مجازاً في عسر الأمور في الحياة والمعنى: أن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى التحيل في إيجاد الأسباب والوسائل لمطالبه، فهو مهلك على الزيادة خائف على الانتقاص غير ملتفت إلى الكمالات ولا مأنوس بما يسعى إليه من الفضائل، يجعله الله في تلك الحالة وهو لا يشعر، وبعضهم يبدو للناس في حالة حسنة ورفاهية ولكنه نفسه غير مطمئن، وجعل الله عقابه يوم الحشر أن يكون أعمى تمثيلاً لحالته الحسية يومئذ بحالته المعنوية في الدنيا، وهي حالة عدم النظر في وسائل الهدى والنجاة، وذلك المعنى عنوان على غضب الله عليه وإقصائه عن رحمته .

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(الأنعام: 71) . أي أن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه، وسبيلنا الذي أمرنا بلزومه، ودينه الذي

شرعه لنا فبينه، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها، فلا تترك الحق وتتبع الباطل، ﴿وَأَمْرًا

لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: وأمرنا ربنا ورب كل شيء لنخضع له بالذلة والطاعة

والعبودية¹.

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، 333 .

ومن هذه المجالات:

أولاً: مجال تشريع العبادات والطاعة الخاصة والعامة وبيان ضرورة الإخلاص لله سبحانه وتعالى والتوجه إليه بالعبادة والطاعة وحده لا شريك له، لأنه الخالق الموجود لكل شيء، فهو وحده المستحق للعبادة والطاعة، قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الأنعام: 102) . فقد ذكر الله سبحانه وتعالى بالخلق والربوبية لبيان أن من خلق كل شيء هو المستحق أن يكون رباً وهو الذي يجب أن يتوجه إليه العباد بالعبادة والطاعة في كل صغيرة وكبيرة كما أمر سبحانه وتعالى، لا كما أراد البشر، قال ابن عاشور¹: أمرٌ بعبادته سبحانه وتعالى، وقد جعل الأمر بعبادته مفرعاً على وصفه بالربوبية والوحدانية، لأن الربوبية مقتضية استحقاق العبادة، والانفراد بالربوبية يقتضي تخصيصه بالعبادة، وقد فهم هذا التخصيص من التفريع، ووجه أمرهم بعبادته أن المشركين كانوا معرضين عن عبادة الله تعالى بحيث لا يتوجهون بأعمال البر في اعتقادهم إلّا إلى الأصنام، فهم يزورونها ويقربون إليها القرابين، وينذرون لها النذور، ويستعينون بها ويستجدون بنصرتها، وما كانوا يذكرون الله إلا في موسم الحج، على أنهم قد خلطوه بالتقرب إلى الأصنام، إذ جعلوا فوق الكعبة " هبل" وجعلوا فوق الصفا والمروة " أسافا ونائلة " فكانوا معرضين عن عبادة الله تعالى، فلذلك أمروا بها صريحاً، وأمروا بالاعتصار عليها بطريق الإيماء بالتفريع، وجملة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ أي على وجه تكميل التعليل بالأمر بعبادته دون غيره، بأنه متكفل بالأشياء كلها من

¹ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 6، ص 249 - 250 .

الخلق والرزق والإنعام وكل ما يطلب المرء حفظه له، فالوجه عبادته ولا وجه لعبادة غيره،
فإن اسم الوكيل جامع لمعنى الحفظ والرقابة .

قال الرازي¹: أي أنه لما أقام الحجة على وجود الإله القادر المختار الحكيم الرحيم،
وبين فساد قول من ذهب إلى الإثراك بالله، وفصل مذاهبهم على أحسن الوجود وبين فساد كل
واحد منهم بالدلائل اللائقة به، ثم حكى مذهب من أثبت لله البنين والبنات، وبين بالدلائل القاطعة
فساد العقول بها، فعند هذا ثبت أن إله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد
والند، ومنزه عن الأولاد والبنين والبنات، فعند هذا صرح بالنتيجة فقال: ذلكم الله ربكم لا إله إلا
هو خالق كل ما سواه فاعبدوه ولا تعبدوا غيره أحد، فإنه هو المصلح لمهمات جميع العباد، وهو
الذي يسمع دعاءهم ويرى نلهم وخضوعهم ويعلم حاجتهم وهو الوكيل لكل أحد على حصول
مهماته .

قال الزمخشري²: «ذَلِكُمْ» إشارة إلى الموصوف لما تقدم من الصفات، وهو مبتدأ وما
بعده اخبار مترانفة، وهي «اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» أي: ذلكم الجامع
لهذه الصفات «فَاعْبُدُوهُ» مُسَبَّبٌ عن مضمون الجملة على معنى: أن من استجمعت له هذه
الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه .

ثانياً: أمر الله سبحانه وتعالى المكلفين بالاستسلام والانقياد له في كل ما أمر ونهى وحكم
وشرع وأن يخلصوا له في ذلك على سبيل الإجمال، ثم جاء بأهم العبادات تفصيلاً فأمر بإقامة
الصلاة وذلك يعني أداؤها على الكيفية التي شرعها الله في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ أي
بشروطها الخاصة وأوقاتها الخاصة وكيفياتها الخاصة، ثم جاء بجماع الأمر كله، فأمر بالتقوى

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 94 .
² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 340 .

وهي الالتزام التام بأوامر الله سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه، والخوف منه ومراقبته في السر والعلن، تأكيداً على ما كان من الأمر بالاستسلام والانقياد وأداء العبادات، لأن مثل هذه الأفعال وغيرها تحتاج إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَأْمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) ﴾ (الأنعام: 71 - 72) .

﴿ وَأْمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: أي نخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُواهُ ﴾: أي وأمرنا بإقامة الصلاة وبتقواه في جميع الأحوال¹ .

قال الزمخشري²: فإن قلت: علام عطف قوله ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا ﴾ ؟ قلت: على موضع نسلم، كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا، ويجوز أن يكون التقدير: وأمرنا لأن نسلم، ولأن أقيموا، أي: للإسلام وإقامة الصلاة .

وعليه فإن تأويل الكلام: وأمرنا بإقامة الصلاة، وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا، وخافوه واحذروا سخطه بأداء الصلاة المفروضة عليكم والإذعان له بالطاعة وإخلاص العبادة له فهو الذي إليه تحشرون وتجمعون يوم القيامة، فيجازي كل عامل منكم بعمله، وتوفى كل نفس ما كسبت³ .

إذن فقد أمر الله سبحانه وتعالى أولاً بالاستسلام له وهو الخضوع والطاعة والانقياد في كل صغيرة وكبيرة، ثم الإخلاص له في الأقوال والأفعال عامة، ومراقبته في السر والعلن، ثم فصل ذلك وجاء بالصلاة التي هي عماد الدين .

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 163 .

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 333 - 334 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 334 - 335 .

ثالثاً: فيما يتعلق بالأكل من الأنعام جاء التشريع في سورة الأنعام ببيان حل وجواز الأكل من الذبائح التي يذكر اسم الله عليها عند الذبح من الأنعام الجائز أكلها وحرمة الأكل منها إذا ذبحت لغير الله سبحانه وتعالى، وذلك بأن يذكر عليها عند الذبح اسماً غير اسم الله، أو تذبح ويقصد بها غير الله سبحانه وتعالى، وهذه تعتبر القاعدة العامة لما يحل أكله من الأنعام في الأحوال العادية دون وجود ضرورة، ولكن إن دعت الحالة إلى الأكل بسبب لحوق الضرر أجازت الآيات الأكل من الأنعام كيفما وجدت وكيفما ذبحت، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يغير في التشريع والأحكام إذا تغيرت الظروف والأحوال، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119)﴾ (الأنعام: 118 - 119) .

قال ابن كثير¹: هذا إباحة من الله لعباده المؤمنين، أن يأكلوا من الذبائح ما ذكر عليه اسمه، ومفهومه أن لا يباح ما لم يذكر اسم الله عليه، كما كان يستبيحه كفار قريش من أكل الميتات، وأكل ما ذبح على النصب وغيرها، ثم ندد إلى الأكل مما ذكر اسم الله عليه، ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وقد بين ما حرم عليكم ووضحه، ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلا في حال الاضطرار، فإنه يباح لكم ما وجدتم، ثم بين تعالى جهالة المشركين في آرائهم الفاسدة، من استحلالهم الميتات، وما ذكر

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 188 .

عليه غير اسم الله تعالى، فقال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: هو أعلم باعتدائهم وكذبهم وافترائهم .

قال القرطبي¹: هذه الآية أمر بذكر اسم الله على الشراب والذبح وكل مطعوم، وقوله:

﴿ إِن كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي بأحكامه وأوامره آخذين، فإن الإيمان بها يتضمن ويقتضي
الآخذ بها والانتقياد بها .

وقال ابن عاشور²: الكلام يبيّن شرائع الهدى للمهتدين، وإبطال شرائع شرعها المضلون،

تبييناً يزيل الشك والاختلاط . ولذلك ضللت الأحكام المشروعة للمسلمين بأضدادها التي كان
شرعها المشركون وسلفهم، ولذلك بعد أن نهى عن اتباعهم وسمى شرائعهم خرساً، فرع عليه
هنا الأمر بأكل ما ذكر اسم الله عليه، أي عند قتله، أي ما نحر ونبح وذكّر اسم الله عليه،
والنهى عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، ومنه الميتة . والأمر في قوله: ﴿ فَكُلُوا ﴾ للإباحة،
ولما لم يكن يخطر ببال أحد أن ما لم يذكر اسم الله عليه يحرم أكله، لأن هذا لم يكن معروفاً
عند المسلمين ولا عند المشركين، علم أن المقصود من الإباحة ليس رفع الحرج، ولكن بيان ما
هو المباح، وتميزه عن ضده من الميتة وما نبح على النصب، والخطاب للمسلمين وقوله: ﴿
مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ دل على أن الموصول صادق عن الذبيحة، لأن العرب كانوا
يذكرون عند الذبح أو النحر اسم المقصود بتلك الذكاة، يجهرون بذكر اسمه، ولذلك قيل فيه أهل
فيه لغير الله، أي أعلن والمعنى: كلوا المنكى ولا تأكلوا الميتة، فما ذكر اسم الله عليه كناية عن
المنبوح لأن التسمية تكون عند الذبح .

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 72 .
² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 19 - 20 .

رابعاً: وفيما يتعلق بالزكاة والصدقات إشارة سورة الأنعام إلى فضل الله سبحانه وتعالى في إسباغ النعم على العباد في إنشائه لهم الجنات المعروشات وغير المعروشات والألوان المختلفة من الأشجار والثمار مما تشتهيهِ الأنفس وتلذذه الأعين، وأن من أنشأ هذا كله هو الله خالق كل شيء، تكريماً لهذا الإنسان وما على هذا الإنسان إلا أن يتبع منهج الله سبحانه وتعالى وسننه في التعامل مع هذه النعم والمخلوقات، فجاء الأمر من الله له بالأكل منه، أي الانتفاع به وأداء حق الله به عند نضجه وحصاده دون إسراف، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مَتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام: 141) . قال الطبري¹: هذا إعلام من الله تعالى ما أنعم به عليهم من فضله، وتنبية منه لهم على موضع إحسانه، وتعريف منه لهم ما أحل وحرّم وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم لهم فيها حقاً، ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ ﴾ أي ربكم أيها الناس أحدث وأبتدع خلقاً لا الآلهة ولا الأصنام ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ بساتين مبنيات، لا ينبته الناس ولا يرفعونه، ولكن الله يرفعه وينبته وينميه، وأنشأ الزرع والنخل مختلفاً أكله، أي وخلق النخل والزرع مختلفاً ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه في الطعم، منه الحلو والحامض والمر، وأما قوله ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ فقال بعضهم: هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب، وقال آخرون: كان هذا شيئاً أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة، ثم نسخته الصدقة المعلومة .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 593 - 611 .

قال القرطبي¹: في قوله تعالى: ﴿ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ

حَصَادِهِ ﴾ فهذان بناءان جاءا بصيغة افعال، أحدهما مباح، والثاني واجب، وليس يمتنع في

الشريعة اقتران المباح والواجب وبدأ بذكر نعمة الأكل قبل الأمر بإيتاء الحق، ليبين أن الابتداء

بالنعمة كان من فضله قبل التكليف، وأما قوله: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ فقال بعضهم:

هي الزكاة المفروضة، العشر ونصف العشر، واختلفوا في وجوب الزكاة في جميع ما تضمنته

أو بعضه، وقد بينا أن الزكاة إنما تتعلق بالمقتات دون الخضروات، وأن الخضروات ليس فيها

شيء، وأما قوله يوم حصاده فيه ثلاثة أقوال: الأول: وقت الجذاذ . والثاني: يوم الطيب، لأن

ما قبل الطيب يكون علفاً لا قوتاً ولا طعاماً، فإذا طاب وحن الأكل الذي أنعم الله به وجب الحق

الذي أمر الله به، إذ بتمام النعم يجب شكر النعمة، ويكون إيتاء الحصاد لما قد وجب يوم الطيب

. والثالث: أن يكون بعد تمام الخرص، لأنه حينئذ يتحقق الواجب فيه من الزكاة فيكون شرطاً

لوجوبها .

وأما قوله: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾: فإن الإسراف في اللغة الخطأ وفي النعمة التبذير، فيكون

المعنى: لا تأخذوا الشيء بغير حقه ثم تضعوه في غير حقه، وقيل: ما جاوزت به أمر الله فهو

سرف وإسراف² .

قال الرازي³: في قوله: ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ ثلاثة أقوال: الأول: يريد به

العشر فيما سقت السماء ونصف العشر فيما سقي بالدواليب . والثاني: أن هذا حق في المال

سوى الزكاة . والثالث: أن هذا كان قبل وجوب الزكاة، فلما فرضت الزكاة نسخ، وأما قوله: ﴿

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 97 - 104 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 110 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 164 - 165 .

وَلَا تُسْرِفُوا ﴿ فاعلم أن لأهل اللغة في تفسير الإسراف قولين: الأول: تجاوز ما حدَّ لك .
 والثاني: سرف المال: ما ذهب من غير منفعة وعليه فإن للمفسرين فيه أقوال: الأول: أن
 الإنسان إذا أعطى كل ماله ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف . والثاني: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾
 أي لا تمنعوا الصدقة، وهذان القولان يشتركان في أن المراد من الإسراف مجاوزة الحد، إلا أن
 الأول مجاوزة في الإعطاء، والثاني: مجاوزة في المنع . والثالث: لا تشركوا الأصنام في
 الحرب والأنعام، وهذا أيضاً من باب المجاوزة لأن من أشرك الأصنام في الحرب والأنعام فقد
 جاوز ما حد له . والرابع: أي لا تنفقوا في معصية الله تعالى .

قال الزمخشري¹: قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾: الآية مكية، والزكاة إنما
 فرضت بالمدينة، فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد، وكان ذلك واجباً
 حتى نسخه اقتراض العشر ونصف العشر، وقيل: مذبذبة والحق: هو الزكاة المفروضة، ومعناه:
 واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت
 يمكن فيه الإيتاء ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي في الصدقة .

خامساً: فيما يتعلق بالمحرمات من المأكولات والمشروبات بينت سورة الأنعام أن هذه
 المحرمات محصورة في الدم المسفوح والميتة من الأنعام ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله
 سبحانه وتعالى، على أنها أجازت الأكل منها في حالة الاضطرار وعدم الرغبة، وفي حصر
 المحرمات بهذه المحرمات الأربعة إشارة إلى مدى رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان، إذ يفهم
 من الآية أن باقي ما تبقى من الأصناف جائز أكله، وهي أصناف غير محصورة بعدد فما أكثر
 ما أحل الله لنا من طعام وما أقل ما حرم علينا، فما علينا إلا الالتزام والشكر لهذا الخالق

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 8، ص 348 - 349 .

العظيم، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام: 145) .

قال القرطبي¹: أعلم الله عز وجل في هذه الآية بما حرّم، والمعنى: يا محمد قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً إلا هذه الأشياء، لا تحرمونه بشهوتكم والآية مكية، ولم يكن في الشريعة في ذلك الوقت محرّم غير هذه الأشياء ثم نزلت سورة المائدة بالمدينة وزيدت المحرمات كالمنخفة والموقوذة والمتردية والنطيحة والخمر وغير ذلك، وحرّم رسول الله ﷺ بالمدينة أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير .

وقال الطبري²: معنى الآية: أي قل لهم يا محمد: فإنني لا أجد في ما أوحى إلي من كتاب الله تعالى وأي تنزيه شيئاً محرماً على أكل يأكله مما تذكرون أنه حرّمه من هذه الأنعام التي تصفون لا تحريم ما حرّم عليكم بزعمكم، إلا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تنكية أو دمماً مسفوحاً وهو المنصب أو إلا أن يكون لحم خنزير . ﴿ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا ﴾: يقول: أو إلا أن يكون فسقاً، يعني بذلك: أو إلا يكون مذبوحاً ذبحة ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثته، فإن ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرّمه، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك، لأنه ميتة .

قال الرازي³: لما بين الله تعالى أن التحريم والتحليل لا يثبت إلا بالوحي، قال: قل لا أجد في ما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه أي أكل يأكله وذكر هذا ليظهر أن المراد منه

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 115 .
² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 631 .
³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 167، 168 .

هو بيان ما يحل ويحرم من المأكولات . ثم ذكر أموراً أربعة: أولها: الميتة، وثانيها الدم المسفوح، وثالثها: لحم الخنزير، ورابعها: الفسق وهو الذي أهل به لغير الله . فقولته تعالى: قل لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً إلا هذه الأربعة مبالغة في بيان أنه لا يحرم إلا هذه الأربعة وذلك لأنه لما ثبت أنه لا طريق إلا معرفة المحرمات والمحللات إلا بالوحي وثبت أنه لا وحي من الله تعالى إلا إلى محمد عليه الصلاة والسلام وثبت أنه تعالى يأمره أن يقول: إني لا أجد في ما أوحى إليّ محرماً من المحرمات إلا هذه الأربعة كان هذا مبالغة في بيان أنه لا يحرم إلا هذه الأربعة ثم أكد ذلك في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل: 115)، وكلمة " إِنَّمَا " تفيد الحصر فقد حصلت لنا آيتان مكيّتان يدلان على حصر المحرمات في هذه الأربعة، فبين في سورة البقرة وهي مدنية أيضاً أنه لا محرم إلا هذه الأربعة فقال: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: 173)، وكلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ تفيد الحصر، فصارت هذه الآية المدنية مطابقة لتلك الآية المكية، ثم ذكر تعالى في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ (المائدة: 1)، فقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله: ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ هو ما نكراه بعد هذه الآية بقليل بقوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ (المائدة: 3) وكل هذه الأشياء أقسام الميتة وأنه تعالى إنما أعادها بالذكر لأنهم كانوا يحكمون عليها

بالتحليل فثبت أن الشريعة من أولها إلى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى الحصر فإن قال قائل: يلزم من هذا الحصر تحليل النجاسات والمستقذرات وتحليل الخمر والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة مع أن الله حكم بتحريمها قلنا: لا يلزم ذلك من وجود الأول: أنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ ومعناه: إنما حرم لحم الخنزير لكونه نجساً فيقتضي أن النجاسة علة لتحريم الأكل فوجب أن يكون كل نجس يحرم أكله، والثاني: أنه تعالى قال في آية أخرى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف: 157) وذلك يقتضي تحريم كل الخبائث، والنجاسات خبائث؛ فوجب القول بتحريمها، وأما الخمر فإنها نجسة فيكون من الرجس فيدخل تحت عموم قوله ﴿رِجْسٌ﴾ وتحت قوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾، وثبت أيضاً تخصيصه بالنقل بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ (المائدة: 90)، ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: 219)، وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فإنها ميتات داخله في عموم الآية إن كانت ميتة وإن لم تكن ميتة فتخصصها بتلك الآية.

سادساً: وفي مجال ضبط المجتمع من الانحراف والبعد عن الله سبحانه وتعالى، فقد أشارت سورة الأنعام إلى جملة من الأحكام التي تهدف من خلالها إلى إشاعة الخير والفضيلة في المجتمع الإسلامي ومحاربة الفساد والرذيلة على رأسها الشرك بالله سبحانه وتعالى، وما يتصل من مخالفات، ودعت إلى الاحسان إلى الوالدين باعتبارهما السبب المباشر في وجود الإنسان على هذه الدنيا فلهما الفضل والمنة بعد الله جل وعلا وأن من تجرأ على عدم الاحسان لهما والعقوق بهما ونسيان فضلها، فإن تجرؤه على الله سيكون عليه أسهل لأن من ينكر فضل من كان سبباً مباشراً في وجوده على هذه الحياة الدنيا، فإن من السهل عليه إنكار فضل الله عليه جل وعلا، ثم بينت الآيات قضية هامة وخطيرة، وهي قضية قتل الأولاد خوفاً من الفقر، حيث بيّنت

الآيات خطورة قتلهم بحجة الفقر، وبيّنت أن الرزق من الله سبحانه وتعالى للأهل والأولاد على حد سواء، ونهت الآيات عن الفواحش ما كان منها ظاهراً يجاهر به صاحبه ولا يخشى ولا يخاف، وما كان سراً بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وبيّنت الآيات كذلك حرمت النفس الإنسانية وكرامتها على الله، وذلك لعدم جواز قتلها إلا بالحق، واهتمت الآيات باليتيم ونهت عن الاقتراب من ماله إلا من أجل خدمته والمحافظة عليها وتنميته حتى يبلغ اليتيم سنّاً معها يمكن له أن يكون أهلاً للتصرف في ماله، عندها يدفع إليه ماله، وحذرت الآيات من قضية اجتماعية تجارية خطيرة وهي قضية تطفيف الكيل والميزان، وذلك عن طريق الأمر بالوفاء بالكيل والميزان بالعدل بلا نقصان ولا زيادة، لأن النفس لا يكلف الله إلا وسعها، ثم جاء الأمر بالآيات بالعدل في الأقوال، فهو ملاك الأمر كله، وحتى ولو تعلق الأمر بقريب يخشى ضرره، وترجى مصلحته، وضمت الآيات الأمر بالوفاء بعهد الله سبحانه وتعالى، ذلك لأن كل الأحكام والتشريعات الواردة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ هي عهود بين الله وعباده فإن من التزم بها وأطاع ونفذ الأمر كما أراه منه خالقه، وفى بالعهد، ومن عدل وغير وبذل وعصى ولم يطيع أو التزم على طريقته وهواه، فإنه خان العهد بينه وبين الله عياداً بالله . ولا بد من الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى ذكر بعد كل مجموعة من هذه الأحكام بأن هذه (وصية) من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الطائعين لأن ذلك أجدر أن يأخذوا الأمر بجديّة أكثر، وأكثر فاعلية في تقبل هذه الأحكام والإقبال عليها والانتباه لها فإنها وصية الله الخالق الرحيم بعباده لعباده الطائعين، فإن الله هو الخالق الذي يعلم ما يصلح الإنسان وأحواله وبما فيه مصلحته في حياته الدنيا والآخرة لذلك وصاه بما يكفل ذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نُرْزِقُكُمْ

وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
 إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
 هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) (الأنعام: 151 - 152) .

قال الطبري¹: معنى الآية: أي قل لهم يا محمد: تعالوا أيها القوم اقرأ عليكم ما حرم
 ربكم حقاً يقيناً، لا الباطل، تخرصاً كخرصكم على الله الكذب والفرية ظناً، ولكن وحياً من الله
 أوحاه إليّ، ألا تشركوا بالله شيئاً من خلقه، وتعبدوا شيئاً سواه ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾
 وأوصى بالوالدين إحساناً، وحذف " أوصى " وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه.
 ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ أي ولا تندوا أولادكم فنقتلوهم من
 خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم، فإن الله هو رازقكم وإيَّاهم، ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
 مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ أي ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم لا
 تتكرونها ركوبها، والباطن منها الذي تأتونه سراً في خفاء لا تجاهرون به، فإن كل ذلك حراماً،
 وقد قيل: إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن ؛ لأنهم كانوا يستقبحون من معاني
 الزنا بعضاً وقيل: ما ظهر: نكاح الأمهات وحلائل الآباء، وما بطن: الزنا، وقيل: ما ظهر:
 الخمر، وما بطن: الزنا، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 656 - 667 .

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿﴾ يعني النفس التي حرّم الله قتلها: نفس مؤمن أو معاهد، وقوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾
 يعني بما أباح قتلها به من أن تقتل نفساً فتقتل قَوْدًا بها، أو تزني وهي محصنة فترجم، أو
 ترتد عن دينها الحق فتقتل، فذلك الحق الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرّم على
 المؤمنين قتلها به، ﴿ذَلِكُمْ﴾ يعني: هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه ولا ندعه،
 هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: وصاكم
 لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم . ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ﴾: أي لا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه تنميره، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ فإن الأشد جمع
 شدّ، والشدّ: القوة، وهو استحكام قوة شبابه وسنه كما شدّ النهار ارتفاعه وامتداده، وقد اختلف
 أهل التأويل في الحين الذي إذا بلغه الإنسان قيل بلغ أشده، فقال بعضهم: يقال ذلك له إذا بلغ
 الحلم، وقال آخرون: إذا بلغ ثلاثين سنة، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَّا تُكَلِّفُ
 نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: أن لا تشركوا به شيئاً وأن أوفوا الكيل والميزان ؛ أي ولا تبخسوا
 الناس الكيل إذا كلنهم، والوزن إذا وزنتمهم، ولكن أوفوهم حقهم، وإيفائهم ذلك إعطاؤهم
 حقوقهم تامة بالقسط، يعني بالعدل . ﴿لَّا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا تكلف نفساً من إيفاء
 الكيل والوزن إلا ما يسعها فيحل بها ولا تخرج منه، وذلك لأن الله يعلم من عباده أن كثيراً منهم
 تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له، فأمر المعطي بإيفاء الحق حقه الذي هو
 له ولم يكلفه الزيادة لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر الذي له الحق بأخذ حقه ولم
 يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ

ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قُلْتُمْ

فَاعْدِلُوا ﴿١١﴾ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَكَلَّمْتُمْ فَقُولُوا الْحَقَّ بَيْنَهُمْ، وَاَعْدِلُوا وَاَنْصَفُوا وَلَا تَجْرُوا،

وَلَوْ كَانَ الَّذِي يُتَوَجَّهُ الْحَقُّ عَلَيْهِ وَالْحُكْمُ ذَا قَرَابَةٍ لَكُمْ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ قَرَابَةَ قَرِيبٍ أَوْ صِدْقَةَ صَدِيقٍ

حَكَمْتُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَنْ تَقُولُوا غَيْرَ الْحَقِّ فِيمَا احْتَكَمَ إِلَيْكُمْ مِنْهُ، ﴿١٢﴾ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴿١٣﴾ يَقُولُ:

وَبِوَصِيَّةِ اللَّهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا فَأَوْفُوا، وَإِيفَاءُ ذَلِكَ أَنْ يَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَنْ

يَعْمَلُوا بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَذَلِكَ هُوَ الْوَفَاءُ بِعَهْدِ اللَّهِ . ﴿١٤﴾ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥﴾ أَيَّ كَلِّ ذَلِكَ

لِتَتَذَكَّرُوا عَوَاقِبَ أَمْرِكُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَمَرَكُم بِهَا فِي هَاتَيْنِ الْآيَاتَيْنِ وَخَطَأَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ

فَتَنْزَجُوا وَتَنْبِيُوا إِلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ.

قال الزمخشري¹: قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنِئْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ يقال: من الخاص الذي صار عاماً وأصله أن يقوله: من كان

في مكان عالٍ لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم، و ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ منصوب بفعل

التلاوة ؛ أي أئل الذي حرمه ربكم أو يحرم، بمعنى: أئل أي شيء حرّم ربكم؛ لأن التلاوة من

القول وأن في ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ مفسرة و (لا) للتهي، فإن قلت: هلا قلت هي التي تتصب

الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلاً من ما حرّم ؟ قلت: وجب أن يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا

تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ لأن

التقدير وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وأوفوا، وإذا قلتم فاعدلوا، وبعهد الله أوفوا .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 8، ص 352 .

وقال الرازي¹: أنه تعالى أوجب في هذه الآية خمسة أمور:

أولاً: ألا تشركوا به شيئاً، وقد شرح الله فرق المشركين في هذه السورة على أحسن

الوجوه، فهم: طائفة أولى: يجعلون الأصنام شركاء لله تعالى وإليهم الإشارة بقوله حكاية عن

إبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴾ (الأنعام: 74)، وطائفة ثانية: من المشركين عبدة الكواكب وهم الذين حكى الله عنهم

أن إبراهيم عليه السلام أبطل قولهم بقوله: ﴿لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ (الأنعام: 76)، وطائفة ثالثة:

الذين حكى الله تعالى عنهم أنهم جعلوا لله شركاء الجن ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ (

الأنعام: 100)، وطائفة رابعة: الذين جعلوا لله بنين وبنات وأقام الدلائل على فساد أقوال هؤلاء

الطوائف والفرق فلما تبين بالدليل فساد قول هؤلاء قال هاهنا: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ .

ثانياً: وبالوالدين أحساناً، وإنما تثنى بهذا التكليف لأن أعظم أنواع النعم على الإنسان

نعمة الله تعالى ويتلوها نعمة الوالدين، لأن المؤثر الحقيقي في وجود الإنسان هو الله سبحانه

وفي الظاهر هو الأبوين، ثم فضلتهما على الإنسان كبير في التربية والمشقة والحفظ عن الضياع

والهلاك في صغره .

ثالثاً: أوجب بقدر رعاية حقوق الوالدين رعاية حقوق الأولاد، ﴿تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ

إِمْلَاقٍ﴾ أي من الفقر، وقد صرح بذكر الخوف في قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً

إِمْلَاقٍ﴾ (الإسراء: 31) .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 178 - 179 .

رابعاً: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾، كانوا يكرهون الزنا

علانية ويفعلون ذلك سراً، فهامهم الله عن الزنا علانية وسراً والأولى أن لا يخصص هذا النهي بنوع معين بل يجري على عمومته في جميع الفواحش ظاهرها وباطنها، لأن اللفظ عام والمعنى الموجب لهذا النهي وهو كونه فاحشة عامة أيضاً، ومع عموم اللفظ والمعنى يكون التخصيص على خلاف الدليل، وفي قوله ﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ دقيقة هي: أن الإنسان إذا احترز من المعصية في الظاهر ولم يحترز عنها في الباطن دل ذلك على أن احترازه عنها ليس لأجل عبودية الله وطاعته، ولكن لأجل الخوف من مذمة الناس، وذلك باطل لأن من كان مذمة الناس عنده أعظم وقعاً من عقاب الله ونحوه فإنه يخشى عليه من الكفر، ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً دل ذلك على أنه إنما تركها تعظيماً لأمر الله تعالى وخوفاً من عذابه ورغبة في عبوديته

خامساً: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وهو داخل في جملة

الفواحش إلا أنه تعالى أفرده لفائدتين: أحدهما: أن الأفراد بالذكر يدل على التعظيم، والثانية: أنه تعالى أراد أن يستثني منه ولا يتأتى هذا الاستثناء في جملة الفواحش، وقوله ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أي قتل النفس المحرمة قد يكون حقاً لجرم يصدر منها .

وقال ابن عاشور¹: وقد انقسمت الأحكام التي تضمنتها هذه الجمل المتعاطفة في الآيات

الثلاث المفتحة بقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾ إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أحكام بها صلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس وهو ما افتتح بقوله: ﴿ أَلَا

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ .

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 116 - 117 .

الثاني: ما به حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض وهو المفتوح بقوله: ﴿ وَكَأَنَّ

تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ .

الثالث: أصل كلي جامع لجميع الهدى، وهو اتباع طريق الإسلام والتحرز من الخروج

عنه إلى سبل الضلال وهو المفتوح بقوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ (الأنعام:

153) .

وقد ذيل كل قسم من هذه الأقسام بالوصية بقوله: ﴿ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ ﴾ ثلاث مرات،

وبيان ذلك

عطف جملة ﴿ وَكَأَنَّ تَقْرُبُوا ﴾ على الجملة التي فسرت فعل: ﴿ أَتْلُ ﴾ (الأنعام: 151)،

عطف محرمات ترجع إلى حفظ قواعد التعامل بين الناس لإقامة قواعد الجامعة الإسلامية ومدينتها وتحقيق ثقة الناس بعضهم ببعض . وابتدأها بحفظ حق الضعيف الذي لا يستطيع الدفع

عن حقه في ماله، وهو اليتيم . ولما اقتضى هذا تحريم التطرف في مال اليتيم، ولو بالخرن

والحفظ، وذلك يعرض ماله للتلغف استثنى منه قوله ﴿ إِلَّا بِأْتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي بالحالة التي

هي أحسن، أو الحالة التي هي أحسن حالات القرب، وهي النافعة التي لا ضررَ منها لليتيم ولا

لماله، والأشد: اسم يدل على قوة الإنسان والمراد منه بلوغه القوة التي يخرج بها من ضعف

الصبا، وتلك هي البلوغ مع صحة العقل، لأن المقصود أهلية التصرف في ماله . قوله: ﴿

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ وذلك في التبايع، فقد كانوا يطففون حرصاً على الربح،

فلذلك أمرهم بالوفاء وعدل عن أن يأتي فيه بالنهي عن التطفيف كما في قول شعيب: ﴿ وَكَأَنَّ

تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ (هود: 84)، إشارة إلى أنهم مأمورون بالحد الذي يتحقق فيه

العدل وافيًا وعدم النقص بيساوي الوفاء، ولكن في اختيار الأمر بالإيفاء لتكون النفوس ملتفتة إلى جانب الوفاء لا إلى جانب الترك التقيص، وفيه تذكير لهم بالسخاء الذي يتماذحون فيه، كأنه قيل: أين سخاؤكم الذي تتنافسون فيه فلا تظهرونه إذا كنتم أو وزنتم فزيدوا على العدل، وهذا تنبيه لهم على اختلال أخلاقهم وعدم توازنها . والقسط: العدل، والوصاية بإيفاء الكيل والميزان راجعة إلى حفظ مال المشتري في مظفة الإضاعة ؛ لأن حالة الكيل والوزن حالة غفلة المشتري، إذ البائع هو الذي بيده المكيال أو الميزان، ولأن المشتري برغبته في تحصيل المكيل أو الموزون قد يتحمل التطفيف، فأوصى البائع بإيفاء الكيل والميزان، وهذا الأمر يدل بفحوى الخطاب على وجوب حفظ المال فيما هو أشد من التطفيف، فإن التطفيف إن هو إلا مخالسة قدر يسير من المبيع، فأكل ما هو أكثر من ذلك من المال أولى بالحفظ، وتجنب الاعتداء عليه .

قوله: **﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَأَعِدُّوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾** : هذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي الشهادة، والقضاء، والتعديل، والتحريم، والمشاورة، والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات من صفات المبيعات والمؤامرات والعيوب، وفي الوعود والوصايا، والإيمان، وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول والعدل في ذلك أن لا يكون في القول شيء في الاعتداء على الحقوق بإبطالها أو إخفائها، مثل كتمان عيوب المبيع، وادعاء العيوب في الأشياء السليمة، والكذب في الأثمان، والتزام الصدق في التعديل والتجريح وإيداء النصيحة في المشاورة، وقول الحق في الصلح، وأما الشهادة والقضاء فأمر العدل فيهما ظاهر، وإذا وعد القائل لا يخلف، وإذا أوصى لا يظلم أصحاب حقوق الميراث، ولا يحلف على الباطل، وإذا مدح أحد مدحه بما فيه، وأما الشتم فالإمساك عنه واجب، ولو كان حقاً فذلك الإمساك هو العدل، لأن الله أمر به، وفي التعليق بأداة الشرط في قوله: **﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾** إشارة إلى أن المرء في سعة من السكوت إن خشي قول العدل

وإما أن يقول الجور والظلم والباطل فليس له سبيل إلى ذلك، والكذب كله من القول بغير العدل على أن من السكوت ما هو واجب . قوله: «وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» واو الحال، ولو: وصلية تفيد المبالغة في الحال التي من شأنها أن يظن السامع عدم شمول الحكم إياها لاختصاصها من بين بقية الأحوال التي يشملها الحكم، فإن حالة قرابة المقول لأجله القول، قد تحمل القائل على أن يقول بغير العدل، لنفع قريبه أو مصانعته، فتنبهوا على وجوب التزام العدل في القول في تلك الحالة، أي ولو كان الذي تعلق به القول ذا قربي، والقرابي: القرابة، وتعلم أنه ذو قرابة من القائل، أي إذا قلتم قولاً لأجله أو عليه فاعدلوا، ولا تقولوا غير الحق، لا لدفع ضرره بأن تغمضوا الحق الذي عليه، ولا تختلقوا له حقاً على غيره، أو تبرئوه مما صدر منه على غيره . وقد جاء طلب الحق في القول بصيغة الأمر بالعدل، دون النهي عن الظلم أو الباطل ؛ لأنه قيده بأداة الشرط المقتضي لصدور القول؛ فالقول إذا صدر لا يخلو عن أن يكون حقاً أو باطلاً، والأمر بأن يكون حقاً أوفى بمقصد الشارع لوجهين: أحدهما أن الله يحب إظهار الحق بالقول، ففي الأمر بأن يكون عدلاً أمر بإظهاره ونهى عن السكوت بدون موجب، والثاني: أن النهي عن قول الباطل أو الزور يصدق بالكلام الموجه الذي ظاهره ليس بحق، وذلك مذموم إلا عند الخوف أو الملاينة، أو فيما لا يرجع إلى إظهار حق، وتلك المعارض التي ورد فيها حديث: " **إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكُذِبِ**"¹. قوله: « **وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا** » ختم هذه المتلوات بالأمر بإيفاء العهد، وعهد الله الأمور به هو كل عهد فيه معنى الانتساب إلى الله الذي اقتضته الإضافة، إذ الإضافة هنا يصح أن تكون إضافة المصدر إلى الفاعل، أي ما عهد الله به إليكم من الشرائع، ويصح أن تكون إضافة المصدر إلى مفعوله، أي ما عهدتم الله أن تفعلوه والتزمتموه،

¹ البيهقي، السنن الكبرى، باب المعارض فيها مندوحة عن الكذب، ج 10، ص 199، حديث رقم: 21363 ؛ البخاري، محمد بن اسماعيل، الألب المفرد، بيروت، دار البشائر الإسلامية، تحقيق: محمد فواد عبدالباقى، ط 3، 1409 هـ - 1989 م، باب من الشعر حكمة، ج 1، ص 297، حديث رقم: 857 . قال الألباني: صحيحاً موقوفاً .

وتقلدتموه، ويصح أن تكون الإضافة لأدنى ملابس، أي العهد الذي أمر الله بحفظه، وحذر من خُزْره، وهو العهود التي تُلْعَقَدُ بين الناس بعضهم مع بعض سواء كان بين القبائل أم كان بين الأحاد، وتقديم المجرور على عامة للاهتمام بأمر العهد وحرف ذهن السامع له، ليتقرر في ذهنه ما يرد بعده من الأمر بالوفاء، أي إن كنتم ترون الوفاء بالعهد مدحة، فعهد الله أولى بالوفاء وأنتم قد اخترتموه .

قال المراغي¹: ذكر الله في هذه الآيات أصول المحرمات في الأقوال والأفعال وأصول الفضائل وأنواع البر، وخص التحريم بالذكر مع أن الوصايا أعم، لأن بيان المحرمات يستلزم حل ما عداها، وقد بدأها بأكبر المحرمات وأعظمها وأشدّها إفساداً للعقل والفتنة وهو الشرك بالله، فقال:

1. ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾: أي لا تشركوا بالله شيئاً من الأشياء وإن عظمت في الخلق

كالشمس والقمر والكواكب، أو في القدر كالملائكة والنبیین والصالحين، فإن عظمتها لا تخرجها عن كونها مخلوقه لله مسخرة له بقدرته وإرادته .

2. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي وأحسنوا بالوالدين إحساناً تاماً كاملاً لا تدخرون فيه

وسعاً، ولا تألون فيه جهداً، وهذا يستلزم ترك الإساءة وإن صغرت، فما بالك بالعقوق الذي هو من أكبر الكبائر وأعظم الآثام، والإحسان إلى الوالدين يستلزم برهما والمراد بالبر: احترامهما احترام المحبة والكرامة، لا احترام الخوف والرهبنة، لأن في ذلك مفسدة كبيرة في تربية الأولاد في الصغر، وإلجاء لهم إلى العقوق في الكبر، وإلى ظلم الأولاد لهم كما ظلمهم أبائهم، وليس لهما أن يتحكما في شؤونهم الخاصة، ولا سيما

¹ المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د.ط. د.ت، ج 8، ص 65

ترويحهم بمن يكرهون، أو منعهم من الهجرة لطلب العلم النافع أو لكسب المال أو الجاه

3. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾: أي أن لا تقتلوا أولادكم

الصغار لفقر يحل بكم، فإن الله يرزقكم وإياهم، أي يرزقهم تبعاً لكم .

4. ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾: أي ولا تقربوا ما عظم قبحه من

الأقوال والأفعال كالزنا وقذف المحصنات سواء منه ما فعل علناً وما فعل سراً، وقيل

الظاهر ما تعلق بأعمال الجوارح، والباطن ما تعلق بأعمال القلوب كالكبر والحسد

والتفكير في تدبير المكاييد الضارة وأنواع الشرور والمآثم .

5. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾: أي ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله

قتلها بالإسلام أو بالعهد بين المسلمين وغيرهم كأهل الكتاب المقيمين بيننا بعهد وأمان،

وقوله: ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ إيماء إلى أن قتل النفس قد حَقَّ لجرم يصدر منها، كقتل القاتل

عمداً، أو قتل الزاني المحصن .

6. ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾: النهي عن

القرب من الشيء أبلغ من النهي عنه، لأن ذلك يتضمن النهي عن الأسباب والوسائل

المؤدية إليه، وعن الشبهات التي هي مظنة التأويل، فيبعد عنها المنقي ويستسغها

الطامع إذ يراها بالتأويل من الوجوه الحلال التي لا تضر به، أو يرجح نفعها على

ضررها .

7. ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾: أي وأتموا الكيل إذا كلتم للناس واكتلتم عليهم

لأنفسكم، وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم، فليكن ذلك وافيًا تاماً بالعدل، وذلك حين البيع وحين الشراء، فيرضى المرء لغيره ما يرصاه لنفسه وقوله: ﴿ بِالْقِسْطِ ﴾ يدل على تحري العدل في الكيل والميزان بقدر المستطاع .

8. ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾: أي وعليكم أن تعدلوا في القول إذا قلتم

قولاً في شهادة أو حكم على أحد، ولو كان المقول له ذا قرابة منكم، إذا بالعدل تصلح شؤون الأمم والأفراد، فهو ركن ركين في العمران، وأساسي في الأمور الاجتماعية، فلا يحل لمؤمن أن يحابي فيه أحد لقرابة ولا غيرها. فالعدل كما يكون في الأفعال كالوزن والكيل يكون في الأقوال.

9. ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ﴾: وهذا شامل لما يأتي:

أ. ما عهده الله تعالى إلى الناس على السنة الرسل عليهم السلام .

ب. ما أتاهم من العقل والوجدان والفطرة السليمة كما قال: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي

آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ (يس: 60) وقوله: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ

مِنْ قَبْلُ ﴾ (طه: 115) .

ت. ما عاهده الناس بعضهم بعضاً، كما قال: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾

(النحل: 91)، وقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ (البقرة: 177)،

فمن آمن برسول من رسله فقد عاهد الله حين الإيمان به أن يتمثل أمره ونهيه، وما شرعه للناس ووصاهم به، فهو مما عهد إليهم، وما التزمه الإنسان من عمل البر

ببذر أو يمين فهو عهد عاهد عليه ربه، وكذلك من عاهد السلطان وبايعه على الطاعة في المعروف، أو عاهد غيره على القيام بعمل مشروع، وجب عليه الوفاء إذا لم يكن من قبيل المعصية .

المبحث الثالث: الأثر التربوي للأصل التشريعي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام:

حين يعلم الإنسان أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون بما فيه، وهو خالق الإنسان، وهو وحده يعلم حقيقة خلقه « أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » (الملك: 14)، ولأنه وحده العالم بحقيقة خلقه فإنه القادر على وضع التشريعات والأحكام التي تشكل في مجموعها المنهج الذي ينظم ويرتب حياة الإنسان ويحدد طبيعة حياته ووظيفته في هذه الحياة والدور الملقى على عاتقه، وما عليه من واجبات تجاه الخالق الحكيم وما له من حقوق، والطريقة التي يجب أن يتعامل بها مع خالقه، ومع الكون المحيط بها، وما سينتج عن ذلك من سعادة واستقرار وهناء وفوز وفلاح للطائعين وشقاء وتعاسة للمعاندين إذا علم ذلك فإن هذا يؤدي به إلى:

1. الاطمئنان إلى الأحكام التشريعية الواردة عن الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ والاستقرار النفسي تجاه حياته الحاضرة، وإلى ما سيؤول إليه مستقبله فهو يسير على طريق ومنهج بين واضح بكل مراحلها بحيث يندفع إلى الجد والاجتهاد والعمل بما يحقق له المصلحة العاجلة في الدنيا والآجلة في الآخرة بثقة وثبات .

2. إن الإنسان مخلوق متدين مفتور على التوجه نحو شيء يعبده، قال تعالى: « فَأَقِمْ

وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ » (

الروم: 30) وقال ﷺ: " كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ

يُمَجِّسَانِهِ¹، فالفطرة: هي الإحساس الداخلي الذي يحس من خلاله الإنسان بوجود خالق وأنه محتاج إليه . فهذا الإحساس عند الإنسان داخلي إن لم يجد تشريعاً ينميه ويضبطه ويوجهه الوجهة الصحيحة، فإنه سيصل إلى طريق مسدود يؤدي بصاحبه إلى القلق والاضطراب والجهل والحيرة، وسيبقى مشغولاً في البحث عن إله يعبده ويفرغ له ما لديه من طاقة في العبادة والالتجاء مما يؤدي إلى السلبية والانحراف وبالتالي الضلال والشقاء والتعاسة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: 103).

3. الإنسان مخلوق ضمن مجموعة من العوالم المحيطة به، ولكل عالم من هذه العوالم سنناً تحكمه أوجدها الخالق الحكيم جل وعلا . ولا يمكن لأحد أن يسبر غور هذه العوالم للاستفادة منها إذا لم يعلم هذه السنن والقوانين التي تحكمها، ولا يعطي الخبر الصحيح عن سننها وقوانينها إلا تشريع من خلقها جل وعلا، فبغير هذا التشريع سيضطرم الإنسان بالعوالم المحيطة به ولا يستطيع أن يسخرها بما يعود عليه بالمصلحة والنفع وتحقيق العيش الكريم، ولكن حين اهتدى بنور الإيمان وسار على المنهج الذي رسمه الله له في التعامل مع هذه العوالم وصل إلى بر الأمان واستطاع بفضل الله أن يطوع هذه العوالم لخدمته وتيسير عيشه لتحقيق السعادة والهناء في هذه الحياة الدنيا والفوز في الآخرة .

4. إن التشريع الإسلامي وأحكامه يؤديان بالإنسان إلى الراحة بكل جوانبها، راحة الفكر، والعقل والجسد والعاطفة، ذلك لأن التشريع الإسلامي قدم له ما يريح هذه الجوانب، فاهتم بعقله وتفكيره ورسم له الطريق الصحيح في التعامل مع العوالم المحيطة به، ووضع له

¹ البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط 1، 1407 هـ - 1987 م، كتاب: بدء الوحي، باب ما قيل في أولاد المشركين، ج 2، ص 125، حديث رقم: 1385، قال الشيخ الألباني: صحيح .

نهجاً من خلاله يمارس التفكير الذي يرتقي به في أعلى درجات الخضوع والانقياد للخالق الحكيم حين يعلم عظمة الخالق وصغر نفسه، لكنه وبنفس الوقت واحتراماً لعقله حذره من الخوض في ما لا طاقة لعقله به حتى لا يؤدي به هذا إلى الخروج عن المألوف وبالتالي التردي والجنوح والجنون الفكري . وأما راحة جسده تأتي من علمه بحقوق هذا الجسد وكيفية إشباع حوائجه وغرائزه التي بها يقوم صلبه ويستمر وجوده، فغريزة الجوع والعطش يشبعها بما أحل الله له من النعم الكثيرة والمتنوعة التي تعود عليه بالصحة والعافية ولا تؤدي به إلى الضرر والمهلك، وأما الغريزة الجنسية فيشبعها بالزواج الصحيح وحسب شرع الله بما يكفل له بقاءه واستمرار وجوده وأداء رسالته في الحياة، وأما غريزة الحب والعاطفة فشرع له سبحانه وتعالى ممارسة جميع أنواع الحب الصحيح، فهو يحب الله تعالى، ويحب رسوله الكريم ﷺ ويحب المؤمنين في الله " وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ "1، وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (المجادلة: 22) .

فالحب موجه من قبل خالق البشر سبحانه وتعالى حتى تم ضبطه وتوجيهه، وبعد ذلك يوجه عاطفته وحبه نحو زوجته وأولاده الحب الخاص لكل منهم بما يؤدي به إلى الإيجابية والاستقرار النفسي والاجتماعي . قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (آل عمران: 14) . وأما غريزة حب التملك التي ذكرتها الآية

¹ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب: بدء الوحي، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، وفضل المساجد، ج 1، ص 168، حديث رقم: 660 . قال الألباني: صحيح .

الكرامة فيشبعها الإنسان بما شرع الله له من طرق يملك فيها المال، وهي عديدة وكثيرة، فلا يكون همه التملك فقط بأي وسيلة كانت، ثم بعد أن يملك المال يجد نفسه أمام نعمة من نعم الله عليه يجب عليه أن يؤدي حق المنعم جل وعلا، لا يكون حاله حال من قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ رَاضِيَةً مَطْمَئِنَّةً ثُمَّ يَتَعَاطَىٰ مَعَ الْإِنْفَاقِ هَذَا الْمَالِ وَفَقِ الْمُنْهَجِ الَّذِي رَسَمَهُ الْمَشْرَعُ الْحَكِيمُ لِإِنْفَاقِ الْمَالِ بِمَا يَعُودُ عَلَى الْفَرْدِ نَفْسَهُ بِالْمَصْلُحَةِ وَعَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَجْعَلُ حُبَّ الْمَالِ وَحُبَّ التَّمَلُّكِ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُ بِحَيْثُ لَا يَتَجَاوِزُهُ بَأَنَّ لَا يُؤَدِّي حَقَّ الْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالشَّهْوَاتِ ﴿زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: 28) إِلَى انشغاله عن طاعة الله وعبادته وأداء حَقِّ اللَّهِ، إِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَنْ تَكُونَ حَيَاتِهِ هَانئةً سَعِيدَةً جَاعلاً هَذِهِ النِّعَمَ سَبَباً فِي رِضَا رَبِّهِ وَفِي الْفَوْزِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ .

5. أن التشريع الإسلامي ينظم علاقات الإنسان ضمن دوائرها الأربعة ابتداءً من علاقة الإنسان مع نفسه؛ ما لها وما عليها وفق شرع الله بما يكفل استقرارها وراحتها البدنية والعقلية والعاطفية، ثم الدائرة الثانية: علاقة الإنسان بأسرته؛ حقوقه في الأسرة وواجباته بحيث يؤدي ما عليه من حقوق تجاه والديه وأفراد أسرته ويأخذ حقوقه وفق شرع الله فيكون هنالك الاستقرار الأسري، ثم الدائرة الثالثة: علاقة الإنسان بالمجتمع المحيط به؛ علاقته مع جيرانه وحقوق كل منهما على الآخر، علاقة الإنسان مع أرحامه وما يجب له وعليه، علاقته مع كل من يتعامل معهم من أفراد المجتمع الذي يعيش بحيث يعاملهم وفق المنهج الذي رسمه الخالق جل وعلا، ثم الدائرة الرابعة: علاقته مع الحاكم في الدولة التي يعيش، بحيث يجعل الشرع حاكماً ومنظماً لهذه العلاقة، لا يماري ولا يهان ولا ينزل ولا يخضع، إنما يتبع شرع الله في ولائه وانتمائته وحبه وكرمه .

الفصل الخامس

الأصل الأخلاقي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام وآثاره الاجتماعية والتربوية

الأصل الأخلاقي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام

وآثاره الاجتماعية والتربوية

تمهيد:

يعتبر الأصل الأخلاقي من الأصول المهمة في النظرية التربوية الإسلامية، لأنه يتعلق مباشرة بسلوك الإنسان المسلم، ويتعدى آثاره من الإنسان نفسه إلى الآخرين، فتدين الإنسان لنفسه مقصوراً عليه وقد لا يضر الآخرين عدم تدينه ولا ينفعم تدينه، أما أخلاقه فيتأثر بها الآخرون، والخلق قد يكون سبباً في تحسين صورة الإسلام أو التفتير منه، ولبيان مفهوم المركب الأصل الأخلاقي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام، لابد من بيان جزئياته وتفصيل ذلك:

المبحث الأول: مفهوم الأخلاق لغة واصطلاحاً:

المطلب الأول: الأخلاق لغة:

الخلق لغة: هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها، ولها أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة

الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة¹ . والخلق بالضم وبضميتين: السجية والطبع والمروءة والدين²، ويشمل المطبوع والمكتسب الذي صار عادة³ .

المطلب الثاني: الأخلاق اصطلاحاً:

أما تعريف الخلق اصطلاحاً فيرى حبنكة⁴ أن الخلق صفة مستقرة في النفس - فطرية أو مكتسبة - ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، والإسلام يدعو إلى محمود الأخلاق، وينهى عن مذمومها .

ويرى الغزالي⁵: أن الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية .

ويرى الجرجاني أن الخلق: هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة، كانت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي تصدر عنها هي مصدر ذلك خلقاً سيئاً⁶ .

ويرى ابن مسكويه⁷: أن الخلق حال للنفس، تدعوها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهي قسمان: أحدهما يكون طبيعياً، ومن أصل المزاج، كالغضب والجبن، والآخر يكون بالعادة والتدريب، بحيث يستمر عليه حتى يصير خلقاً .

¹ ابن منظور، لسان العرب، مجلد 10، فصل الخاء حرف القائب، ص 86 .

² الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مجلد 3، ص 236 .

³ ينظر: محفوظه إبراهيم أحمد، في الفلسفة والأخلاق، دم، دن، دط، 1418 هـ - 1998 م، ص 131، وينظر: زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، دم، دار الوفاء، ط 5، 1412 هـ - 1992 م، ص 79 .

⁴ الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسمها، دمشق، دار القلم، ط 1، 1399 هـ - 1979 م، ج 1، ص 7 .

⁵ الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 4، 2005 م، ج 3، ص 73 .

⁶ الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، د. م، دار الكتاب العربي، ط 1، 1405 هـ - 1985 م، ص 136 .

⁷ ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق، بيروت، الجامعة الأمريكية، (د.ط)، 1966 م، ص 31 .

ويرى الرازي¹: أن الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال

الجميلة. واعلم أن الإتيان بالأفعال الجميلة مميز، وسهولة الإتيان بها غير، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق .

ويرى الشعراوي²: أن الخلق هو الصفات التي تؤهل الإنسان لأن يعيش في مجتمع

سليم وهو مسالم، وما دام خلقه سليماً فمعيار الحكم عنده سليماً، ويقال فلان على خلق: أي يملك من الصفات ما يجعله على الحاذة من الفضائل، مثل الصدق والأمانة . وهذه الصفات ينظمها في مواقفها الفكر العقلي، وهو الذي يميز لنا أي المواقف نحتاج إلى شيدّه، أو لين، أو حكمة، وكل هذه أمور يرتبها العقل³ .

ويرى ابن عاشور⁴: أن الخلق طباع النفس، وأكثر أخلاقه على طباع الخير، إذا لم يتبع

بنعت .

يلاحظ من التعريفات السابقة ما يلي:

1. أن الخلق مجموعة من الصفات المستقرة في النفس الإنسانية .
2. اعتبر كل من الغزالي، والرازي، وابن عاشور، والشعراوي، أن الخلق مجموعة من الصفات الفطرية وهي من طباع النفس التي جُبل الإنسان عليها بحيث تصدر عنه الأفعال بناءً عليها بسهولة ويسر ومن غير فكر ولا روية . في حين يرى كل من حبنكة، وابن مسكوية أن الخلق إما أن يكون صفات فطرية أو صفات مكتسبة يتعود عليها الإنسان بالتعليم والتدريب .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 30، ص 601 .

² الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، باب 184، ص 3144 .

³ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، باب 31، ص 4597 .

⁴ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 29، ص 63 .

3. أن الخلق إما أن يكون محموداً أو مذموماً .

4. أن الخلق هو أساس التمايز بين الناس .

5. أن الثبات والاستقرار والرسوخ هي أهم ما يجعل الصفة خلقاً .

6. إن معاني الخير والصلاح هي التي تحملها أكثر معاني الأخلاق، إلا إذا قيدت بمفهوم

يفيد الذم والقدح .

وعليه يمكن للباحث صياغة التعريف التالي للخلق: على أنه مجموعة من الصفات الفطرية والمكتسبة الراسخة والمستقرة في النفس الإنسانية تؤهل صاحبها للإتيان بالأفعال والأقوال دون تكلف بحيث تصبح جزءاً من كينونته لازمة له مميزة له عن غيره إما بالحسن أو القبح، وذلك بحسب المرجعية التي يُرجع إليها في الحكم على الأشياء بحيث يُحمد عليها أو يُذم .

وبناءً على ما سبق يمكن صياغة المفهوم التالي للأصل الأخلاقي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة الأنعام على أنه: مجموعة المبادئ والقواعد الأخلاقية المنظمة والمتناسقة والمستتبطة من سورة الأنعام والتي تبنى عليها النظرية التربوية الإسلامية وتنطلق منها في مبادئها وأفكارها وعلومها النظرية والعملية المختلفة .

المبحث الثاني: أمثلة على الأخلاق الحميدة الواردة في سورة الأنعام وآثارها الاجتماعية والتربوية:

عرضت سورة الأنعام لبيان مجموعة من الأخلاق الحميدة وذلك لما لها من أهمية عظيمة في حياة الإنسان المسلم من خلال ما يعود عليه عند التحلي بها من النفع الدنيوي

والأخروي . ففي الدنيا يعيش مطمئن البال قدير النفس ويحقق رضا الله وطاعته لينال بذلك

الأجر العظيم عند الله في الآخرة . ومن ذلك:

المطلب الأول: الصبر:

أولاً: معنى الصبر لغة واصطلاحاً:

الصبر لغة: الصبر الإمساك في ضيق¹ .

الصبر اصطلاحاً: قوة خلقية من قوة الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعون، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز² .

وهو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسهما عنه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً، ويزاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويزاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رجب الصبر ويزاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويزاده المدل³ .

إن الإنسان ومنذ اللحظة الأولى التي أوجده الله فيها على ظهر هذه الأرض بدأ يسعى ويبحث عن أسباب عيشه ورزقه ليؤمن نفسه ولمن يعول حياة كريمة هانئة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (الانشقاق: 6)، كادح: أي ساع وعامل⁴، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ (البلد: 4) أي في شدة يتكابد

¹ الراضب الأصفهاني، المفردات، ص 273 .

² حنبله الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 2، ص 293 .

³ الراضب الأصفهاني، المفردات، ص 273 .

⁴ دروزه، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ط 1383 هـ - ج 5، ص 424 .

الأمر ويعالجها في أطواره كلها، من حملة إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة أو النار¹، وهذا السعي والعمل والكبد بما فيه من مشقة وتعب وصعاب يحتاج إلى الصبر الذي يحول بين الإنسان وبين فعل ما لا يليق من الجزع والتشكي وشكوى الخالق للمخلوق، فيتحول الصبر بين الإنسان وبين التسرع والعجلة، والإساءة، ليحل محله ذلك الطمأنينة، وحسن التصرف ووضع الأمور في مواضعها . كذلك أن الاستمرار بالأعمال والقيام بها يورث الإنسان الملل والضجر والسامة، وعلاج ذلك الصبر الذي يحول هذا الملل وهذه السامة إلى راحة نفسية وسعادة، ومما جبلت عليه النفس البشرية الغضب الذي يفتك بها ويحولها إلى شريرة إذا استحكمت، ولذلك أوصى النبي ﷺ من جاءه يسأله الوصية فقال له لا تغضب في الحديث المشهور: " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَوْصِنِي قَالَ: لَا تَغْضَبُ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: لَا تَغْضَبُ."² وقوله لا تغضب: أي لا تفعل ما يأمرك به الغضب، يعني اصبر واكبح جماح نفسك عن التهور والطيش لئلا تفعل شيئاً تتدم عليه، فالصبر هنا يمنع ظهور آثار الغضب، ويظفي على النفس سكوناً وهدوء بدل التهور والطيش وحسن التصرف بدل الإساءة فيه .

ولعل الصبر أكثر ما يحتاجه الإنسان إذا أراد الالتزام بمنهج الله سبحانه وتعالى في الأمور التالية:

1. القيام بالعبادات وفعل الطاعات .
2. الانتهاء عن المنهيات والمعاصي .
3. حبس النفس عن الشهوات والملذات والأطماع المختلفة .

¹ القاسمي، محاسن التأويل، ج 17، ص 156 .
² البخاري، الصحيح، ج 8، ص 35، حديث رقم: 6116 ، قال الألباني: صحيح .

4. ما يواجهه من أذى من خلطة إخوانه المسلمين، قال ﷺ "إِنَّ الْمُسْلِمَ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ

وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَاهُمْ"¹.

5. ما يواجهه الإنسان من مصائب ونوائب تقع عليه دون اختيار منه بأقدار الله سبحانه وتعالى

ثانياً: أنواع الصبر²:

- صبرٌ على الطاعة ومشقتها .
- صبر عن المعاصي ومغرياتها .
- وصبر على الأحداث .

وبيان ذلك أننا أول ما نسمع التكليف فلنعلم أن فيه مشقة، والتكاليف الشرعية فيها مشقة لأنها قيدت حرية العبد، وقد خلقك الله صالحاً لأن تفعل كذا أو لا تفعل كذا . فإن قال لك (افعل) فإنه منعك من أن (لا تفعل) وإذا قال لك (لا تفعل) أي منعك من (افعل)، وبهذا تكون تقيد الإرادة، وتقيد المخلوق على هيئة الاختيار فيه مشقة، فإذا جاء الأمر بـ (افعل) قد يكون الفعل في ذاته شاقاً، فإذا صبرت عليه فأنت صابرة على طاعة، وإذا جاء بـ (لا تفعل)، فأنت تصبر عن المعصية، لأن هناك إلحاح عليك أن تفعلها وأنت تمتنع عن فعلها بالصبر، وهناك أمور لا تتدخل في نطاق (افعل) و (لا تفعل)، وهي ما ينزل على الإنسان نزولاً قديراً بدون اختيار منه، بل هي القهرية والقسرية، فعليه أن يصبر عليها، ويرضى بها، لأنه آمن بالله رباً، والرب هو الذي يتولى تربية المربي لبلوغه حد الكمال المنشود له، فإذا جاء الله بأمر لا اختيار

¹ البيهقي، شعب الإيمان، باب في الصبر على المصائب، ج 12، ص 201، حديث رقم: 9277، ابن الجعد، علي ابن الجعد بن عبيد، مسند ابن الجعد، د، م، د، ن، ط 2، 1417 هـ - 1996 م، ج 1، ص 121، حديث رقم: 745، قال الألباني: صحيح .

² ينظر: الشعراوي، محمد متولي، مكارم الأخلاق، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 1426 هـ - 2005 م، ص 435 - 436، وينظر: حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، عمان - الأردن، دار الخليج، ط 1، 1427 هـ - 2006 م، ص 138 .

للإنسان فيه كالمرض، والزلازل، فإن الصبر هنا يكون إيمان بحكمة من أجزاها عليك¹، وفي ذلك يدخل الإنسان في باب الصابرين على الآلام والشدائد . وعليه فالمسلم يحبس نفسه على ما تكرهه من عبادة الله وطاعته، ويلزمها بذلك إلزاماً ويحبسها دون معاصي الله عز وجل، فلا يسمح لها باقترابها ولا يأذن لها في فعلها مهما تأقت نفسه لذلك بطبعها، ويحبسها على البلاء إذا نزل بها فلا يتركها تجزع ولا تسخط، وعلى الإنسان أن يتذكر أن الأقدار جارية، وأن قضائه تعالى عدل وحكمه نافذ، صبر العبد أم جزع، غير أنه مع الصبر الأجر الكبير ومع الجزع الغدر الشديد².

ويرى ابن قيم الجوزية³ أن الصبر ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله، فالأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصير، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ (النحل: 127)، والثاني: الصبر لله: وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لإظهار قوة النفس، والاستحسان إلى الخلق، والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع إحكامه الدينية، صابراً نفسه معها، سائراً بسيرها، أين ما توجهت ركائبها .

وقد دعا القرآن الكريم والسنة في العديد من المواقف إلى التخلق بخلق الصبر في مواجهة ما يواجه الإنسان في هذه الحياة من متاعب ومشقة ومصائب وملذات وشهوات، وبينت الآيات والأحاديث فضل الصبر والصابرين وما يلاقونه عند الله من عظيم الأجر والثواب والدرجات العاليات، وجاء في سور الأنعام ذكر الصبر تبيانياً لحال من سبق رسولنا الكريم محمد ﷺ من الأنبياء والرسل وكيف أنهم استطاعوا بالصبر أن يواجهوا عناد وتكذيب وإيذاء أقوامهم لهم

¹ الشعراوي، مكارم الاخلاق، ص 435 - 436 .

² الجزائري، أبو بكر جابر، منهاج المسلم، بيروت، دار الفكر، ط 8، 1396 هـ - 1976 م، ص 138 .

³ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج 2، ص 156 .

حتى كانت نتيجة صبرهم مجيء الفرج من الله بالنصر على هؤلاء المكذبين المعاندين، وفي ذلك إشارة للنبي ﷺ وإلى كل من يتلوا ويسمع هذه الآيات إلى ضرورة الصبر على ما يلاقيه من معاناة وإيذاء وشدة من جراء الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أسوةً في ذلك رسل الله السابقين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأَنْعَامِ: (34) .

قال الطبري¹: معنى الآية: إن يكفر بك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك، فيجدوا بقولك، وينكروا آيات الله أنه من عنده فلا يحزنك ذلك، واصبر على تكذيبهم إياك وما تلقى منهم من المكروه في ذات الله حتى يأتي نصر الله، فقد كذبت رسل من قبلك أرسلتهم إلى أمم فنالوهم بمكروه، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ولم يبتهم ذلك عن المضي لأمر الله تعالى الذي أمرهم به من دعاء قومهم إليه حتى حكم الله بينك وبينهم .

قال القرطبي²: قوله تعالى: ﴿ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا ﴾ أي: فاصبر كما صبروا، ﴿ وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ أي: عوننا، أي فسيأتيك ما وعدت به . ﴿ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ مبيناً لذلك النصر: أي ما وعد الله به فلا يقدر أحد أن يدفعه، أي لا ناقض لحكمه .

قال الرازي³: اعلم أنه تعالى أزال الحزن عن قلب رسوله في الآية الأولى بأنه بين أن تكذبه يجري مجرى تكذيب الله تعالى، فنذكر في هذه طريقاً آخر في إزالة الحزن عن قلبه

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 224 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 417 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 519 .

وذلك بأن بين أن سائر الأمم عاملوا أنبياءهم بمثل هذه المعاملة، وأن أولئك الأنبياء صبروا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم النصر والفتح والظفر، فأنت أولى بالتزام هذه الطريقة لأنك مبعوث إلى جميع العالمين، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا، ثم أكد وقوى تعالى هذا الوعد بقوله «وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» يعني: أن وعد الله إياك بالنصر حق وصدق ولا يمكن تطرق الخلف والتبديل إليه .

قال ابن عاشور¹: «حَتَّى» ابتدائية أفادت غاية ما قبلها، وهو التكذيب والأذى والصبر عليهما، فإن النصر كان بإهلاك المؤمنين، فكان غايةً للتكذيب والأذى، وكان غايةً للصبر الخاص، وهو الصبر على التكذيب والأذى، ويعني صبر الرسل على أشياء مما أمر بالصبر عليه .

قال ابن كثير²: هذه تسلية للنبي ﷺ وتعزية له، فمن كذب من قومه، وأمر له بالصبر، كما صبر أولو العزم من الرسل، ووعد بالنصر كما نصرُوا، وبالظفر حتى كانت لهم العاقبة، بعد ما نالهم من التكذيب من قومهم والأذى البليغ ثم جاءهم النصر في الدنيا كما لهم النصر في الآخرة ولهذا قال: «لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» أي: التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لعباده المؤمنين .

ثالثاً: الأثر التربوي والاجتماعي لخلق الصبر:

1. بالصبر يحقق الإنسان رضا الله سبحانه وتعالى، ذلك لأنه إذا صبر على أداء الطاعات وفعّلها كما أرادها الله منه، وإذا صبر عن المعاصي والشهوات وامتنع عنها، ورضي بأقدار الله مهما كانت فقد حقق مراد ربه منه وهذا هو الفلاح .

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 202 .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 146 - 147 .

2. الدنيا دار امتحان وبلاء، والبلاء يكون في أمور الدنيا وأمور الدين، ففي الدنيا يمتحن الإنسان بالشدائد والمصائب وغيرها، والصبر علاج ذلك، أما أمور الدين فإن الابتلاء فيها مع الصبر يظهر مدى صدق العبد بإيمانه وصلته بربه جل وعلا .
3. الصبر سبب للسعادة الفردية، ذلك لأن الإنسان إذا صبر عما يصيبه من أقدار الله وصبر على طاعته وعن معصيته، فإن ذلك يجلب الطمأنينة لنفسه فلا يخشى بعد ذلك شيئاً فيقبل على الله وترتاح نفسه وبالتالي يسعد في الدنيا والآخرة .
4. الصبر من أسباب سعادة المجتمعات ؛ لأن من أقوى أسباب تعاسة المجتمعات ما يسودها من حقد، وكره، وحسد، وبغضاء بأنواعها يرجع سبب ذلك إلى وجود التمايز بين أفراد المجتمعات سواء كان ذلك التمايز دنيوي مادي أو معنوي، فينتج عن ذلك منافسة في أمور الدنيا تدفع بصاحب النصيب الأقل إلى الحقد والكرهية والضجر مما يجعله إنساناً سلبياً متكاسلاً يكره كل شيء في المجتمع، لكن إذا كان الإنسان متمتعاً بخلق الصبر فإن هذا لا يهمله بل إنه يصبر على ما يصيبه من أقدار الله، ويدفع ما يستطيع دفعه منها بما أمر الله، يعلم أن الغنى والفقر إنما هي من الله وأن المصائب أقدار منها ما يدفع ومنها ما لا ينفع معه إلا الصبر فيصبر ويحتسب ذلك عند الله، فتطيب نفسه ويذهب حقه وضجره ويصبح إيجابياً فاعلاً متفاعلاً، يحب نفسه ويتواصل مع الآخرين بحب واحترام، فيصبح المجتمع كله خلية واحدة متماسكة متحاببة متواصلة، كما أرادها النبي ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَكِرَاهِيهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " ¹، ويقول ابن القيم الجوزية ¹: الصبر سبب في حصول كمال الخلق، فأكمل الخلق

¹ مسلم، الصحيح، ج 8، ص 20، حديث رقم: 6751، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج 4، ص 270، صحيح على شرط الشيخين

أصبرهم، وأن كمال العبد بالعزيمة والثبات، فمن لم يكن له عزيمة فهو ناقص، ومن كانت له عزيمة ولكن لا ثبات له عليها فهو ناقص، فإذا انظم الثبات إلى العزيمة أثمر كل مقام شريف وحال كامل، ولذلك قال النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ"²، ولا تقوم شجرة الثبات والعزيمة إلا على ساق الصبر، فلو علم العبد الكنز الذي تحت الأحرف الثلاث أعني اسم (الصبر) لما تخلف عنه .

5. الصبر سبب النجاح في الدنيا والفوز برضا الله في الآخرة ؛ ذلك لأن عشرة المؤمنين والابقاء على مودتهم والإغضاء عن هفواتهم، خصال تعتمد على الصبر الجميل: قال جل شأنه: ﴿وَاصْبِرْ لِنَفْسِكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الكهف: 28)، والتواصي بالصبر قرين التواصي بالحق، وقد أقسم الله عز وجل على أن فلاح البشر منوط بهما ﴿وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)﴾ (العصر: 1-3)³.

6. بالصبر تحل كثير من المشاكل وتواجه الصعاب والشدائد، لأن الصبر من عزائم الأمور ومن أعظمها شأنًا، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: 43)، فالحياة لا تبقى على وتيرة واحدة، بل فيها ما يحلو وما يسوء ولا تواجه إلا بالصبر⁴ .

¹ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، قطر، إدارة الشؤون الدينية، 1397 هـ - 1977 م، ص 477.

² ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج 5، ص 310، حديث رقم: 1974 .

³ حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق، ص 139 .

⁴ ينظر، المعلمي، يحيى، مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، جده، دار عكاظ للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1400 هـ - 1980 م، ص 205 .

7. الصبر سبب في تحصيل الأجر والثواب عند الله في الآخرة، وتفريج الكرب، والأزمات في

الدنيا، وأسباب النعم من الله ظاهرة وباطنة .

8. الصبر ركن من أركان حسن الخلق، ويحمل الإنسان على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف

الأذى، والحلم والأنابة، والرفق وعدم الطيش والعجلة¹، وكل هذه صفات إن اجتمعت في

شخص أصبح إنساناً ناجحاً محبوباً عند الله والناس، فاعلاً مؤثراً في غيره.

9. إن الصبر على الطاعة سبب في صلاح النفس وتهذيبها واستقامتها وعفتها، قال الماوردي²:

"وليس لمن قل صبره على طاعة الله تعالى حظ من بر"، ولا نصيب من صلاح، ومن لم يبر

لنفسه صبراً، يكسبها ثواباً، ويدفع عنها عقاباً، كان مع سوء الاختيار بعيداً من الرشاد، حقيقاً

بالضلال . فبالصبر تدفع المصائب والمحن وتجلب السعادة والفرج .

المطلب الثاني: بر الوالدين:

تمهيد:

إن رحمة الوالدين بأولادهما رحمة فطرية بحته، فهي عطاء لا يلاحظ فيه ترقب

العوض، وفطرة فطر الله خلقه عليها، ولذلك كان بر الوالدين من أعظم واجبات الصلة

الاجتماعية، ولذلك كان عقوق الوالدين مقارباً لدركة الشرك بالله، وكان الأمر بالإحسان للوالدين

في النصوص الإسلامية عقب الأمر بعبادة الله والنهي عن الإشراك به، وفي سورة الأنعام جاء

الأمر بالإحسان إلى الوالدين مما وصى الله به الإنسان بعد النهي عن الإشراك به مباشرة، وهذا

يدل على أن هذا الأمر شريعة ربانية منذ أول الشرائع التي أنزلها الله للناس³، قال تعالى ﴿قُلْ

¹ ينظر: الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، الكويت - حولي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، ط 1، 1430 هـ - 2009 م، ص 24-25 .

² الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، دار ابن كثير، د. ط 1413 هـ - 1993 م، ص 454 .

³ حينئذ المبدئي، الأخلاق الإنسانية وأسسها، ج 2، ص 18 - 24 .

تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿الأنعام: 151﴾ .

قال الطبري¹: أي قل لهم يا محمد: تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً وبقيناً، لا الباطل، ألا تشركوا به شيئاً من خلقه، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام، ولا تعبدوا شيئاً سواه، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يقول: ،أوصي بالوالدين إحساناً، وحذف (أوصي) وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه .

قال القرطبي²: قوله: ﴿تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ أي تقدموا أقرعوا حقاً يقيناً كما أوحى إليّ ربي، لا ظناً ولا كذباً كما زعمتم، ثم بين ذلك فقال: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ يقال للرجل تعال: أي تقدم، وللمرأة تعالي، وللثنتين والاثنتين تعاليا، ولجماعة الرجال: تعالوا، ولجماعة النساء: تعالين، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُنَّ﴾ (الأحزاب: 28)، وجعلوا التقدم ضرباً من التعالي والارتفاع لأن المأمور بالتقدم في أصل وضع هذا العقل كأنه كان قاعداً فقيل له تعال: أي ارتفع شخصك بالقيام والتقدم، واتسعوا فيه حتى جعلوه للواقف والماشي، والتقدير: تعالوا أتْل عليكم الذي حرم ربكم ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ أي أتْل عليكم ألا تشركوا، أي: أتْل عليكم تحريم الإشراك ويحتمل أن يكون منصوباً بما في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من الإغراء وتكون ﴿عَلَيْكُمْ﴾ منقطعة مما يقبلها، أي عليكم ترك الإشراك وعليكم إحساناً بالوالدين، وأتْل تقتلوا أولادكم، وأتْل تقربوا الفواحش، وفي هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيه عليه السلام بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرم الله، وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلغوا الناس ويبينوا

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 656 - 662 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 130 - 133 .

لهم ما حرّم الله عليهم مما حل، وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: الإحسان إلى الوالدين؛

برهما وصيانتهما وامتنال أمرهما وإزالة الرق عنهما وترك السلطة عليهما. و﴿إِحْسَانًا﴾

نصب على المصدر، وناصبه فعل مضمر من لفظه، تقديره وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

قال سيد¹: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أي تعالوا أقص عليكم ما حرّمه

عليكم ربكم - لا ما تدعونه أنتم أنه حرّمه بزعمكم - لقد حرّمه عليكم ربكم الذي له وحده

حق الربوبية - وهي القوامة والتربية والتوجيه والحاكمية - وإنّ فهو اختصاصه وموضع

سلطانه، فالذي يحرم هو (الرب)، والله وحده هو الذي يجب أن يكون ربّاً، ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا﴾ القاعدة التي يقوم عليها بناء العقيدة وترجع إليها التكاليف والفرائض، ويستمد منها

الحقوق والواجبات، القاعدة التي يجب أن تقوم أولاً قبل الدخول في الأوامر والنواهي وقبل

الدخول في التكاليف والفرائض، وقبل الدخول في النظام والأوضاع، وقبل الدخول في الشرائع

والأحكام، يجب ابتداءً أن يعترف الناس بربوبية الله وحده لهم في حياتهم كما يعترفون

بالوهيته وحده في عقيدتهم لا يشركون معه أحد في ألوهيته، ولا يشركون معه أحداً في

ربوبيته، كذلك أنها تنقية الضمير من أوشاب الشرك، وتنقية العقل من أوشاب الخرافة، وتنقية

المجتمع من تقاليد الجاهلية، وتنقية الحياة من عبودية العباد للعباد، إن الشرك - في كل صورته

- هو المحرم الأول لأنه يجر كل محرم وهو المنكر الأول الذي يجب حشد الانكار كله له

حتى يعترف الناس أنه لا إله لهم إلا الله، ولا ربّ لهم إلا الله، ولا حاكم لهم إلا الله، ولا

مشرع لهم إلا الله، إن الله قبل أن يوصي الناس إلى وصيّيه، أوصاهم ألا يشركون به شيئاً، في

موضع من السياق القرآني يحدد المعنى بالشرك الذي تبدأ بالنهي عنه في جميع الوصايا . إنها

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3، ص 1229 - 1232

القاعدة التي يرتبط على أساسها الفرد بالله على بصيرة وترتبط بها الجماعة بالمعيار الثابت الذي ترجع إليه في كافة الروابط وبالقيم الأساسية التي تحكم الحياة البشرية، فلا تظل نهياً لريح الشهوات والنزوات، واصطلاحات البشر التي تتراوح مع الشهوات والنزوات .

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ إنها

رابطة الأسرة بأجيالها المتلاحقة - تقوم بعد الرابطة في الله ووحدة الاتجاه - ولقد علم الله - سبحانه - أنه أرحم بالناس من الآباء والأبناء، فأوصى الأبناء بالآباء وأوصى الآباء بالأبناء، وربط الوصية بمعرفة ألوهيته الواحدة، والارتباط بربوبيته المفردة، وقال لهم: أنه هو الذي يكفل لهم الرزق فلا يضيّقوا بالتبعات تجاه الوالدين في كبرتهما ولا تجاه الأولاد في ضعفهم ولا يخافوا الفقر والحاجة، فأنه يرزقهم جميعاً.

وبر الوالدين هو الإحسان في معاملتهما وطاعتهما وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقتهما، إلى غير ذلك من وجوه البر بهما¹.

أولاً: معنى الإحسان إلى الوالدين:

الإحسان إلى الوالدين من أعظم الطاعات بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى، كما أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر بعد الإشراك بالله سبحانه وتعالى، والإحسان إلى الوالدين يشمل الأمور التالية:

1. وجوب طاعة الوالدين فيما يأمران به إذا كان في غير معصية الله سبحانه وتعالى وفيما يستطيعه الإنسان وله طاقة عليه .

¹ أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ص 156 .

2. دوام شكر الإنسان لوالديه وذلك مقترناً بشكر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ أَنْ اشْكُرْ

لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (لقمان: 14) .

3. حسن الصحبة، وذلك بالبر بهما والإحسان إليهما ومباشرة خدمتهما بنفسه وتحسس

حاجاتهما والرضى بهما وعدم إظهار ما يشعر به بالتضجر منهما، ولم يقيد الإسلام

الإحسان إلى الوالدين لكونهما مسلمين، إنما أوجب ذلك على الابن حتى في حال كفر

الوالدين ومجاهدتهما له على الإشراف بالله سبحانه وتعالى، فعليه أن لا يطيع ؛ لأن ذلك من

أعظم الذنوب ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما لا يمنع ذلك من الإحسان إليهما

الإحسان المادي، على أن يتقبل ذلك إلا الود القلبي الذي لا يكون إلا للمؤمنين، قال تعالى:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (المجادلة: 22).

4. الصبر عليهما خاصة في حال بلوغهما من الكبر عتياً، ذلك لأن برهما طاعة وقربة يتقرب

بها الإنسان إلى الله، والطاعة أصلاً تحتاج إلى صبر، والوالدين في حال الكبر تكون

خدمتهما مما يحتاج إلى جهد وتعب، فلا بد من كبح جماح النفس والصبر واحتساب ذلك

عند الله سبحانه وتعالى .

5. الانفاق عليهما إذا كانا معسرين وتأمين ما يحتاجون، وأن لا يكون ذلك منة من الابن على

أبيه وأمه، إنما تكون واجباً يقدمه، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، ثم الدعاء لهما

والاستغفار في حال حياتهما وبعد الممات، جاء ذلك في الحديث الذي أخرجه أبو داوود في

سننه¹ حين سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِيَّ شَيْءٌ
أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ " نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَالْفَادُ عَهْدِهِمَا مِنْ
بَعْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا " .

6. أن لا يرفع الابن صوته في حضورهما، وأن يخاطبهم بالألفاظ التي تليق وتشعر بالاحترام
والتقدير والتوقير، وأن لا يقاطعهم في كلام ولا يجذ النظر إليهم، وأن لا يتقدم عليهم بطعام
أو جلوس أو مشي إلا لدفع مضره أو جلب منفعة، وأن لا يناديهم بأسمائهم، أخرج أبو نعيم
في الحلية² عن ابن محيريز أنه قال: " من مشى بين يدي أبيه فقد عقه، إلا أن يمشي فيميط
له الأذى عن طريقه، ومن دعا أباه باسمه أو كنيته فقد عقه، إلا أن يقول: يا أبت " .

7. ملازمتها في حال الصحة والمرض، وذلك لدفع الملل عنهم وحتى لا يشعرا بالوحدة
والوحشة، والدعاء لهما، وإلقاء السلام عليهما عند الدخول والخروج .

8. محاولة الجمع بين رضا الوالدين ورضا بقية أفراد الأسرة من زوجة وأولاد، فإن تعارض
الأمر قدم رضا الوالدين على رضا غيرهما، وسعادة الوالدين على سعادة غيرهما، ما لم
يكن في الأمر معصية لله سبحانه وتعالى وضمن حدود المنهج الرباني في التعامل دون
ظلم أو عدوان، أو هضم لحقوق الآخرين .

9. المبادرة إلى فريد من العناية والرعاية والاهتمام للوالدين كلما ازدادوا سناً، ذلك لأن كبر
السن مضنة للضعف والحاجة والحرَج، وبالتالي يضيق صدر الإنسان الكبير فلا يحتمل
شيء ويكثر اعتراضه وعدم قناعته في كثير من الأمور، فيحتاج من الابن إلى كثير من
الصبر، وكبح جماح النفس وعدم الغضب أو إظهار أي نوع من التضجر، بل يكثر من

¹ أبو داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ط. د. ت. ج 4، ص 500، كتاب الأدب،
باب في بر الوالدين حديث رقم: 5144 .

² أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، د. م. دار الكتب العلمية، د. ط. د. ت. ج 5، ص 142 .

البشاشة، والرضا، والتذلل لهما ويشعرهما بالحب والود محتسباً ذلك عند الله، مزدلفاً إلى أمه بمزيد من العناية والرعاية مراعيّاً بذلك ضعفها ومشقتها ومكابدتها في حملها ورضاعته وحضانتها وتربيته أخذاً بمنهج الله سبحانه وتعالى في تعامله معها الذي بينه في حديث النبي ﷺ حين سأله ذلك الرجل: " مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟؟ قَالَ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟؟ قَالَ أُمَّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟؟ قَالَ أُمَّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟؟ قَالَ ثُمَّ أَبُوكَ. " ¹.

ثانياً: الآثار التربوية لبر الوالدين:

1. نيل رضا الله سبحانه وتعالى، ذلك لأن البر بالوالدين أمر من الله سبحانه وتعالى مقرون بطاعة الله، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الإسراء: 23)، وقال: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (الأنعام: 151)، فهذا الاقتران بين عبادة الله والإحسان إلى الوالدين، وبين النهي عن الشرك والأمر بالإحسان إلى الوالدين على سبيل الوصاية من الخالق للمخلوق فهو أعظم دليل على شدة وجوب البر بالوالدين والإحسان لهما وعظم معصية العقوق، ودليل أيضاً على المنزلة الرفيعة التي يحظى بها الوالدين عند الله سبحانه وتعالى، فمن نفذ أمر الله بالبر بهما على طريقة الله سبحانه وتعالى نجا من عقاب الله وفاز برضا الله سبحانه وتعالى ونال السعادة في الدنيا والآخرة .

¹ البخاري، الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط 1، 1407 هـ - 1987 م، كتاب بدء الوحي، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، ج 8، ص 2، حديث رقم: 5971 . حديث صحيح .

2. بالإحسان إلى الوالدين ينال الإنسان رضا الوالدين، وبرضا الوالدين ينال دعاء الوالدين، والذي لا يرد عند الله سبحانه وتعالى، وبالتالي التوفيق والسداد والرشد والرشاد، والسعادة في الدنيا والآخرة عند الله .

3. إن الإحسان إلى الوالدين يقوم به الابن على سبيل المقابلة، فهو يوفي بالجميل جميلاً ويقابل المعروف معروفاً مثله، لا بل هو في أغلب الأحيان أقل درجة وأخف صعوبة، فهو واجب يقوم به لا منة وتكرماً يمنّ ويتجمل بها عليهما، ذلك لأن الوالدين هم من ابتداء المعروف والإحسان، فبدأ الأب باختيار الأم الحسنة ثم حملت الأم ووضعت وأرضعت وحضنت وربت، وعمل الأب وكدح، وكابد وأنفق، وسهر الليالي وتحملا الصعاب، ومشقات الحياة وهما ينظران إليه يأملان أن يكبر ويكون أفضل الناس، يتمنون له حياة جميلة هائلة سعيدة وعمراً مديداً زاخراً بالتوفيق والنجاح، وهما بكامل صحتها وعطائهما، فما على الابن إلا أن يكافئهما على ما بذلا وقدموا ولا يكون ذلك إلا بالبذل والعطاء ومقابلة الحسن بأحسن منه، إذا علم الإنسان ذلك أصبح بر الوالدين عليه من أحسن الأعمال وأحبها إلى نفسه، وبذلك يشعر بالرضا عن نفسه أن قام بواجبه تجاه والديه وأرضاهما وأرضى ربه وأرضى نفسه .

4. إن الأبناء يقلدون الآباء في غالب تصرفاتهم، وصاحب العقل السليم يبادر بكل رغبة وعزيمة إلى الإحسان إلى والديه، لأنه في الحقيقة يعلم أبناءه كيف يحسنون إليه وقت الحاجة إليهما، فالخير يعود إليه عاجلاً وآجلاً .

5. في الإحسان إلى الوالدين انشأوا للفضيلة في المجتمع إذ يعم الخير وتزداد روابط المحبة والألفة بين الناس .

6. في الإحسان للوالدين تعويداً للنفس على الصبر وعدم التضجر وكبح جماحها وبالتالي تزداد قدرة الإنسان على ضبط نفسه وارتغامها على فعل الخير وقصرها عن الشر وشهواتها ليرتقي بها إلى درجات الكمال الإنساني الذي أراده الله منه .

7. الوالدين هم أقرب الناس إلى الأبناء، فإذا لم يكن في الابن خير لوالديه وقابل إحسانهم إليه عقوقاً، فإنه لن يكون فيه خير لغيرهما وإن بدا الأمر غير ذلك، فسيكون سيء الخلق مع غيرهما ممن هم حوله، وكلما ازداد عقوقاً لوالديه ازداد في سوء الخلق مع الناس، فيكون مكروهاً في أسرته ومجتمعه، وبالتالي يساعد على تفكك روابط المجتمع وانتشار الرذيلة فيه ويقم الفوضى ويكثر البلاء والشدة . وإن عود نفسه على الإحسان إلى الوالدين تعود على الإحسان إلى غيرهما ممن حوله، فانتشر الحب والمودة والرحمة، وبالتالي انتشرت الفضيلة وعم الرخاء والطمأنينة والأمن .

8. بعلاقة الإنسان مع والديه مقدمة تشعر وتتبى بعلاقته مع الله سبحانه وتعالى، فإن كان محسناً لوالديه مخلصاً لهما في سره وعلنه، فإن ذلك مؤشراً على حسن علاقته مع خالقه، فإن الوالدين سبباً مباشراً في وجوده، فإن قصر في حقهما، هان عليه التقصير في حق الله سبحانه وتعالى .

المطلب الثالث: العدل:

أولاً: معنى العدل لغةً واصطلاحاً:

العدل في اللغة: قال الراغب الأصفهاني¹: العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة، ويستعمل باعتبار المضايقة، والعدلُ والعِدْلُ يتقاربان، لكن العِدْلُ يستعمل فيما يدرك بالبصيرة كالأحكام، والعدلُ والعِدْلُ مما يدرك بالحاسة كالموزونات والمعدونات والمكيلات، فالعدل هو التقيس على سواء، وعلى هذا روي بالعدل قامت السماوات والأرض تنبيهاً أنه لو كان ركن من الأركان الأربعة في العالم زائداً على الآخر أو ناقصاً عنه على مقتضى الحكمة، لم يكن العالم منتظماً، والعدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90) وهو الحكم بالحق، وهو خلاف الجور².

العدل في الاصطلاح: الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط³، ويعرف كذلك على أنه: إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة أو نقصان، أو هو المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق دون زيادة ولا نقصان⁴.

والعدل هو الحد الأدنى للعلاقات بين الإنسان والإنسان، والوقوف عند هذا الحد والحذر منه بتجاوزه إلى ما هو أدنى منه رخصة مقبولة حين تثور الخصومات، وتقع النفوس فريسة الانفعال والغضب المؤديين إلى الكراهية والجور والعدوان، أو حين يضعف أثر التربية الإسلامية وتنحسر فضائلها وقيمتها عن توجيه شبكة العلاقة الإنسانية ويصبح الالتزام بها مظنة الخسارة وفقدان الحاجات والتعرض للأزمات أو حين تعرض الشهوات وتصبح النفوس

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 325.

² الخزاز، خالد جمعه بن عثمان، موسوعة الأخلاق، ص 421.

³ المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الدابة، بيروت، دار الفكر، وممشق، دار الفكر، ط 1، 1410 هـ - 1990 م، ص 506.

⁴ حينكه الميداني، الأخلاق الإسلامية، ج 1، ص 569.

عرضة للهوى والتحيز، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8)¹.

والعدل ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي، والحق من الباطل، وعدل المالك يوجب محبته، وجوره يوجب الافتراق عنه، وأفضل الأزمنة ثواباً أيام العدل²، وروي عن أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لَعَمَلُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي رِعِيَّتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ عَامٍ، أَوْ خَمْسِينَ عَامًا شَكَّ هُشَيْمٌ"³.

والعدل هو العلاقة بين الإنسان والإنسان حين يكون الفرد أو الجماعة حكماً بين طرفين آخرين، والعدل دوائر تتدرج في سعتها حسب سعة دوائر الانتماء البشري، بحيث تبدأ الدائرة الأولى للعدل في ميدان النفس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ (النساء: 135)، ثم علاقة الأسرة، كعلاقة الأزواج بالزوجات، والآباء بالأبناء، قال تعالى: ﴿فَالْكَيْحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ (النساء: 3)، ثم يليها دائرة القربى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام: 152)، ثم يليها دائرة الأمة التي ينتمي إليها الفرد والجماعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58)، وعليه فإن العدل يكون في الأمور التالية:

¹ الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، ص 148 - 149.

² سعد الدين، إيمان عبد المؤمن، الأخلاق في الإسلام، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط 1، 1424 هـ - 2003 م، ص 157.

³ أبو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: محمد هراس، بيروت، دار الفكر، د. ط. د. ت، ج 1، ص 13.

1. العدل بين الزوجات والأولاد .

2. العدل في القول حتى لو كان هناك مصلحة وقرابة، والشهادة بالحق .

3. العدل في الإصلاح بين الناس .

4. العدل في الحكم بين الناس .

وقد بينت سورة الأنعام ضرورة العدل، جاء ذلك في معرض ذكر أصول المحرمات، حيث أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل على سبيل الوجوب، وإن هذا العدل يبيح أن يكون ولو كان أحد الأطراف المتخاصمة يجمع بينه وبين الحكم صلة قرابة، فلا يجوز أن تكون هذه القرابة سبباً في انتفاء العدل أو التحيز والظلم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ (الأنعام: 152) .

ثانياً: الآثار التربوية للعدل:

1. العدل قوام الحياة الإنسانية وأساس بنائها، وبوجوده تحيا الناس حياة طيبة كريمة أمينة مطمئنين على حياتهم وأعراضهم وأموالهم فينصرفوا إلى العمل بجد واجتهاد .
2. شيوع علامات العدل تثمر النصح الفكر والتقدم الحضاري، وغياب علامات العدل نتيجته التخلف الفكري والحضاري والعجز والاعتماد على الآخرين، ذلك أن المجتمع الذي يشيع فيه العدل مجتمع يوفر الفرص للواعين والقادرين ليقودوا التقدم والبناء والإنتاج، بينما المجتمع الذي يختفي فيه العدل يهيمن عليه البُكم في المعرفة والعلم، والعاجزون الذين يعيشون في الداخل كالطفيليات يمتصون دماء الآخرين، ويعيشون في الخارج عالة على أكلاء غيرهم من الأمم مقابل حريات شعوبهم واستقلالهم، وإلى ذلك يقدم القرآن مثلاً عند

قوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى

مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: 76)، فسياق الآيات يشير إلى أن من صفات - أهل العدل -

التقدم في العلم والمعرفة، والقدرة على الإنتاج، وتحقيق الاستقلال، وعدم الاعتماد على

الأخرين، وسداد التخطيط، والسياسة الجالبة للخير المانعة للشر¹.

3. حين تسود - علاقة العدل - يشيع الاستقرار والأمن، وتتجسد علاقة الانتماء لبني الإنسان

ولا يبقى أثر لعلاقات العصبية العائلية والقبلية والقومية والعرقية والدينية والمذهبية

والوطنية، ولذلك كان انتشار الاضطرابات والجريمة في علاقات الأفراد والدول، وانتشار

الشعور بالاغتراب في عالمنا المعاصر سببه رعاية التربية لهذه العصبية وتجسيدها في

فلسفاتها ومناهجها وفنونها وثقافتها، بل إن فشل المنظمات التربوية الإقليمية والدولية التي

ترفع شعار " التربية من أجل السلام " سببه أن هذه المنظمات لم تتمكن - بسبب معارضة

الحكومات - من تنقية نظم التربية من آثار العصبية المذكورة التي يصفها رسول الإسلام

بأنها حصب جهنم، وكان يهتف بأصحابه " دَعْوَهَا فَإِلَها مُنْتَبَهٌ " ^{2*}.

4. لا توجد منطقة فراغ في العلاقات بين الإنسان والإنسان، فإما أن يسود علاقة العدل

والإحسان وأما أن يسود علاقة الظلم، والعلاقة الأولى هي الضمان لاستمرار المجتمعات

¹ الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، ص 150 - 151.

² الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، ص 152 - 153.

* من جابر بن عبدالله أنه قال كنا بي غزاة - قال سُمبان مرة بي حبش - فكسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري يا لأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين نسبح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دغوى خابلية قالوا: يا رسول الله كسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال دغوماً فإنها منبته نسبح بذلك عبد الله بن أبي فقال نقلوها " الحديث، أخرجه البخاري، الصحيح، ج 6، ص 191، حديث رقم 4905. قال الألباني: حديث صحيح.

وقيام الحضارات، فإذا غابت وحلت علاقة الظلم محلها أصاب المجتمعات الانحلال

والانهيار، ولو أن الشاعر حافظ إبراهيم وعى هذه السلة الإلهية وكتب يقول:

وإنما الأمم العدل ما بقي العدل فإذا ذهب العدل من بينهم ذهبوا

لكان قوله أصوب وأقرب إلى سنن التاريخ والاجتماع الإنساني لأن وجود العدل في أي

مجتمع يولد حسن الأخلاق، وحلول الظلم محل العدل يحل فساد الأخلاق محل حسنها¹.

5. العدل سبب في النجاح والفوز برضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا وفي الآخرة، ذلك لأن

الإنسان العادل قد أخذ بأمر الله حين قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: 90)

، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: 58)، ولم يأمر الله

بالعدل إلا لما له من منافع تعود على الإنسان فرداً أو جماعة، فالعدل كله خير ابتداءً

من عدل الإنسان مع نفسه، فلا يسرف في استغلال نفسه أو إراحتها، فيعدل في التعامل

معها دون إفراط أو تفريط، فلا يكلف نفسه ما لا تطيق من الأعمال البدنية أو الفكرية،

سواء في الأعمال الدنيوية أو الأعمال الآخروية، فليس من العدالة مع النفس الغلو في

العبادة والتتبع وكذلك ليس من العدل الإهمال والتفريط إذ أن تكليف النفس على قدر

استطاعتها هو العدل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:

285)، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: 16) وإذا حقق الإنسان العدالة مع

نفسه اتزنت نفسه، وصلحت واستدامت على الخير والصلاح بما يعود ذلك نفعاً عليها

وعلى من حلوها، فتكون بذلك لبنة صالحة في لبنات المجتمع، ثم يأتي العدل مع من حول

الإنسان، زوجته وأولاده، ومن يعيل (دائرة الأسرة)، فإن الإنسان إذا أعطى كل فرد من

¹ الكيلاتي، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، ص 159 - 160.

أفراد أسرته حقه كما قرر الشارع الحكيم ودون ظلم أو محاباة ولا غلو ولا تقصير كان قدوة لجميع الأسرة أن يحذو حذوه في المعاملة بالعدل والالتزام به وكان أيضاً ذلك سبباً في استقامة الأسرة وإيجابيتها، فيسودها الوثام والمودة والرحمة والحب وينتفي منها أسباب الحقد والكراهية والحسد والبغضاء والتقاطع والتدابير، وهذا كله يقود الأسرة إلى أن تكون متماسكة قوية فاعلة مؤثرة في غيرها من الأسر الأخرى في المجتمع الإسلامي، فإن تشكل المجتمع من أسر يسودها العدل تراحم المجتمع وتواصل وزالت كل الأسباب التي تؤدي به إلى الفرقة والاختلاف، ذلك لأن غياب العدل من أخطر ما يقوض دعائم المجتمع ويقضي على تماسكه وعلى كل أوامر المحبة والرحمة والود والتعاون ليحل محلها الظلم والجور والقهر والاستعباد، وبالتالي الحسد والكراهة، والتفكك والطغيان، وفساد الأخلاق، وانتشار الرذائل بدل الفضائل، والفرقة الاختلاف ويرتب على ذلك الضعف والاستكانة والهوان الذي يوصل بالمجتمعات إلى الاستعباد ونهب الخيرات، فيتحقق فيهم قول النبي ﷺ " يوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْقَوْمُ عَلَى قَصْعَتِهِمْ " ، قَالَ: قِيلَ: مِنْ قِلَّةٍ؟ ، قَالَ: " لَأَ ، وَلَكِنَّهُ غُنَاءٌ كَفَنَاءِ السَّيْلِ " ¹، فلما غاب العدل من بينهم أكل قلوبهم ضعيفهم، واعتدى غنيهم على حقوق فقيرهم، وولي عليهم أشرارهم وأقوياءهم فنهبوا خيراتهم واستعبدوهم، وازدادوا عليهم ظلماً وعدواناً فهانوا بأعين غيرهم فطمعوا فيهم وفي خيراتهم، ولذلك " حرص الخلفاء الراشدون في الصدر الأول أن ينهجوا نهج الرسول ﷺ في إقامة العدل فقد حرصوا على الجلوس لرد المظالم، والسماع لشكوى الرعية، والفصل بين الناس بالعدل، من هنا رضي المسلمون واطمأنوا على حياتهم وانصرفوا إلى

¹ أخرجه ابن حنبل في مسنده، المجلد الخامس، ج 5، ص 278، حديث رقم: 22760، والبيهقي، شعب الإيمان، باب الزهد وقصر الأمل، ج 13، ص 16، حديث رقم: 9887، والطبراني، سليمان بن داود أبو داود الفارسي، مسند أبي داود الطيالسي، بيروت، دار المعرفة، دط، دت، ج 1، ص 133، حديث رقم: 1085، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العسبي، مصنف ابن أبي شيبة، بيروت، دار الفكر، دط، 1989م، ج 15، ص 53، وإسناده حسن .

أعمالهم¹، واقتدوا بحكامهم وقادتهم ونفذوا العدل في حياتهم فأصبح المجتمع مجتمعاً متماسكاً قوياً تهابه الأمم من حوله، فالعدل لم يكن في يوم من الأيام لخصوصاً مكتوبة تقرأ أو آراء نظرية تدرس إنما هو تطبيق عملي يحتاج إلى حكمة بالغة وتقدير دقيق²، ويرى أثره في واقع الحياة على الصعيد الفردي والجماعي، فيحس كل من يطاله العدل بآثاره الطيبة.

6. والعدل لا يقتصر على العلاقة بين الإنسان بالإنسان، إنما يتعداها إلى العلاقة بين الإنسان وما يحيط به من عوالم الأحياء والجمادات، فإن التعامل معها بالعدل، يؤدي إلى بقائها واستمرارها واستمرار الانتفاع بها على الوجه الذي يحقق للإنسان الحياة الكريمة والاعمار الصحيح للأرض، للوصول إلى الغاية الأولى من وجود الإنسان وهي عبادة الله، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، فالعدل في معاملة هذه العوالم يقتضي التعامل معها وفق السنن التي رسمها الله سبحانه وتعالى لها للتعامل معها وفقها، وإن أي خروج عن هذه السنن يؤدي إلى اختلال العلاقة وانقطاع النفع وزوال الفائدة، وبالتالي ينعكس ذلك سلباً على حياة الإنسان ومعيشته، واستقراره في هذه الحياة، فتصبح حياته مكابدة وضنك ومشقة ساعياً وراء إيجاد الحلول والإصلاحات متناسياً أن غياب العدل هو الذي أوصله إلى هذا الحال، فلا يصلح الحال إلا بعودة العدل في معاملة هذه العوالم .

7. وإذا ساد العدل في المجتمع الإسلامي ابتداءً من دائرة الأسرة وانتهاءً بأعلى دائرة من دوائره وتعد علاقة الإنسان بالإنسان إلى غيره من العوالم المحيطة به، وانتشر انتشاراً

¹ ينظر: سعد الدين، إيمان عبد المؤمن، الأخلاق في الإسلام، ص 158 .
² ينظر: نصير، أمانة محمد، الأخلاق في التصور الإسلامي، د.م، مكتبة تامر للطباعة، د.ط، 1985 م، ص 46 .

يحقق آثاره على الفرد والمجتمع، فإن ذلك يحقق توازناً وتكاملاً وقوة في المجتمع ليصبح كخليفة واحدة محققاً ذلك قول النبي ﷺ " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى ¹، وبذلك يستطيع المجتمع بأكمله أن يؤدي دوره القيادي والدعوي لغيره من الأمم والمجتمعات لتخذوا حذوه في تطبيق مبدأ العدل ونشره، وبذلك يكون هذا المجتمع سبباً في انتشار العدل العالمي ودخول الأمم والجماعات في الإسلام رغبة بما فيه من عدالة وتشمل كل أفرادها وعوالمه، فيعم الإسلام اقطار الأرض وترتفع رأيته خفاقة ليتحقق قول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33).

المبحث الثالث: أمثلة على الأخلاق الذميمة الواردة في سورة الأنعام وآثارها الاجتماعية والتربوية:

أولاً: الكذب والاستهزاء: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَلْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: 5).

قال الطبري ²: فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحق لما جاءهم وذلك الحق هو سيدنا محمد ﷺ، كذبوا به وجحدوا نبوته لما جاءهم، قال الله لهم متوعداً على تكذيبهم إياه وجحدهم

¹ أخرجه مسلم، الصحيح، مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاضدهم، ج 8، ص 20، حديث رقم: 6751، وأحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج 4، ص 270، حديث رقم: 18398، والإشيلي، أبو محمد عبد الحق الإشيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة، السعودية، مكتبة الرشد، ط 1، 1422 هـ - 2001 م، ج 3، ص 141، صحيح على شرط الشيخين.
² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 156.

نبوته: سوف يأتي المكذبين بك يا محمد من قومك وغيرهم ﴿ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴾، يقول سوف يأتيهم أخبار استهزائهم بما كانوا به يستهزئون من آياتي وأدلتني

التي أنيتهم ثم وفي لهم بوعيده لم تملأوا في غيرهم وعتوا على ربهم فقتلهم يوم بدر بالسيف .

قال القرطبي¹: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا ﴾ يعني مشركي مكة ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يعني القرآن، قيل بمحمد ﷺ،

قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ ﴾ أي يحل بهم العقاب، وأراد بالأنباء وهي الأخبار: العذاب،

كقولك: اصبر وسوف يأتيك الخبر، أي العذاب، والمراد ما نالهم يوم بدر ونحوه، وقيل يوم

القيامة .

قال محمد رشيد رضا²: قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ أي فسبب

ذلك الشأن الكلي العام وهو استمرارهم على الإعراض عن النظر في الآيات فقد كذبوا بالحق

الذي جاءهم لما جاءهم فلم يترينوا ولم يتأملوا، وإنما كذبوا ما جهلوا، وما جهلوا إلا لأنهم

سدوا على أنفسهم مسالك العلم، وهذا الحق الذي كذبوا به هو دين الله الذي جاءهم به خاتم

رسله ﷺ من العقائد والعبادات والآداب، وأحكام الحلال والحرام والمعاملات، ﴿ فَسَوْفَ

يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي فعاقبة هذا التكذيب أنه سوف يحل بهم مصداق

الأخبار العظيمة الشأن مما كانوا يستهزئون به من آيات القرآن، والمراد بهذه الأنباء ما في

القرآن من الوعد بنصر الله لرسوله ﷺ، وإظهار دينه ووعيده أعدائه بتعذيبهم وخذلانهم في

الدنيا ثم بهلاكهم في الآخرة، وقد أتاهم ذلك فكان من أوائله ما نزل بهم من القحط، وما حل

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 390 .

² رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 251 - 254 .

بهم في بدر، ثم ذلك يوم الفتح، وقد دلت الآية على ما جاء مصرحاً به في سورة أخرى من استهزاء مشركي مكة والكلام فيهم بوعد الله ووعيده وكذا بآياته ورسوله .

قال الرازي¹: اعلم أنه تعالى رتب أحوال هؤلاء الكفار على ثلاث مراتب، فالمرتبة الأولى: كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل والتفكير في التبعات . والمرتبة الثانية: كونهم مكذبين بها، وهذه المرتبة أزيد مما قبلها، لأن المعرض عن الشيء قد لا يكون مكذباً به، بل يكون غافلاً عنه غير متعرض له، فإذا صار مكذباً فقد زاد على الإعراض . والمرتبة الثالثة: كونهم مستهزئين بها لأن المكذب بالشيء قد لا يبلغ تكذيبه إلى حد الاستهزاء، فإذا بلغ إلى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في الإنكار .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: 10) .

قال الطبري²: يقول تعالى ذكره مسلماً لنبيه ﷺ، بوعيده المستهزئين به عقوبة ما يلقي منهم من أذى الاستهزاء به والاستخفاف في ذات الله، هون عليك يا محمد وامض لما أمرتك، فإنهم تمادوا في غيهم وأصروا على المقامة على كفرهم، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النعمة لهم، وحلول المثالات بهم، فقد استهزأت أمم من قبلك برسول أرسلتهم إليهم بمثل الذي أرسلتك به إلى قومك، وفعلوا ما فعل قومك بك، ﴿ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي: فنزل وأحاط بالذين هزئوا برسولهم ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ أي: العذاب الذي كانوا يهزعون به وينكرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرتهم رسولهم .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 483 .
² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 365 .

قال القرطبي¹: أي نزل بأممهم من العذاب ما أهلكوا به جزاء استهزائهم بأنبيائهم . أي

حاق بهم عاقبة استهزائهم .

قال محمد رشيد رضا²: الهُزءُ (بضمّتين وبضم فسكون) والاستهزاء بمعنى السخرية،

وأن أقوالهم: هزئ به واستهزئ به مرادف لقولهم سخر منه، والاستهزاء: ارتياد الهُزوء، وإن

كان قد يعبر به عن تعاطي الهُزوء كالاستجابة في كونها ارتياداً للإجابة وإن كان قد يجري

مجرى الإجابة . وسخرتُ منه واستسخرتُهُ للهُزوء منه، والهُزئ وهو النقل السريع، وناقتهُ

تهزأ به أي: تسرع وتخف، والخلاصة أن الاستهزاء بالشيء الاستهانة به، والاستهزاء

بالشخص احتقاره وعدم الاهتمام بأمره وكثير ما يصحب ذلك السخرية منه، وهي الضحك

الناشئ عن الاستخفاف والاحتقار، فالسخرية تستلزم الاستهزاء، وهي خاصة بالأشخاص دون

الأشياء، وحاقه المكروه يحق حيقاً، أحاط به فلم يكن له منه مخرج، والمعنى: أن الله تعالى

أخبر رسوله خيراً مؤكداً بصيغة القسم أن الكفار قد استهزءوا برسلكرام قبله فتكبر (رسل)

للتعظيم، وهو لا يناقِي العموم فما يراه من استهزاء طغاة قريش ليس بدعاً منهم، بل جروا به

على آثار أعداء الرسل قبلهم، وقد حاق بأولئك الساخرين العذاب الذي أنزهرم إياه أولئك

الرسل على استهزائهم جزاءً وفاقاً، حتى كأنه هو الذي حاق بهم لأنه سببه وجاء على وفقه،

وفي هذا تعليم للنبي ﷺ سنن الله في الأمم مع رسلهم وتسلية له على إيذاء قومه وشارة له

بحسن العاقبة. وقد كان جزاء المستهزئين بمن قبله من الرسل عذاب الخزي بالاستئصال،

ولكن الله كفاه المستهزئين به فأهلكهم ولم يجعلهم سبباً بهلاك قومهم . وامتن عليه بذلك في

سورة الحجر ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر: 95)، والمشهور أنهم خمسة من

رؤساء قريش هلكوا في يوم واحد، ولما كان كون أمر المستهزئين بالرسل يؤول إلى الهلاك

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 393 .

² رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 267 - 268 .

بحسب سنة الله المطردة فيهم مما يرتاب فيه مشركو مكة الذين يجهلون التاريخ، ولا يأخذون
خبر الآية منه بالتسليم، أمر الله تعالى رسله بأن يدلهم على الطريق الذي يوصلهم إلى علم
ذلك بأنفسهم فقال: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾
(الأنعام: 11).

قال الرازي¹: اعلم أن بعض الأقوام الذين كانوا يقولون أن رسول الله يجب أن يكون
ملكاً من الملائكة، كانوا يقولون هذا على سبيل الاستهزاء وكان يضيق قلب الرسول ﷺ عند
سماعه، فذكر ذلك ليصير سبباً للتخفيف عن القلب، لأن أحد ما يخفف عن القلب المشاركة في
سبب المحنة والغم، فكأنه قيل له أن هذه الأنواع الكثيرة من سوء الأدب التي يعاملونك بها قد
كانت موجودة في سائر القرون مع أنبيائهم، فلست أنت فريداً في هذا الطريق . قوله: ﴿ فَحَاقَ
بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ﴾ ونظيره ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر: 43)
معناه: وجب عليهم، وقيل (الحيق) ما حاق بالإنسان من مكر أو سوء بعمله، فنزل ذلك به،
وقيل عاد عليهم، وقيل حل بهم، وقيل (حاق) أي: أحاط، وفي الآية بحث آخر وهو أن لفظ
(ما) في قوله ﴿ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ فيها قولان: الأول: أن المراد به القرآن
والشرع وهو ما جاء به محمد ﷺ وعلى هذا التقدير فتصير هذه الآية من باب حذف المضاف،
والتقدير، فحاق بهم عقاب ما كانوا به يستهزئون . والقول الثاني: أن المراد به أنهم كانوا
يستهزئون بالعذاب الذي كان يخوفهم الرسول بنزوله وعلى هذا التقدير فلا حاجة إلى
الاضمار .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 487 - 488 .

ثانياً: الكذب والافتراء على الله:

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنعام: 21) .

قال الطبري¹: يقول تعالى ذكره: ومن أشد اعتداءً، وأخطأ فعلاً، وأخطأ قولاً ﴿ مِمَّنِ

افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ يعني: فمن اختلق على الله قولاً باطلاً، واخترق من نفسه عليه

كذباً، فزعم أن له شريك من خلقه وإلهاً يعبد من دونه كما قال المشركون من عبدة الأوثان،

أو ادعى له ولداً أو صاحبة كما قالت النصارى، ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ أي: كذب بحججه

وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوتهم كذبت بها اليهود . ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ ﴾ أي: إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان،

والمفترون عليه الكذب والجاحدون بنبوة أنبيائه .

قال ابن عاشور²: المراد بافتراءهم عقيدة الشرك في الجاهلية بما فيها من تكذيب،

وتكذيبهم الآيات، تكذيبهم القرآن بعد البعثة، وقد حيل الآتي بواحدة من هاتين الخصلتين أظلم

الناس، فكيف بمن جمعوا بينهما، والافتراء: الكذب المتعمد . وقوله: ﴿ كَذِبًا ﴾ مصدر مؤكد

له، وهو أعم من الافتراء، والتأكيد يحصل بالأعم، وقد نفى فلاحهم فعم كل فلاح في الدنيا

والآخرة، فإن الفلاح المعتد به في نظر الدين في الدنيا هو الإيمان والعمل، وهو سبب فلاح

الآخرة .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 188 .

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 50 .

قال المراغي¹: أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً، كمن زعم أن له ولد أو شريكاً أو أن شجره يدعي معه أو من دونه أو يتخذ ولياً يقربه إليه زلفى ويشفع للناس عنده، أو زاد في دينه ما ليس منه، أو من كذب بآياته المنزلة كالقرآن، أو آياته الكونية الدالة على وحدانية أو التي يؤيد بها رسله، وإذا كان كل من التكذيب والكذب والافتراء قد بلغ غاية القبح وصاحبه مفترياً ظالماً، فمال حال من جمع بينهما، فكذب على الله وكذب بآياته المثبتة للتوحيد والمثبتة للرسالة؟ بين سبحانه عاقبة الظالمين وسوء منقلبهم، فقال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ أن الظالمين عامة لا يفوزون في عاقبة أمرهم يوم الحساب والجزاء بالنجاة من عذاب الله ولا بنعيم الجنة، فكيف تكون عاقبة من افترى على الله الكذب وكذب بآياته وكان أظلم الظالمين .

ثالثاً: قسوة القلب:

قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) ﴿ (الأنعام: 43 - 44) .

قال الطبري²: تأويل الكلام إذن: فهذا إذ جاءهم بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها الذين لم يتضرعوا عندما أخذناهم بالبأساء والضراء، تضرعوا فاستكانوا لربهم وخضعوا لطاعته،

¹ المراغي، تفسير المراغي، ج 7، ص 95 .
² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 243 .

فيصرف ربهم عنهم بأسه وهو عذابه، ﴿ وَلَكِنْ فَسَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: ولكن أقاموا على
 تكذيبهم رسلهم، وأصروا على ذلك واستكبروا أمر ربهم، استهانة بعقاب الله واستخفافاً بعذابه
 وقساوة قلب منهم، ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يقول: وحسن لهم الشيطان
 ما كان يعملون من الأعمال التي يكرهها الله ويسخط منهم، ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
 مُبْتَلِسُونَ ﴾ أي: فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على السن رسلنا، بدلنا مكان البأساء الرخاء
 والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والسلامة في الأبدان والأجسام، استدراجاً منا لهم،
 فإن قال قائل لنا: وكيف قال: ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ وقد علمت أن باب
 الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم، وأبواب أخرى غيره كثيرة، قيل: أن معنى ذلك على غير
 الوجه الذي ظننت من معناه، وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم استدراجاً منا لهم أبواب كل ما كنا
 سدنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا، إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر
 الله، لأن آخر هذا الكلام على أوله، وذلك كما قال في موضع آخر من كتابه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا
 فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (94) ثُمَّ بَدَلْنَا
 مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ
 بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (95) ﴾ (الأعراف: 94 - 95).

ففتح الله على القوم الذين نكر أنهم نسوا ما ذكرهم بقوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ هو تبديله لهم مكان السيئة التي كانوا فيها حال امتحانه

أيامهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضر في الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو فتح أبواب كل شيء كان أغلق عليهم مما جرى ذكره قبل قوله: « فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ » " فرد بقوله: « فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ » عليه . وقوله: « حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا »: يعني حتى إذا فرح هؤلاء المكذبين بفتحنا عليهم أبواب السعة في المعيشة، والصحة في الأجسام « أَخَذْنَاَهُمْ بَغْتَةً » أي: أتيناهم بالعذاب فجأة وهم غارون لا يشعرون أن ذلك كائن ولا هو بهم حال، « فَتَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا » أي: فاستوصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم، فلم يترك فهم أحد إلا هلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله، « وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » والثناء الكامل، والشكر التام لله رب العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته، بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر وتحقيق عدااتهم ما وعدوهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله، من نعم الله وعاجل عذابه .

قال سيد قطب¹: هنا في هذه الموجه يواجه السياق القرآني فطر المشركين بيأس الله . بل يواجههم بفطرتهم ذاتها حين تواجهه بأس الله . حين تتعري من الركाम في مواجهة الحصول، وحين يهزها الحصول فيتساقط عنها ذلك الركام! وتتسى حكاية الآلهة الزائفة وتتجه من مواردها إلى ربها الذي تعرفه في قراراتها تسأله وحده الخلاص والنجاة! ثم يأخذ بأيديهم ليوقفهم على مصارع الغابرين من أسلافهم، وفي الطريق يريهم كيف تجري سنة الله، وكيف يعمل قدر الله، ويكشف لأبصارهم وبصائرهم عند استدراج الله لهم، يعد تكذيبهم رسل الله، وكيف قدم لهم الابتلاء بعد الابتلاء - الابتلاء بالبأساء والضراء، ثم الابتلاء بالرخاء والنعماء - وأتاح لهم الفرصة بعد الفرصة، لينبهوا من الغفلة حتى إذا استنفذوا الفرص كلها، وغررتهم

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 2، ص 1086 .

النعمة بعد أن لم توقظهم الشدة، جرى قدر الله، وفق سنته الجارية وجاءهم العذاب بغتة: ﴿

فَقَطَعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال ابن عاشور¹: لما أُنذِرهم بتوقع العذاب أعقبه بالاستشهاد على وقوع العذاب بأمر من

قبل، ليعلم هؤلاء أن تلك سنة الله في الذين ظلموا بالشرك، وهذا الخبر مستعمل في إنذار

السامعين من المشركين على طريقة التعريض، وهم المخاطبون بالقول المأثور به في الجملة

التي قبلها جملة ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ عطف على جملة ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ ﴾ (الأنعام: 40)،

والواو لعطف الجمل، فتكون استئنافية إذ كانت المعطوف عليها استئنافاً . وافتتحت هذه الجملة

بلام القسم و(قد) لتوكيد مضمون الجملة، وهو المفرع بالفاء في قوله: ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْبِئْسَاءِ

وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ نزل السامعون المعرض بإنذارهم منزلة من ينكرون أن

يكون ما أصاب الأمم الذين من قبلهم عقاباً من الله تعالى على إعراضهم، وقوله: ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ

﴿ عطف على ﴿ أَرْسَلْنَا ﴾ باعتبار ما يؤذن به وصف ﴿ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ من معاملة أممهم إياهم

بمثل ما عاملك به قومك، فبذل العطف على محذوف تقديره فكذبوهم، ولما كان أخذهم بالبِئْسَاءِ

والضراء مقارناً لزمن وجود رسلهم بين ظهرانيتهم كان الموقع بقاء العطف للإشارة إلى أن

ذلك كان بمرأى رسلهم وقبل انقراضهم ليكون إشارة إلى أن الله أيد رسله ونصرهم في

حياتهم، لأن أخذ الأمم بالعقاب فيه حكمتان: أحدهما زجرهم عن التكذيب، والثانية: إكرام

الرسل بالتأييد بمرأى من المكذبين، وفيه تكريمة للرسول ﷺ بإيدائه بأن الله ناصره على

مكذبيه، ومعنى ﴿ أَخَذْنَاَهُمْ ﴾ أصبناهم إصابة تمكن، ﴿ لَعَلَّ ﴾ للترجي، جعل علة لا ابتداء

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 97 - 102 .

أخذهم بالبأساء والضراء قبل الاستئصال، ومعنى « يَتَضَرَّعُونَ » يندللون لأن الضراعة التذلل والتخضع وهو هنا كناية عن الاعتراف بالذنب والتوبة منه، وهي الإيمان بالرسول والمراد أن الله قدم لهم عذاباً هيناً قبل العذاب الأكبر وهذا من فرط رحمته الممازجة لمقتضى حكمته، وفيه إنذار لقريش بأنهم سيصيبهم البأساء والضراء قبل الاستئصال، وهو استئصال السيف، وإنما اختار الله أن يكون استئصالهم بالسيف إظهاراً لكون نصر الرسول ﷺ عليهم كان بيده ويد المصدقين به وذلك أوقع على العرب، ولذلك روعي حال المقصودين بالإندار وهم حاضرون، فنزل جميع الأمم منزلتهم، فقال: « فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا »، فإن « لَوْلَا » هنا حرف توبيخ لدخولها على جملة فعلية ماضون واحدة، فليست « لَوْلَا » حرف امتناع لوجود، والتوبيخ إنما يليق بالحاضرين دون المنقرضين لفوات المقصود . ففي هذا التنزيل إيماء إلى مساوات الحاليين وتوبيخ للحاضرين بالمهم من الصبر لبقاء زمن التدارك قطعاً لمعذرهم، والمراد باليأس هنا: الشدة على العدو وغلبته، ومجيء اليأس: يجيء أثره، فإن ما أصابهم من البأساء والضراء أثر من آثار قوة قدرة الله تعالى وغلبة عليهم، والمجيء مستعار للحدوث والحصول بعد أن لم يكن تشبيهاً لحدوث الشيء بوصول القادم من مكان إلى آخر بتنقل الخطوات، ولما دل التوبيخ أو التمني على انتفاء وقوع الشيء عطف عليه بـ (وَلَكِنْ) عطفاً على معنى الكلام، لأن التضرع ينشأ عن لين القلب فكان نفيه المفاد بحرف التوبيخ ناشئاً عن ضد اللين وهو القساوة، فعطف بـ (وَلَكِنْ) والمعنى: ولكن اعتراهم في خلقتهم من المكابرة وعدم الرجوع عن الباطل كأن قلوبهم لا تتأثر، فشبهت بالشيء القاسي، والقسوة: الصلابة، وقد وجد الشيطان من طباعهم عوناً على

نفت مراده فيهم فحسن لهم تلك المساواة، وأغراهم بالاستمرار على آثامهم وأعمالهم، ومن هنا يظهر أن الضلال ينشأ عن استعداد في خلقة النفس، قوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾، النسيان هنا بمعنى الإعراض، وقد جعل الإعراض عما ذكروا به وقتاً لفتح أبواب الخير، لأن معنى أنهم أعرضوا عن الاتعاظ بنذر العذاب رفعنا عنهم العذاب وفتحنا عليهم أبواب الخير، أي أبواب كل شيء يبتغونه ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا ﴾ ومعنى الفرح هنا هو الازدهاء والبطر بالنعمة ونسيان المنعم، ومراد الله هنا هو الإمهال لعلمهم يتذكرون الله ويوحدونه فتطهر نفوسهم، فابتلاهم بالضر والخير ليستقصي لهم سببي التذكر والخوف، لأن من النفوس نفوساً تقودها الشدة، ونفوساً يقودها اللين، ومعنى (الأخذ) الإهلاك، والبعثة من الفجأة، أي حصول الشيء على غير ترقب عند من حصل له وهي تستلزم الخفاء، والمبلسون: البائسون من الخير، المتحيرون، وهو من الإيلاس: وهو الوجوم، وقطع الدابر كناية عن ذهاب الجميع، لأن المستأصل يبدأ بما يلين ويذهب ليستأصل إلى أن يبلغ آخره وهو دابره، والمراد بالذين ظلموا المشركون، فإن الشرك أعظم الظلم، لأنه اعتداء على حق الله تعالى على عباده في أن يعترفوا له بالربوبية وحده، وأن الشرك يستتبع مظالم عدة .

رابعاً: الخوض في آيات الله:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام: 68) .

قال القرطبي¹: فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾، بالتكذيب والرد والاستهزاء ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ والخطاب موجه للرسول ﷺ، وقيل:

إن المؤمنين داخلون في الخطاب معه وهو صحيح، فإن العلة سماع الخوض في آيات الله، وذلك يشملهم وإياه، والخوض أصله في الماء، ثم استعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهيل، بتشبيهاً بغمرات الماء، فاستعير من المحسوس للمعقول، وقيل: هو مأخوذ من الخلط ومنه خاض الماء بالعسل خلطه، ودل هذا على أن الرجل إذا علم من الآخر منكراً وعلم أنه لا يقبل منه فعليه أن يعرض عنه إعراض المنكر ولا يقبل عليه . الثانية: في هذه الآية رد من كتاب الله عز وجل على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج واتباعهم لهم أن يخالفوا الفاسقين ويصوبوا آراءهم تقيّةً، وكذلك منع أصحابنا من الدخول إلى أرض العدو ودخول كنائسهم والبيع، وجالس الكفار وأهل البدع، ولا تعتقد مودتهم ولا تسمع كلامهم ولا مناظرتهم، قال ابن العربي: هذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل .

قال الرازي²: في الآية مسائل، الأولى: قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ قيل الخطاب للنبي ﷺ

والمراد غيره، وقيل الخطاب لغيره أي إذا رأيت أيها السامع الذين يخوضون في آياتنا، والمراد من (الخوض)، الشروع في آيات الله تعالى على سبيل الطعن والاستهزاء . المسألة الثانية: قوله: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ وهذا الإعراض يحتمل أن يحصل بالقيام عنهم ويحتمل بغيره، فلما قال ﴿ فَلَا تَقْعُدْ ﴾ صار ذلك دليلاً على أن المراد أن يعرض عنهم بالقيام من عندهم .

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 12 - 14 .
² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 22 - 23 .

قال ابن عاشور¹: « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ » إذا رأيتهم في حال خوضهم،

وجاء تعريف هؤلاء بالموصولية دون أن يقال الخائضين أو قوماً خائضين، لأن الموصول فيه إيماء إلى وجه الأمر بالإعراض لأنه أمر غريب، إذ شأن الرسول ﷺ أن يمارس الناس لعرض دعوة الدين، فأمر الله إياه بالإعراض عن فريق منهم يحتاج إلى توجيه واستئناس، وذلك بالتعليل الذي أفاده الموصول وصلته، أي فأعرض عنهم لأنهم يخوضون في آياتنا . والخطاب للرسول ﷺ مباشرة وحكم يفيد المسلمين كحكمة، والإعراض عنهم هنا هو ترك الجلوس إلى مجالسهم، وفائدته زجرهم وقطع الجدل معهم لعلهم يرجعون عن عنادهم و«حَتَّى» غاية للإعراض لأنه أعراض فيه توقيف دعوتهم زماناً أوجبه رعي مصلحة أخرى هي من قبيل الدعوة، فلا يضر توقيف الدعوة زماناً، فإذا زال موجب ذلك عادت محاولة هديهم إلى أصلها . وإنما عبر عن انتقالهم إلى حديث آخر بالخوض لأنهم لا يتحدثون إلا فيما لا جدوى له من أحوال الشرك وأمور الجاهلية . قوله « وَإِذَا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » عطف على حالة النسيان زيادة في تأكيد الأمر بالإعراض، وأسند الإنساء إلى الشيطان فدلتنا على أن النسيان من آثار الخلقة التي جعل الله منها حظاً لعمل الشيطان، وليس هذا من وسوسة الشيطان في أعمال الإنسان، لأن الرسول ﷺ معصوم من وسوسة الشيطان في ذلك، فالنسيان من الإعراض من الأمور البشرية الجائزة على الأنبياء في غير تبليغ ما أمروا بتبليغه، عند جمهور علماء السنة ؟

قوله تعالى: « وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ

بِهِ أَنْ تُنْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 150 - 152 .

عَدَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَبْسَلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابًا مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿ (الأنعام: 70) .

قال الزمخشري¹: أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به، لعباً ولهواً، وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب، وغير ذلك من باب اللعب واللهوا واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة، ومن جنس الهزل دون الجد، واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دنياً لهم، أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعباً ولهواً حيث سخروا به واستهزءوا، وقيل جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله، والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعباً ولهواً غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله، ومعنى ذرهم: أي أعرض عنهم، ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم، ولا تشغل قلبك بهم .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 332 .

الفصل السادس

الأصل النفسي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من

سورة الأنعام

الفصل السادس

الأصل النفسي للنظرية التربوية الإسلامية المستخلص من سورة

الأنعام

تمهيد:

الأصل النفسي من الأصول المهمة للنظرية التربوية الإسلامية، ذلك لأن الهدف الأول من خلق الله سبحانه وتعالى للإنس والجن هو عبادته جل وعلا، ولا يتحقق هذا الهدف إلا بتربية الإنسان التربية الإسلامية الحقة التي تقوده إلى المعرفة الحقة لنفسه ولخالقه وبين له الكيفية التي عليه أن يتعامل بها مع هذا الخالق العظيم، ولا يتحقق ذلك إلا من خلال دراسة النفس الإنسانية وما يتصل بها، من هنا ظهرت أهمية هذا الأصل من أصول النظرية التربوية الإسلامية، وتفصيل ذلك:

المبحث الأول: مفهوم النفس

قال الراغب الأصفهاني¹: النفس الروح في قوله: «أَخْرِجُوا أَلْفُسَكُمْ» (الأنعام: 93)، ونفسه ذاته، والمنافسة: مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل، والحقوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره، والنفس: الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر، وهو كالغذاء للنفس ويانقطاعه بطلانها . ويقال اللهم نفس عني: أي فرج عني . وتتفست الريح: إذا هبت طيبة، وتتفس النهار عبارة عن توسعه، ونفست بكذا: صنعت نفسي به .

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 501 - 502 .

وكلمة النفس حين تطلق في الاستعمال يراد بها الإنسان بما اشتمل عليه من روح وجسد، وهي النفس المخاطبة في التشريع في القرآن الكريم مأمورة أو منهيّة أو مخبراً عنها مبيناً عواقبها ومآلها في الدارين، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (آل عمران: 30)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران: 185)، وقوله تعالى: ﴿لِئَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه: 15)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: 151، الإسراء: 33) ¹.

ويرى الغزالي²: أن النفس لفظ مشترك بين معان، أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان، فيقولون: لا بد من مجاهدة النفس وكسرها، والمعنى الثاني: هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته .

وقد عرف الإنسان النفس، كمقابل للجسم، واعتقد أنها الروح التي تكمل البدن، ولم يكن الأمر فقط أن الأشياء بضدها تتمايز فقد فسرت النفس تارة بأنها النفس أو الشهيق الذي يستشقه الإنسان وعلى هذا التصور كان تقسيم أفلاطون لقوى النفس إلى شهوانية، وعصبية وعاقلة، وكان تقسيم أرسطو إلى النفوس الثلاثة النباتية والحيوانية، والناطقة مما توسع العرب في تعريفه فيما بعد، فقالوا أن النباتية للغذاء والنمو والتوالد، والحيوانية لإدراك الجزئيات بالحس وللتحرك وللإرادة، والناطقة للتعلل والاستبدال وإدراك الكليات، وكل هذه التعريفات تتنافى تماماً مع قرآنا

¹ خليل، خليل محمد، النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د. ط، د. ت، ص 14 .
² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج 2، ص 4 .

الكريم، فانه خلق الإنسان من طين لخلق آدم ثم من نطفة ثم من علقه، والخلق هنا خلق إلهي بأسباب دنيوية هي اتصال الذكر بالأنثى فيتم بأمر الله¹.

إن فالنفس غير الروح، ويخلط الكثيرون بينهما عند كلامهم عن التكوين البشري، فالروح سر إلهي أودعه الله سبحانه وتعالى في الكائن الحي، والإنسان مهما بلغ من علم ومعرفة، لا يقدر على اكتشاف هذا السر، ولذلك عندما سأل الرسول ﷺ عن الروح كان الجواب من الله سبحانه وتعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: 85)، وجعل ما يمكن معرفته عن الروح أن بأنها باعث الحركة في الكائن الحي، أما ما هي؟ وهل لها شكل معين؟ وأين تكمن في الكائن الحي؟ وكيف تدخل وتخرج منه؟ فتلك أمور في السر الإلهي لا يمكن لأحد أن يصل إلى علمها².

و" النفس" مشتقة من الفعل "نَفَس"، ومنه جاءت صيغ النفوس والأنفس والتنفس والنَّفَس. ونحن نشهد في كل لحظة ترتبط حياة الإنسان بقدرته على التنفس، وبذلك تكون - النفس - هي ذلك الكائن البشري الحي الذي يقوم بوظائفه الجسدية وما يرتبط بها من الوظائف الخارجية كعمليات السمع والبصر والتواصل والذكاء، والذي يتنفس - خلال ذلك - ويأخذ الأوكسجين طبقاً لطوره الحياتي، فإما بشكل غير مباشر عن طريق دم الأم قبل الولادة أو بشكل مباشر بعد الولادة. وبناءً على هذا الاستعراض نقول أن - النفس البشرية - هي: جسد + روح = بشر. أما النفس الإنسانية فهي: بشر + روح = إنسان، أو هي جسد + نفس + روح = إنسان. فالإنسان يتضمن البشر، ولكن البشر لا يتضمن الإنسان، والروح المشار إليها عند عملية النفخ

¹ عامر، أحمد محمد، أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط 1429 هـ - 2008 م، ص 14 - 15 .
² الزين، سميح عاطف، علم النفس (معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1411 هـ - 1991 م، ج 1، ص 127 .

الإلهي هي التي نقلت " النفس البشرية " إلى طور آخر هو طور " النفس الإنسانية " وبذلك صار
البشر المتوحش الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء " إنساناً " يأنس بعضه بعضاً ويفكر
بتطوير حياته، ويحلم بمستقبله ومصيره ¹ .

وهذا الاختلاف في فهم النفس أمر طبيعي ؛ لأن النفس مع أنها من أقرب الملكات إلينا،
إلا أنها غيب، استأثر الله تعالى بالعلم بها، فضلاً عن ذلك، فقد ذكرت النفس في القرآن الكريم
بأكثر من معنى ² .

المبحث الثاني: النفس في القرآن الكريم:

وفي القرآن الكريم اختلف معنى النفس بحسب سياق الكلام، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿ يَا

أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (النساء: 1) : جاءت بمعنى آدم
عليه الصلاة والسلام .

قال الرازي ³ : اجمع المسلمون على أن المراد بالنفس ها هنا هو آدم عليه الصلاة والسلام، إلا
أنه أنث الوصف على لفظ النفس .

وقال ابن عاشور ⁴ : النفس الواحدة هي آدم .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات: 21)، قال الرازي ¹:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ يحتمل أن يكون المراد (وفيكم)، يقال: الحجارة في نفسها صلبة، ولا يراد

¹ الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية - دراسة مقارنة بين أصول التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دبي، دار
القلم، ط 1، 1429 هـ - 2008 م، ص 474 - 475 .

² إبراهيم، أحمد شوقي، الروح والنفس والعقل والقرين، مصر، دار نهضة مصر للنشر، د. ط. د. ت، ص 135 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 9، ص 477 .

⁴ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 4، ص 9 .

بها النفس التي هي منبع الحياة والحس والحركات، ويحتمل أن يكون المراد وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات .

واعتبر صاحب البحر المحيط²: أن معنى قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾: أي شكل الإنسان من لطائف الحواس وما يترتب على العقل الذي أوتيته من بدائع العلوم وغريب الصنائع فاعتبر (النفس) شكل الإنسان وحواسه وعقله .

وأشار إلى مثل ذلك ابن عاشور³: حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ قال: كيف أنشأكم من ماء، وكيف خلقكم أطواراً، وقال: أن بواطن أحوال الإنسان وظواهرها عجائب من الانتظام والتناسب، وأعجبها خلق العقل وحركاته واستخراج المعاني، وخلق النطق، وخلق الحواس، وحركة الدورة الدموية، وانتساق الأعضاء الرئيسية وتفاعلها، ...

فالكلام يشير هنا إلى أن معنى النفس هي: كل الإنسان بما فيه من جانب روحي وعقلي ومادي.

وقد أشار الشعراوي⁴ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ إلى أن النفس هي الروح الموجودة في الجسد فقال: أي أن الله وضع دليل القمة على وجوده، وضعه في نفس كل واحد منا، وهي الروح الموجودة في الجسد، والإنسان مخلوق من مادة نفخت فيها الروح فدبت فيها الحياة والحركة والحس، إذن كل ما في جسدك من حياة، ليس راجعاً إلى المادة

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 28، ص 172 .

² أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ج 9، ص 552 .

³ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 27، ص 20 .

⁴ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 190 .

التي تراها أمامك، وإنما يرجع إلى الروح التي لا تستطيع أن تتركها إلا بأثارها، فإذا خرجت الروح ذهبت الحياة وأصبح الجسد رمة .

وعليه يمكن القول: بأن نفس الإنسان هي كله بمكوناته الثلاث (الجسد والعقل والروح)،
مجتمعة ومتفاعلة مع بعضها البعض ومكملة لبعضها البعض فهي ذات الإنسان .

إلى ذلك إشارة شادية التل¹ حيث قالت: يمكن القول أن مفهوم النفس الإنسانية تعني في القرآن والسنة النبوية الشريفة ذات الإنسان أو الكل المتكامل الناتج عن تفاعل الجسد والروح، وتشمل كل من الروح والقلب (وما يتصل بها) والقوة المفكرة والنية والجوهر الداخلي (أي قوة الخير والشر) إضافة إلى العلاقات المتبادلة مع الآخرين .

فعليه يمكن أن نقول أن النفس هي الإنسان .

وفي قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الزمر: 42)، قال الخطيب²: أشارت الآية الكريمة إلى أن في الإنسان نفساً، وأن هذه النفس ترد إلى الله، على حين يترك الجسد لمصيره في التراب، فالإنسان إذن نفس وجسد وهما طبيعتان مختلفتان، فالنفس من العالم العلوي، والجسد من عالم التراب، وإنما إذ يجمع الله بينهما بقدرته، فيجعل منهما كائناً سويماً هو الإنسان وهناك كائن آخر يعيش مع الجسد والنفس هو الروح وثلاثتها هي الإنسان، فالجسد هو المظهر المادي للإنسان والروح والنفس قوتان غيبيتان تسكنان هذا الجسد فيكون بها معاً هذا الإنسان الحي، وفي حديث القرآن

¹ التل، شادية أحمد، الشخصية من منظور نفسي إنساني، أريد، دار الكتاب الثقافي، د. ط، 1427 هـ - 2006 م، ص 17 .
² الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، دبت، ج 12، ص 1160 - 1167 .

عن الروح نجد أنها نفخة الحياة في الإنسان، وإنما من روح الله، يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ

وَكَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقُوعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (الحجر: 29)، ويقول: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ

فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ (السجدة: 9)، فالروح هي مبعث الحياة في الإنسان، وهي التي تخرج هذا

الجسد الهامد إلى عالم الحياة والحركة، إذن الإنسان جسد وروح، إذن فما النفس: أهي الروح

الإنسانية، سميت بهذا الاسم، للترقية بين روح الإنسان، وروح الحيوان، أم هي شيء مضاف

إلى خلق الإنسان، به صار الإنسان إنساناً، بعد أن أصبح بالروح حيواناً، يحدث القرآن الكريم

عن النفس، على أنها كائن له وجود ذاتي مستقل، فالقرآن يخاطب الإنسان في ذاته نفسه،

باعتبار أن هذه النفس هي القوة العاقلة المدركة فيه، فيقول سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) ﴾ (الشمس: 7 - 8)، ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ

(27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي

جَنَّتِي (30) ﴾ (الفجر: 27 - 30)، ويقول: ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ ﴾ (يوسف: 53)، ويقول: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ﴾ (يوسف: 18)،

ويقول: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (الطلاق: 1)، ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم: 6)، فالنفس هنا وفي مواضع أخرى كثيرة

من القرآن هي الإنسان العاقل، المكلف، وهي الإنسان الذي يتوقع منه الخير أو الشر، والهدى أو

الضلال ثم هي الإنسان بجميع شخصاته، جسداً وروحاً . وعليه فإن الفهم الذي يستريح إليه

العقل في شأن النفس هو أنها شيء غير الروح، وغير العقل، وأنها هي الذات الإنسانية أو

الإنسان المعنوي، أن صبح هذا التعبير، أنها تتخلق من إنقاء الروح بالجسد، أنها التركيبية التي تُخلق في الإنسان ذاته، يترف بها أنه ذلك الإنسان بأحاسيسه ووجدانه ومدركاته، فالنفس هي ذات الإنسان، أو هي مشخصات الإنسان التي تنبئ عن ذاته .

المبحث الثالث: مفهوم النفس في سورة الأنعام:

وردت كلمة النفس في سورة الأنعام في أربعة عشر موضعاً، حيث انطوت على المعاني

التالية:

أولاً: جاءت بمعنى الله سبحانه وتعالى، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ (الأنعام: 12) . قال القرطبي¹: ذكر النفس

هنا عبارة عن وجوده وتأكيد وعده . قال ابن كثير²: يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض ومن فيهن وأنه قد كتب على نفسه الرحمة .

قال الطبراني³: قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أي أوجب على نفسه

الرحمة فضلاً وكرماً، أو قيل معناه: أوجب على نفسه الثواب لمن أطاع، وقيل: أوجب على

نفسه الرحمة بإمهال من عصاه ؛ ليستترك ذلك بالتوبة ولم يعاجله بالعقوبة، وهذا استعطاف من

الله عز وجل للمتولين عن الاقبال، وأخبار بأنه رحيم بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل

منهم الإنابة والتوبة.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 395 .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 242 .

³ الطبراني، تفسير القرآن العظيم، ج 12 .

قال محمد رشيد رضا¹: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

لَأَرْيَبَ فِيهِ ﴾، المعنى أن الله تعالى الذي تقررون معي بأن له ما في السماوات وما في الأرض قد أوجب على ذاته العليا الرحمة بخلقه، كما يُعلم ذلك من إفاضته نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، ومن مقتضى هذه الرحمة أن يجمعكم إلى يوم القيامة حال كونه لا ريب فيه، أو جمعاً لا ريب فيه، أي ليس من شأنه أن يرتاب فيه من تدبر دلائل رحمت الله وحكمته .

قال الاسمي²: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أنه تعالى أوجبها وقضاها بطريق

الفضل والإحسان على ذاته المقدسة، بالذات، لا يتوسط شيء أصلاً، وفي التعبير عن الذات — (النفس) حجة على من ادعى أن لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى، وإن أريد به الذات، إلا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ها هنا .

قال ابن عاشور³: الرحمة هنا مصدر، أي كتب على نفسه أن يرحم، وليس المراد الصفة، أي كتب على نفسه الاتصاف بالرحمة، أي بكونه رحيماً، لأن الرحمة صفة ذاتية لله تعالى واجبه له، والواجب العقلي لا تتعلق به الإرادة، إلا إذا جعلنا (كَتَبَ) مستعملاً في تمييز آخر، وهو تشبيه الوجوب الذاتي بالأمر المحتم المفروض، والقرينة هي هي إلا أن المعنى الأول أظهر في الامتتان، وفي المقصود من شمول الرحمة للعبيد المعرضين عن حق شكره، والمشركين له في ملكه غيره.

قال الزحيلي⁴: أمر الله عز وجل محمد ﷺ بهذه الحجة الساطعة، والبرهان القطعي الذي

لا يستطيع أحد نقضه، فبما أيها الكافرون بربهم: لمن ما في السماوات والأرض، ثم سبقهم في

¹ رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 272 .

² القاسمي، محاسن التأويل، ج 12 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 30 - 33 .

⁴ الزحيلي، وهبه بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر، ط 1، 1422 هـ - 2001 م، ج 1، ص 531 - 532 .

الجواب فقال: لله، إذ لم يستطع أحد انكار ذلك، ومن صفات الله؛ صفة الرحمة لجميع عباده، فإنه تعالى أوجب على ذاته الرحمة بخلقه ومن مقتضيات رحمته: حشر الخلائق جميعهم يوم القيامة، للثواب والعقاب والجزاء على الأعمال، وإقامة العدل المطلق بين الناس .

قال البقاعي¹: ولما كان أكثر ما في الكون منافع مع كونها حسنة لذيدة طيبة شهية، وما كان فيها من مضار فهي محجوبة ممنوعة عنهم، يقل وصولها إليهم إلا بتسببهم فيها، والكل مع ذلك دلائل ظاهرة على وحدانيته وتام علمه وقدرته، وكان ذلك أهلاً لأن يتعجب منه لعموم هذا الإحسان، مع ما هم عليه من الإثم والعدوان وتأخير العذاب عنهم، مع العناد والطغيان، قال دالاً على أن رحمته سبقت غضبه مستأنفاً « كَتَبَ » أي وعد وعداً هو كالمكتوب الذي ختم، وأكد غاية التأكيد، أو كتب حيث أراد سبحانه، ولما كانت النفس يعبر بها عن الذات على ما هي عليه، قال: « كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » أي فلذلك أكرمكم هذا الإكرام بوجود الإنعام وأخر عنكم الانتقام بالاستئصال .

وصور الله تعالى اصطناع الخالق الخلق لنفسه فقال: « وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي » (طه):

41)، وفي مناسبة أخرى أعطانا صورة دقيقة عن نفسه، فيها القوة والرافة. « وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ

نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَعُوفٌ بِالْعِبَادِ » (آل عمران: 30)، وعندما قارن بين معرفته بنفوسنا

ومعرفتنا بنفسه، أعطانا الصورة العميقة الواضحة فقال: « تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا

¹ البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط 1415 هـ - 1995 م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، ج 2، ص 594 .

فِي نَفْسِكَ ﴿ (المائدة: 116)، وختم هذه المعالم بأنه كتب على نفسه الرحمة ﴿ قُلْ لِلَّهِ

كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ﴾ (الأنعام: 12)¹، فدللت النفس هنا على الذات الإلهية .

ثانياً: جاءت بمعنى الذات الإنسانية، أي الإنسان كله بجسده وعقله وروحه في المواطن

التالية:

1. قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: 20) .

قال الطبري²: يعني بقوله: ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ أهلكوها وألقوها في نار جهنم

بإنكارهم محمداً أنه الله رسولاً مرسلأ وهم بحقيقة ذلك عارفون، فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم فهم

لا يؤمنون . وقد قيل: إن معنى خسارتهم أنفسهم: أن كل عبد له منزلة في الجنة وفي النار، فإذا

جاء يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار في الجنة، وجعل لأهل النار منازل أهل

الجنة في النار، فذلك خسران الخاسرين فيهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من

النار لمعصيتهم الله وظلمهم أنفسهم .

يرى محمد رشيد رضا³: إن خسران هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية لأنفسهم هو من

قبيل ضعف الإرادة، لا من نوع فقد العلم والمعرفة، لأن الله تعالى أخبر أنهم على معرفة

صحيحة في هذا الباب، وروى أن خسران النفس هنا عبارة عن خسرانها في الآخرة فقط

بخسران أمكنتهم التي كانت معدة لهم في الجنة لو آمنوا بالرسول واعطائها للمؤمنين .

¹ زروق، معروف، علم النفس الإسلامي، دمشق، دار المعرفة، ط 1، 1408 هـ - 1989 م، ص 14 .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 186 .

³ رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 287 .

قال أبو حيان الأندلسي¹: الخسران الغبن، والذين خسروا أنفسهم نعتاً لقوله: «الذِينَ

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ»، و«فَهُمْ لَّا يُؤْمِنُونَ» جملة معطوفة على جملة فيكون مساق الذين

آتيناهم الكتاب مساق الذم لا مقام للاستشهاد بهم على كفار قريش وغيرهم من العرب، ويكون

الذين خسروا أنفسهم إذا ذلك ليس عاماً، إذ التقدير الذين خسروا أنفسهم منهم؛ أي من أهل

الكتاب.

2. قوله تعالى: «انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ»

(الأنعام: 24).

قال الطبري²: المعنى: انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون في الآخرة عند

لقاء الله على أنفسهم بقليلهم والله ربنا ما كنا مشركين.

قال القرطبي³: أي كذب المشركين قولهم: إن عبادة الأصنام تقربنا إلى الله زلفى، بل

ظنوا ذلك وظنهم الخطأ لا يعذرهم ولا يزيل اسم الكذب عنهم، وكذب المنافقين باعتذارهم

بالباطل، وجحدهم نفاقهم، «وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أي فانظر كيف ضل عنهم

افتراؤهم، أي تلاشى وبطل ما كانوا يظنونونه من شفاعة آلهتهم. وفارقهم ما كانوا يعبدون من

دون الله فلم يغن عنهم شيئاً.

3. قوله تعالى: «وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ»

(الأنعام: 26).

¹ الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج 4، ص 463.

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 192.

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 6، ص 402.

قال الطبري¹: تأويل الآيات: وهم يبهون عن استماع التنزيل وينأون عنك فيبتعدون عنك

ومن اتباعك ﴿ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ يقول: وما يهلكون بصددهم عن سبيل الله

وإعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم إلا أنفسهم لا غيرها . وذلك أنهم يكسبون بفعلهم ذلك

سخط الله وأليم عقابه، ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ يقول: وما يدرون ما هم مكسبوها من الهلاك

والعطب بعقلهم .

قال الزمخشري²: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ ﴾ الناس عن القرآن وعن الرسول عليه الصلاة والسلام

واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به، ﴿ وَيَنأُونَ عَنْهُ ﴾ بأنفسهم، فيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ ﴿ وَإِنْ

يُهْلِكُونَ ﴾ بذلك ﴿ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ﴾ ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم، وإن كانوا يظنون أنهم

يضررون رسول الله ﷺ .

4. قوله تعالى: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرُوا

بِهِ أَنْ يُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ

كُلُّ عَدْلٍ لَنَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ

وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام: 70) .

5. قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا

وَمَا آتَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ ﴾ (الأنعام: 104) .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 206 .

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 323 .

قال الطبري¹: أي قل لهم يا محمد: قد جاءكم أيها العادلون بالله والمكذبون رسله ﴿ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي ما تبصرون به الهدى من الضلال، والإيمان من الكفر، وهي جمع بصيره، وهي الحجة البينة الظاهرة ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ أي فمن بين حجج الله وعرفها وأقر بها وآمن بما دلته عليه من توحيد الله وتصديق رسله وما جاء به، وإنما أصاب حظ نفسه، ولنفسه عمل، وإياها بغى الخير ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي ومن لم يستدل بها ولم يصدق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله، ولكنه عمي عن دلالتها التي يدل عليها يقول: فنفسه ضرر، وإليها أساء لا إلى غيرها .

قال القرطبي²: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ أي آيات وبراهين يبصر بها ويستدل، جمع بصيره وهي الحجة البينة الظاهرة، ووصف الدلالة بالمجيء لتفخيم شأنها، إذا كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره للنفس، ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾، الإبصار: هو الإدراك بحاسة البصر، أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع، ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ لم يستدل، فصار بمنزلة الأعمى، فعلى نفسه يعود الضرر، ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ أي لم أؤمر بحفظكم على أن تهلكوا أنفسكم.

قال محمد رشيد رضا³: المعنى: قد جاءكم في هذه الآيات الجليلة بصائر من الحجج العقلية والكونية، تثبت لكم عقائد الحق اليقينة التي يتوقف عليها نيل السعادة الأبدية، جاءكم ذلك من ربكم الذي خلقكم وسواكم، وربى أجسادكم ومشاعركم وسائر قواكم، ليربي بها أرواحكم، بأحسن مما ربي به أشياعكم، ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ أي فمن أبصر الحق والهدى فأمن

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 469 .
² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج 7، ص 57 - 58 .
³ رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 547 - 548 .

وعمل صالحاً ثم اهتدى، فلنفسه أبصر وأسعادتها ما قدم من الخير وأخر ﴿ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ أي ومن عمي عن الحق بإعراضه عنها وعدم النظر والاستبصار بها، فأصر على ضلاله، ثباتاً على عناده أو تقليد آبائه وأجداده، فعليها جنى وإياها أردى، ولعمى البصائر شر من عمى الأبصار، وأسوأ عاقبة في هذه الدار وفي تلك الدار وهذا لقوله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ (فصلت: 46)، وقوله: ﴿ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ (الإسراء: 7).

6. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام: 123) .

قال الزمخشري¹: يعني وكما جعلنا في مكة صنائدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك، ومعناه: خليئناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر، وخص الأكابر بالذكر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ لأن مكرهم يحيق بهم .

قال أبو حيان الأندلسي²: ﴿ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي وباله يحيق بهم كما قال ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وما يشعرون، يحيق ذلك بهم ولا يعني شعورهم على الإطلاق وهو مبالغة في نفي العلم إذ نفي عنهم الشعور الذي يكون للبهائم .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 8، ص 345 .
² أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 4، ص 635 - 636 .

7. قوله تعالى: ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَلْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ

أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام: 130) .

قال الطبري¹: يقولون ﴿ شَهِدْنَا عَلَىٰ أَلْفُسِنَا ﴾ بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا، فكذبناها وجددنا رسالتها ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها، وغرت هؤلاء المشركين بالله وأوليائهم من الجن ﴿ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ يعني: زينة الحياة الدنيا، وطلب الرياسة فيها، والمنافسة عليها، أن يسلموا لأمر الله فيطيعوا فيها رسله، فاستكبروا وكانوا قوماً عابيين، فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعاني التي غرتهم وخدعتهم فيها، إذ كان في ذكرها مكنتي عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ يعني هؤلاء المشركين به يوم القيامة أنهم كانوا في الدنيا كافرين به وبرسله لتتم حجة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه .

قال المراغي²: أي شهدنا بأتيان الرسل وإنذارهم وبمقابلتنا لهم بالكفر والتكذيب، وفي هذا الجواب اعتراف صريح بكفرهم، وإقرار بأن الرسل قد أتوهم وبلغوهم دعوتهم إما مشافهة أو نقلاً عن سمعها منهم، وهذا موطن من مواطن يوم القيامة، وفي موطن آخر لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وفي موطن ثالث يكذبون على أنفسهم بما ينكرون من كفرهم وأنهم قدموا شيئاً من السيئات والخطايا، وقوله: ﴿ وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ أي وبعد أن قامت عليهم الحجة شهدوا على أنفسهم بأنهم كانوا في الدنيا كافرين بتلك الآيات والنذر التي جاء بها الرسل حين رأوا أنه لا يجديهم الكذب ولا ينفعهم المكابرة .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 559 – 563 .
² المراغي، تفسير الشيوخ المراغي، ج 8، ص 30 – 34 .

8. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ

ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:

152).

9. قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ

آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ

قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِلِنَا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: 158).

10. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ

فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: 164).

ثالثاً: جاءت بمعنى أصل خلق الإنسان وهو آدم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ

الَّذِي أَلْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾

(الأنعام: 98).

قال الزحيلي¹: بعد بيان آيات الله في الأرض والسماء، ذكر الله تعالى آياته في الأنفس،

فهو سبحانه الذي خلقكم جميعاً أيها الناس في الأصل من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وهو

الإنسان الأول الذي تناسل منه سائر البشر بالتوالد والتزاوج عن طريق الاستقرار في الأرحام

¹ الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، ج 1، ص 586.

والاستيداع في الأصلاب، قد أبان الله العلامات الدالة على قدرته وإرادته، وعلمه وحمته لقوم يفقهون ما يتلى عليهم .

وقال التستري¹: أي (مستقر) في أرحام النساء و (مستودع) يعني النطفة في صلب آدم عليه السلام، وهذا معنى قوله تعالى من نفس واحدة أي من صلب آدم عليه السلام .

قال مصطفى الخلوئي²: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ ﴾ مع كثرتم ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ من نفس آدم وحدها فإنه خلقنا جميعاً منه وخلق أمنا حواء من ضلع من أضلاع آدم، فصار كل الناس محدثة مخلوقة من نفس واحدة، حتى عيسى عليه الصلاة والسلام فإن ابتداء تكوينه من مريم التي هي مخلوق من ماء أبويها، وإنما منّ علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى أن يألف بعضهم بعضاً.

قال القطان³: الإنشاء: إيجاد الشيء وتربيته، والنفس: تطلق على الروح وعلى الشخص المركب من روح وبدن، والنفس البشرية الأولى هي آدم، والله هو الذي أوجدكم من أصل واحد هو أب البشر آدم، وتبدأ الحياة من حيوان صغير لا يرى بالعين المجردة، فالنفس هي مستودع بهذه الخلية في صلب الرجل، وهي مستقر لها في رحم الأنثى، ثم تأخذ الحياة في النمو والانتشار في هذه الأرض التي هي مكان استقراركم في حياتكم ومستودع لكم بعد موتكم، هكذا فصلنا الآيات لقوم يفقهون، وبيننا دلائل قدرتنا لقوم يفقهون ما يتلى عليهم، ويدركون الأشياء على وجهها، فالفقه هنا وهو أعمق الفهم ضروري لإدراك صنيع الله في هذه النفس الواحدة التي تخرج منها أشكال وألوان فيهب لمن يشاء إنثاً ويهب لمن يشاء الذكور .

¹ التستري، سهيل بن عبدالله، تفسير التستري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، تحقيق: محمد باسل عيون السود، 1423 هـ، ج 1، ص 62 .

² ابن مصطفى الخلوئي، اسماعيل حقي، تفسير روح البيان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. طه دبت، ج 2، ص 56 .

³ القطان، إبراهيم، تفسير التفسير، عمان، دن، د. طه، 1982 م، ج 1، ص 490 .

رابعاً: وجاءت بمعنى الروح في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (الأنعام: 93) .

قال البغوي¹: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى ﴾ يا محمد ﴿ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾ سكراته، وهي جمع غمره، وغمرة كل شيء: معظمه، وأصلها: الشيء الذي يعم الأشياء أو يغمرها فيغطيها، ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره، ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ بالعذاب والضرب، يضربون وجوههم وأدبارهم، وقيل بقبض الأرواح، ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي يقولون أخرجوا أرواحكم كرهاً، لأن نفس المؤمن تتشط للقاء ربها، والجواب محذوف، يعني: لو تراهم في هذا الحال لرأيت عجباً .

قال السعدي²: قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلعها، وتعصيها للخروج من الأبدان: ﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ ﴾ أي العذاب الشديد، الذي

¹ البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، د. م، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417 هـ - 1997 م، ج 2، ص 169 .

² السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحي، د. م، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ - 2000 م، ج 1، ص 264 .

يهينكم وبذلكم، والجزاء من جنس العمل، وفيه دليل على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب ويساكن الجسد، ويفارقه .

قال ابن عاشور¹: جملة « أخرجوا أنفسكم » حكاية قول الملائكة لهم عند قبض

أرواحهم، ومعنى بسط اليد تمثيلاً للشدة في انتزاع أرواحهم ولا بسط ولا أيدي، والأنفس بمعنى الأرواح، أي اخرجوا أرواحكم من أجسادكم، أي هاتوا أرواحكم، والأمر للإهانة والإرهاق إغلاظاً في قبض أرواحهم ولا يتركون لهم راحة ولا يعاملونهم بلين، وفيه إشارة إلى أنهم يجزعون فلا يلفظون أرواحهم، وهو على هذا الوجه وعيد بالآلام عند النزاع جزاءً في الدنيا على شركهم، وقد كان المشركون في شك من البعث فتوعدوا بما لا شك فيه، وهو حال قبض الأرواح بأن الله يسلط عليهم الملائكة لقبض أرواحهم بشدة وعنف ويزيقهم عذاباً في ذلك .

المبحث الرابع: الصحة النفسية:

المطلب الأول: الصحة النفسية لغة واصطلاحاً:

أولاً: الصحة في اللغة: خلاف السقم، ومعناها: ذهاب المرض، والبراء من كل عيب

وريب، نقول: صح فلان من علته، وأصحه الله وصححه: أزال مرضه² .

ثانياً: الصحة النفسية في الاصطلاح: عرفت الصحة النفسية بتعريفات عدة، منها:

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 223 .

² ابن منظور، لسان العرب، مادة (صحح)، ج 7، ص 288 ؛ والزيدي، محمد بن مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي ميري، بيروت، دار الفكر، د. ط 1994 م، باب الحاء، فصل الصاد المهملة مع الحاء المهملة، ج 4، ص 115 .

الصحة النفسية: هي مجموعة الشروط التي يلزم توافرها حتى يتم التكيف بين المرء ونفسه، وكذلك بينه وبين العالم الخارجي، تكيفاً يؤدي إلى أقصى ما يمكن من الكفاية والسعادة لكل من الفرد والمجتمع الذي ينتمي إليه¹.

ويرى القوصي²: أنها التوافق التام أو التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة، مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ عادة على الإنسان، مع الاحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية .

بينما عرفها أبو دلو³: التوافق التام بين الوظائف الجسمية المختلفة مع القدرة على مواجهة الصعوبات المحيطة بالإنسان، ومع الاحساس الإيجابي بالنشاط والحيوية .

في حين يعتبرها عبد الخالق⁴: حالة انفعالية مركبة، دائمة نسبياً، من الشعور بأن كل شيء على ما يرام والشعور بالسعادة مع الذات والآخرين، والشعور بالرضا والطمأنينة والأمن وسلامة العقل والإقبال على الحياة مع الشعور بالنشاط والقوة والعافية .

ويراها الخالدي والعملي⁵ على أنها: سلامة الفرد من المرض النفسي والعقلي في صورته المختلفة وعدم ظهور أعراض الاضطرابات السلوكية الحادة في أفعاله وتصرفاته، وقد يكون لدى الأفراد درجة من الاختلال والغرابة من حيث قناعاتهم بحياتهم ورضاهم عن أنفسهم، أو من حيث نجاحهم في إقامة العلاقات الطيبة والتوافق مع الأشخاص المحيطين بهم .

¹ الحاج، هانز محمد علي، الصحة النفسية، د . م، درن، د. ط، 1977 م، ص 14 .
² القوصي، عبد العزيز، أسس الصحة النفسية، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ط 4، 1371 هـ - 1952 م، ص 6 .
³ أبو دلو، جمال، الصحة النفسية، الأردن، دار أسامة، ط 1، 2009 م، ص 34 .
⁴ عبد الخالق، أحمد محمد، أصول الصحة النفسية، مصر، دار المعرفة الجامعية، ط 3، 1413 هـ - 1993، ص 32 .
⁵ الخالدي، عطائه فواد، والعلمي، دلال سعد الدين، الصحة النفسية وعلاقتها بالتكيف والتوافق، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 1، 1430 هـ - 2009 م، ص 13 .

وترى النل¹ أن الصحة النفسية في الإسلام: حالة دائمة نسبياً من الشعور بالسعادة والعيش بسلام مع النفس ومع خالقها ومع الآخرين، وتشمل السعادة في الدنيا والآخرة، وتنتج هذه الحالة عن سواء الشخصية.

وقد قامت الحسين² بصياغة مفهوم للصحة النفسية لعله شمل كل ما قيل عن الصحة النفسية، فقد رأت أن الصحة النفسية تعني: الخلو من الأمراض المستعصية والأدواء الخطيرة (الجسمية والنفسية والعقلية) والكفاية الغذائية، والتوافق النفسي والاجتماعي والشعور بالأمان والاطمئنان النفسي، والقنرة على الحكم الصائب على الأشخاص والأشياء، والعمل وفق هذا الحكم، والاحساس بالمسؤولية (الشخصية والاجتماعية والوظيفية) والتكيف مع أحوال الحياة وتقلباتها المختلفة، والتفاعل الإيجابي مع الآخرين، ومن ذلك تبادل الحب والنصح بالنبي هي أحسن، ولين الجانب، والتعاون البناء معهم وحب الخير لهم كما هو حب الخير للذات، واستغلال طاقات الفرد والإفادة من إمكانياته في تحقيق أهداف واقعية وفي كل ما هو مفيد له ولمجتمعه والنظرة التفاؤلية، والشعور بالرضا والقناعة، وحب الله تعالى قولاً وعملاً واعتقاداً والاستسلام له، ومن ذلك الاجتهاد في اتباع أوامره، وجهاد النفس في تجنب معاصيه والرجوع إليه، والتوكل عليه، وترويض النفس على الصبر، واحتساب التكاليفات الشرعية والأزمات الحياتية الطارئة عنده سبحانه وتعالى، والحث على الدعوة في سبيله والحب والتحبیب فيه (فهو الهدف الأسمى الذي خلقت النفوس لأجله في هذه الحياة، وهو سبيل التوازن والتوافق والصحة النفسية والاطمئنان النفسي الحقيقي في الحياة رغم ما يعتريها من هموم وما جبلت عليه من أنكاد ومفاجآت).

¹ النل، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، ص 239 .
² الحسين، أسماء عبد العزيز، المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1423 هـ - 2002 م، ص 29 - 30 .

وتعرف الصحة النفسية كذلك على أنها: الخلو من الأمراض والاضطرابات النفسية،

والانحرافات السلوكية¹.

وتعرف أيضاً: على أنها القدرة على تحقيق التوازن بين مطالب البدن ومطالب الروح

بما يوافق الشرع².

ملاحظات الباحث على تعريفات الصحة النفسية:

جاءت بعض التعريفات ضيقة حيث حصرت مفهوم النفس في الشروط والظروف المحيطة بالإنسان، وهي أمور خارجة عن الإنسان، أو حصرتها بجانب واحد حين حصرتها البعض في الوظائف النفسية، بينما رأى آخرون أن الصحة النفسية هي المظاهر والانعكاسات، ففسروا الصحة النفسية بآثارها، وجمع آخرون بين مقومات الصحة النفسية ومفهومها وآثارها .

ولعل الخلط حصل نتيجة عدم التفريق بين معنى الصحة النفسية ومقوماتها ومظاهرها، فمقومات الصحة النفسية هي الأشياء التي تتركز عليها في وجودها، فهي بمثابة الأركان التي إن قامت عليها بشكل صحيح فإنها تؤتي ثمارها مظاهراً واضحة في حياة وفكر وسلوك الإنسان الصحيح نفسياً، إذن فالصحة النفسية شيء ومقوماتها شيء آخر، ومظاهرها أيضاً شيء آخر.

وعليه فيمكن للباحث صياغة التعريف التالي للصحة النفسية إذ هي: الالتزام التام

بالمنهج الرباني الذي أنزله الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ في كل مجال من مجالات الحياة

¹ ينظر: الرفاعي، نعيم، الصحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف، دمشق، جامعة دمشق، ط 7، 1987 م، ص 4 ؛ وغريب، عبد الفتاح غريب، مصر، جامع الأزهر، د . ط 1993 م، ص 27 ؛ والعنابي، حنان، الصحة النفسية، عمان، دار الفكر، د . ط 2000 م، ص 20 ؛ وفوزي، إيمان في الصحة النفسية، مصر، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 2001 م، ص 11 .

² نجاتي، محمد عثمان، مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم والحديث الشريف، نشرة الطب الإسلامي، الكويت، أبحاث وأعمال مؤتمر الطب الإسلامي الدولي الثالث المنعقد في اسطنبول عام 1984، العدد 3، المجلد 5، ص 507 - 518 ؛ ومريس، كمال إبراهيم، تعريفات الصحة النفسية وعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، الكويت، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، 1988 م، العدد 51 - 52، ص 157 ؛ والزهراوي، مسفر، التوجيه والارشاد من القرآن الكريم والسنة النبوية، السعودية - مكة، مطابع بهادر، ط 1، 1421 هـ ص 332 .

المختلفة وجعله الفيصل في كل أمر من الأمور، بحيث يصل الإنسان من خلال ذلك إلى حالة من الاستقرار والاطمئنان والارتياح والتفاعل والإيجابية والسعادة في الدنيا والآخرة .

وبناءً على ذلك لا يمكن أن تكون هناك صحة نفسية مع وجود عصياناً لله سبحانه وتعالى وخروجاً عن المنهج الذي رسمه الله سبحانه في كل مجالات الحياة لأن الخروج عن منهج الله سبحانه وتعالى ضئك ومعاناة وشدة، ولو بدا الأمر في ظاهره سعادة وهناء وصحة جسمية ومنطق سليم، وكلام حسن، وانسجام مع نفسه، والآخرين لأن هذا كله أمر ظاهري زائل لا يساوي شيئاً مقابل الراحة والاطمئنان والانسجام الذي يلاقيه الإنسان في حال التزامه بطاعة الله وبمنهج الله واستسلامه لخالفه جل وعلا إلى ذلك أشارت الآية القرآنية ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ لَعُدُّوا فَأَحْذَرَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُونِ ﴾ (المنافقون: 4)، قال الطبري¹: وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تعجبك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي وإن يتكلموا تسمع كلامهم أشبه منطقهم منطق الناس ﴿كَأَنَّهِمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ أي كان هؤلاء المنافقين خشب مسندة لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ضنهم، وقلة يقينهم كل صحة عليهم، لأنهم على وجل من أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبح للمؤمنين قتلهم، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَمْ يَكُونِ ﴾ أي أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 22، ص 653 .

قال اليعقوبي¹: قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني أن لهم أجساماً

ومناظر ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ فتحسب أنه صدق، قال عبدالله بن عباس: كان عبدالله

بن أبي جسيماً فصيحاً ذلق اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله، ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾

أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام، " مُسْنَدَةٌ " ممالاة إلى جدار، من قوله أسندت الشيء، إذا

ملته، والتثقيب للتكثير، وأراد أنها ليست بأشجار تثمر، ولكنها خشب مسندة إلى حائط.

قال الشوكاني²: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ أي: هيئاتهم ومناظرهم، يعني

أن لهم أجساماً تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق، ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾

﴿ فتحسب أن قولهم حق مصدق لفصاحتهم، وذلاقة ألسنتهم، وجملة ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾

مستأنفة لتقرير ما تقدم من أن أجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر، و﴿ مُسْنَدَةٌ ﴾ أي أنها

أسندت إلى غيرها ثم عابهم الله بالجبن فقال: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي يحسبون

كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم، نازلة لفرط جبنهم ورعب قلوبهم .

قال صاحب التسهيل³: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ يعني أنهم حسان

الصور، ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ يعني أنهم فصحاء الخطاب، ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ

مُسْنَدَةٌ ﴾ شبههم بالخشب في قلة افهامهم، فكان لهم منظر بلا مخبر .

¹ اليعقوبي، معالم التنزيل، ج 8، ص 130 .

² الشوكاني، فتح القدير، ج 7، ص 226 .

³ ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1973 م، ج 1، ص 2390 .

فلم يعتبر حسن المنظر وصحة الأجسام وسلامة النطق علامة على الصحة النفسية بل فضحهم القرآن الكريم وبيّن أنهم في حالة من الرعب الدائم، يحسبون أن كل صيحة عليهم فلا استقرار ولا راحة ولا اطمئنان، وإن بدا غير ذلك . ولذلك بين القرآن الكريم أن الشرك بالله سبب في الصراع والقلق وإهلاك الإنسان لنفسه ذلك الهلاك الذي يوصله إلى حالة من التشتت والانحطاط والضياع، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَلَمَّا خَرَ مِنَ السَّمَاءِ فَنَخَطِفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج: 31) .

قال الزمخشري¹: يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفروق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكانه يقول: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء، فاخطفته الطير فتفرق مزعاً في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة، وإن كان مفروقاً: فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة .

فأي صحة نفسية يجنيها المشرك بالله بعد هذا الوصف وبعد هذا التشبيه ولو عاش في أذ عيشه، فإن حياته في ضنك وتعب وإن ادعى غير ذلك، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) ﴾ (طه: 123 - 124) .

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 17، ص 695 .

قال الرازي¹: قال بعضهم المراد بالهدى: الرسل، وقيل القرآن والتحقيق أن الهدى عبارة

عن الدلالة فيدخل فيه كل ذلك، وفي قوله ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ دلالة على أن المراد

بالهدى الذي ضمن الله على اتباعه ذلك اتباع الأدلة، واتباعها لا يتكامل إلا بأن يستدل بها وبأن

تعمل بها، ومن هذا حاله فقد ضمن الله تعالى له أن لا يضل ولا يشقى ومنه ثلاثة أوجه:

أحدهما: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، وثانيها: لا يضل ولا يشقى في الآخرة،

وثالثهما: لا يضل ولا يشقى في الدنيا؛ فإن قيل: المتبع لهدى الله قد يلحقه الشقاء في الدنيا، قلنا:

المراد لا يضل في الدين ولا يشقى بسبب الدين، فإن حصل الشقاء بسبب آخر فلا بأس، ولما

وعد الله تعالى من يتبع الهدى اتبعه بالوعيد فمن أعرض فقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾

والذكر: القرآن، وقوله: ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾، فالضنك أصله الضيق والشدة، واعلم أن

هذا الضيق المتوعد به إما أن يكون في الدنيا أو في القبر أو في الآخرة أو في الدين، أو في

كل ذلك، وإما أنه في الدنيا، فقال به جميع المفسرين لأن المسلم بتوكله على الله يعيش في الدنيا

عيشاً طيباً كما قال تعالى: ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ (النحل: 97)، والكافر بالله يكون

حريصاً على الدنيا طالباً للزيادة أبداً، فعيشه ضنك وحالته مظلمة .

قال ابن كثير²: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ أي خالف أمري وما أنزلته

على رسولي أعرض عنه وتتأساه، وأخذ من غيره هداة، ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ أي في

الدنيا، فلا اطمئنان له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تتعم ظاهره

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 22، ص 110 - 111 .
² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 16، ص 187 .

ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبه يتردد، فهذا من ضنك العيش .

وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَلْمَاءِ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: 125) .

قال الطبري¹: أي فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به ويرسوله وما جاء به من عند ربه فيوفقه و ﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ فسح صدره لذلك وهونه عليه وسهله بلطفه ومعونته، حتى يستتير الإسلام في قلبه، فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول، ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ أي ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى يشغله بكفره وصدده عن سبيله ويجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجًا، والحرج: أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه، وهو هاهنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة ولا يدخله نور الإيمان لربين الشرك عليه . وقال تعالى في الأعراف: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: 96) . قال الطبري²: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ﴾ الذين أرسلنا إليهم رسلنا ﴿ آمَنُوا ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﷺ ﴿ وَاتَّقَوْا ﴾ واتقوا الله فخافوا عذابه بتجنبهم ما يكرهه من أعمالهم، والإنابة إلى ما يحبه منهم من العمل بطاعته ﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 541 - 549 .
² الطبري، جامع البيان، ج 10، ص 332 - 333 .

﴿: أي لأرسلنا عليهم من السماء الأمطار، وأنبتنا لهم من الأرض النبات، ورفعنا عنهم القحوط، وذلك من بركات السماء والأرض، ﴿ وَلَكِنْ كَذَّبُوا ﴾: أي بالله ورسله ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: أي فجعلنا لهم العقوبات بكسبهم الخبيث وعملهم الرديء وذلك بكفرهم بالله وآياته .

وقال تعالى أيضاً في سورة الجن: ﴿ وَالْوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا (16) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا (17) ﴾ (الجن: 16 - 17) .

قال الطبري¹: لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة ﴿ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾، يقول: لو سنعنا عليهم في الرزق وبسطنا لهم في الدنيا ﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ أي لنختبرهم فيه .

وقال تعالى في سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَهْرَارًا (12) ﴾ (نوح: 10 - 12) . فقد رتب الله سبحانه وتعالى رغد العيش وسعته وكثرة الأموال والأولاد والسعادة في الدنيا بملازمة الاستغفار لله سبحانه وتعالى، ومواصلة اللجوء إليه من الذنوب والمعاصي وذلك بالالتزام طاعته والسير على منهجه جل وعلا .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 23، ص 334 .

قال الرازي¹: اعلم أن الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات وأن الكفر سبب

لخراب العالم على ما قال في كفر النصارى « تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ

وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (90) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (91) » (مريم: 90 - 91). فلما كان

الكفر سبباً لخراب العالم وجب أن يكون الإيمان سبباً لعمارة الارض .

وقال تعالى أيضاً: « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ

قَدْرًا (3) » (الطلاق: 2-3) . قال الطبري²: من يخف الله فيعمل بما أمره به، ويتجنب ما

نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجاً بأن يعرفه بأن ما قضى فلا بد من أن يكون، ويسبب له

أسباب الرزق من حيث لا يشعر ولا يعلم .

وعليه فإن الصحة النفسية والراحة والطمأنينة والسعادة هي التزام منهج الله وطاعته في

كل ما أمر ونهى، ذلك لأن الإنسان إذا اشتغل بتحصيل المقصود من خلقه « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات: 56) حصل ما يحتاج إليه في الدنيا وما يسعده فيها وفي

الآخرة على سبيل التبعية . وإذا أعرض ونأى وسلم نفسه إلى هواها والشيطان، كان كما وصفه

الله في سورة الأنعام بقوله: « قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى

أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 651 .

² الطبري، جامع البيان، ج 23، ص 42 .

يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ (الأنعام: 71) .

أي أن صحة - النفس الإنسانية - تحقق من خلال العلم بالله وطاعته والانسجام مع سننه وقوانينه في الخلق وبيئتها الحرة، ووقايتها العدل، وعلاجها رسالات الإصلاح . وأدوات توفير هذه المقومات اللازمة للنفس الإنسانية تتمثل في التربية الصحيحة القائمة على الانسجام مع قوانين وسنن الخليقة أولاً وفي التوجيهات الإعلامية والثقافية المصلحة ثانياً، وفي الممارسات الإرادية العادلة المحافظة على كرامة الإنسان وحريةه ثالثاً، وأخيراً في شبكة العلاقة الاجتماعية القائمة على الموالة والأخلاق الفاضلة . والقرآن يسمي هذه العمليات التربوية " تزكية " لأنها تزكي النفس الإنسانية من استرفاق حاجات النفس البشرية، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) ﴾ (الشمس: 7 - 10)¹ .

ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون " الإنسان جعلت غرائزه ودوافعه وأهواءه وشهواته رعية تحت سلطة إرادته الحرة، ومنح بالإضافة إلى إرادته عقلاً يمكن أن يدرك فيه خيره وشره، وما ينفعه وما يضره، ليكون الموجه لإرادته والمحرك لعواطفه، فإذا استرشدت إرادته بعقله وكان إدراكه للأمور صحيحاً سليماً، استقامة سلوكه بمقدار سلامة وصحة إدراكه للأمور، وإذا تخالفت إرادته فخضعت لجهود أهوائه وغرائزه وشهواته ودوافعه ومطالب نفسه، كان كالأنعام بل كان أضل سبيلاً²، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ

¹ الكليني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 496 .

² ينظر، حبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص 29 .

لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ (الأعراف: 179) ، من هنا ندرك
أهمية الإيمان في توجيه إرادتنا إلى السلوك الحسن والأخلاق الكريمة ومتى غدت الأخلاق
راسخة ثابتة في نفوسنا، واطمأنت قلوبنا إليها، دلت على قوة الإيمان ورسوخه، وحين تضعف
الأخلاق فإنها علامة على ضعف الإيمان واضطرابه في النفس الإنسانية¹، وقوة رسوخ الأخلاق
دليل قاطع على وجود الصحة النفسية عند الشخص، وضعفها وعدم رسوخها دليل على المرض
النفسي، لأن من أهم أعراض الصحة النفسية حسن الخلق، كما أن من أهم أعراض الأمراض
النفسية سوء الخلق .

وعليه فإن العلاقة بين الإيمان والصحة النفسية علاقة طردية، فكلما زاد الإيمان وقوي
ازدادت الصحة النفسية عند الشخص وظهرت علاماتها، وكلما نقص الإيمان نقصت صحة
النفس وقل ظهور علاماتها، " ولأن الإيمان هو الركن الأساسي بدأ به الإسلام في تكوين
شخصية المسلم، لأنه هو الجذر الأول في بناء شخصيته، وهو العنصر الأساس المحرك لعواطفه
والموجه لإرادته، ومتى صحت عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه،
وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه،
وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة، العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له
الذفع واللذة والمصلحة، العاجل من كل ذلك والآجل"²، والإيمان يعصم عن الدنايا ويدفع إلى
المكرمات، ومن ثم فإن الله تعالى عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك
مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم وما أكثر ما يقول في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم

¹ حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ص 29-30 .
² ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبه، العقيدة الإسلامية، ص 29-30 .

ذكر -- بعد -- ما يكلفهم به « اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » (البقرة:

153)، وأشار الرسول ﷺ إلى مثل ذلك حين بيّن أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي، وأن

انهيار الأخلاق يرجع إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، فالرجل المعوج في السلوك الذي يقترب

الردائل غير مبال بأحد، يقول الرسول ﷺ في وصف حاله ¹ " إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرْنَا جَمِيعًا،

فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ " ² .

المبحث الخامس: مقومات الصحة النفسية:

يرى الباحث من خلال تعريفه للصحة النفسية أنها تقوم على المقومات التالية:

أولاً: الإيمان بالله سبحانه وتعالى رباً وخالقاً، وبأركان الإيمان الأخرى وهي الإيمان

بالملائكة والكتب والرسول والنوم الآخر والقدر خيره وشره، فالإيمان بالله تعالى رباً وخالقاً

ومعبوداً، يشعر الإنسان بالأمن والاستقرار النفسي و " وهو أعظم ما تزكوا به النفس " ³، وبه

يسخر للإنسان أعظم وأروع علاقة ارتباط بالله تعالى (علاقة الحب) ⁴، " فلا يشعر بالفزع

والخوف والهلع " ⁵، ويشعر بالطمأنينة على حاضره ومستقبله ونفسه وغيره لعلمه أن كل ما

يحصل في هذا الكون هو بتقدير الله الواحد الأحد جل وعلا فيرضى بما قسمه له بلا بأس ولا

قنوط ولا إحباط، فلا يفرح إذا مسه الخير فرحاً يوصله إلى الانشغال بالخير والنعمة عن المنعم،

ولا يقنط إذا مسه الشر لأنه يعلم أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، فتوجهه كله إلى

¹ حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق، ص 75 .

² الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، المستدرک علی الصحیحین، بیروت، دار الکتب العلمیة، ط 1، 1411 هـ - 1990 م، ج 1، ص 73، حدیث رقم: 58 ؛ البیهقي، شعب الإيمان، ج 10، ص 166، حدیث رقم: 7331، قال الألبانی: صحیح، البخاری، الأئب المفرد، باب الحیاء، ج 1، ص 445، حدیث رقم: 1313 .

³ الخیاری، عبدالله بن محمد، تهذیب کتاب علم السلوك لشوخ الإسلام أحمد بن تیمیة، صنعاء، دار المجد، ط 2، 1997 م، ص 27 .

⁴ أحمد، علي بهلول، منهج القرآن الكريم، في تحقيق الصحة النفسية، عمان، الدار العثمانية للنشر، ط 1، 1432 هـ - 2011 م، ص 85 .

⁵ ينظر، عيسوي، عبد الرحمن، الإيمان والصحة النفسية، مصر - الاسكندرية، المكتب العربي الحديث، د.ط، د.ت، ص 43 .

واحد أحد في أعماله وأقواله وأفعاله، وهو " ما يؤدي إلى أثر تركيبه في بناء شخصيته وتحقيق ذاته، فلا تتوزع مشاعره، ولا تنقسم نفسه، ولا تشتت همته"¹، لأنه لا يبتغي من كل أقواله وأعماله وحركاته وسكناته إلا رضا ربه جل وعلا، لا يأبه بما سواه " يمدّه الإيمان بطاقة روحية هائلة تعينه على تحمل مشاق الحياة وتجنبه القلق الذي يعد السبب الرئيس في نشوء إعراض الأمراض النفسية"²، " ويوقظ في نفسه الكثير من العواطف الإيجابية مثل: الحب، والرحمة، والتسامح والإيثار، والتضحية (رغم قسوة الحياة وجحود الآخرين)، وهذه العواطف، حين تغمر النفس تفيض عليها بسلام إيجابي (رغم صعوبة الحياة وقلقها)، وتجعل نفسه قابلة لاستقبال المزيد من معاني الخير والسلام (رغم الشر والعدوان) كما يوقظ الإيمان في نفسه الأمل وروح التفاؤل تجاه الحاضر (نتيجة الإيمان فيما أعده الله من خير ورحمة وجنات للمتقين)، أما الماضي بما فيه من أحداث وأخطاء مغلقة فإن المؤمن على يقين من مغفرة الله ورحمته (إن هو تاب واستغفر)، وهذا يريحه من انتقاص الماضي، ويعطيه الفرصة الدائمة لبدايات جديدة"³. وبعد هذا الإيمان والإقرار بوجود الخالق جل وعلا فإنه يندفع إلى الإيمان بكل ما جاء عن الخالق من الأنبياء والرسل والكتب السماوية ويؤمن إيماناً صادقاً بأن كل ما فيها من أخبار إنما هي الصدق ولا مجال للشك فيها بالرغم من عدم وقوعها تحت مرمى حواسه، فيؤمن بالغيب كله الذي جاء عن الله بما فيه من ملائكة ورسل وكتب ويوم آخر وبعث ونشور وجنة ونار وغير ذلك من الأمور الغيبية، فيتأثر بإيمانه بكل عنصر من عناصر الغيب بما يعود عليه بالمصلحة في دنياه وآخرته فالإيمان بالملائكة " يشعره بالأنس والأمان لأن الملائكة أولياء المؤمن وحفظته، والمدافعون عنه، والساعون في مصلحته، وأنصاره الداعون

¹ ينظر: الشريف، عدنان، من علم النفس القرآني، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1993 م، ص 95.

² ينظر: نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، مصر، دار الشروق، ط 7، 2001 م، ص 268.

³ المهدي، محمد عبد الفتاح، العلاج النفسي في ضوء الإسلام، مصر - المنصورة، دار الوفاء، ط 1، 1990 م، ص 99 وينظر: الحاج، سلوى عبدالله، الصحة النفسية من منظور إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، السودان، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، 1996 م، ص 35.

والمستغفرون له، يصلون عليه مادام في طاعة ربه وما دام يعلم الناس الخير ويبشرون بكرامة الله سبحانه وتعالى في منامه وعند موته ويوم بعثه¹، ويدفعه الإيمان بالملائكة إلى المزيد من إحسان السلوك تشبهاً بهم وخوفاً من الكتبه الذين يحصون على الناس أعمالهم ويسجلون كل صغيرة وكبيرة، مما يؤدي إلى العصمة من فعل السيئات، والانحراف والشذوذ، وبالتالي الوقاية من الاضطرابات النفسية المعلقة²، وأن إيمانه باليوم الآخر يزوده بالطاقة الكافية التي تمكنه من الإصرار على الأعمال الخيرة والاستمرار بها والدعوة إليها مهما حصل، لأنه يعلم أن في ذلك اليوم سيكون الحساب والجزاء والعدل الرباني المطلق .

ثانياً: الالتزام بأوامر الله ونواهيه، وذلك بفعل الطاعات وعلى رأسها العبادات التي وردت على هيات خاصة وبأزمان خاصة وكيفيات خاصة . من ذلك إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرها . يشمل كذلك كل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بنفسه وبمن حوله من أسرته وجيرانه والمجتمع ككل، والمعاملات ومأكله ومشربه وغير ذلك مما ذكر في سورة الأنعام، فمثلاً بعلاقة الإنسان إذا قام الإنسان بالعبادات فإن ثمارها ستعود عليه أمناً واطمئناناً، وتربية لسلوكه وأفكاره ومشاعره، فإذا التزم بالصلاة تعود على النظام واحترام النظام ومارس الخشوع وابتعد عن الكبر وشعر بالأنس مع الجماعة وقويت عزيمته بوجوه فرداً من جماعة المسلمين، فإذا قام بالزكاة طهر نفسه من الشح والبخل وتعود الإنفاق وشعر مع المسلمين المحتاجين فترتقي نفسه في مدارج الكمال الإنساني، وبالصوم يتعود الإنسان على الصبر وكبح جماع نفسه وعدم الجري وراء شهواتها وملذاتها، ويشعر كذلك بالأنس والوحدة مع جماعة المسلمين من خلال الالتزام بأوقات محددة للطعام والشراب وفي أدائه لفريضة الحج فإنه يعود نفسه على المسارعة في تلبية نداء ربه بعيداً عن ملذات الدنيا وشهواتها، ويربطه

¹ ينظر: ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، د. م، دار الفكر، د. ط، د. ب، ج 2، ص 130 .
² ينظر: البقري، أحمد ماهر، العمل والقيم الخلقية، مصر - الإسكندرية، المكتب الجامعي، د. ط 1988 م ص 57 ؛ وقادري، عبدالله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، السعودية - جدة، دار المجتمع، ط 1، 1988 م، ص 57 .

الحج باليوم الآخر من خلال مناسكه وهيناته، ويتعود العمل الجماعي والصبر على مفارقة الأهل والأصحاب وبذلك ترتقي نفسه وتبقى على ارتباط دائم مع خالقها جل وعلا فلا يتطرق إليها اليأس ولا القنوط ولا الصراع إنما ينتابها دائماً الشعور بالعزة والاستعلاء ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 139) . وأما عن تنظيم علاقة الإنسان مع من حوله فإنه يعلم كيف يعامل من حوله من أبناء جنسه ويغرم من الكائنات والجمادات، فعن أبناء جنسه فإنه يعلم حقوق الوالدين والزوجة والأولاد، والإخوة والأخوات والجيران والأصدقاء، وحقوق المجتمع كله، فلا يطغى في استعمال حقه ولا يقصر في أداء واجبه، بل ولا ييأس لما يلاقيه من سوء معاملة أو عدم التزام غيره بالمنهج الرباني في معاملته، بل يدفعه هذا إلى مزيداً من الالتزام بالمنهج الرباني لأنه يعلم أنه لن يغلب من عصا الله فيه بأكثر من أن يطيع الله فيه، وأما من حوله من غير أبناء جنسه فإنه يلتزم بالسنن والقوانين التي وصفها الله له في التعامل معها، فلا يسرف في استعمالها ولا يعاملها في غير ما شرع الله سبحانه وتعالى له في معاملتها إنما يلتزم بالمنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى له في تعامله مع كل ما حوله من كائنات حية وجمادات، مراعيًا بذلك أنها وجدت لمصلحته، وسخرت له لكي يستطيع أن يؤدي دوره من خلال الانتفاع بها على هذه الحياة بالشكل الصحيح الذي أراده الله له، وبذلك يشعر بالكرامة، والعزة، والأنس، ويحصل على مزيداً من الهدوء النفسي والاستقرار والاطمئنان فلا خوف ولا قلق ولا توتر .

ثالثاً: التخلق بالأخلاق الإسلامية والالتزام بها قولاً وسلوكاً وعملاً، وذلك في دوائر

حياة الإنسان كلها ابتداءً من نفسه ثم من حوله دائرة الأسرة، ثم دائرة المجتمع . فيتخلق الإنسان المسلم بالأخلاق الحميدة ويأمر بها ويتمثلها بحيث تصبح سجية من سجايها، ويبتعد

عن الأخلاق الذميمة ويحذر منها ويبين خطورتها على الفرد والمجتمع، ذلك لأن الإنسان الذي التزم بمنهج الله سبحانه وتعالى في أقواله وأفعاله وتصرفاته واقتدى بهدي نبيه محمد ﷺ فإنه لا يصدر عنه من الأخلاق إلا أحسنها ومن السلوك إلا أجمله أرقه فيعامل الناس كما يحب أن يعاملوه ملتزماً بالصدق والأمانة والوفاء بالعهد والصبر وتحمل المشاق وغيرها من الأخلاق الإسلامية الحميدة التي يتعلمها الإنسان من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والتي تجعل نفسه مطمئنة راضية، محبوباً من قبل الخالق والخلق، ومتقبلاً من قبل الجميع بما يشعر بالراحة والاطمئنان والرضا مزيداً من الأقبال على الناس وحبهم، وبابتعاده عن ذميم الأخلاق ومفاسدها فإنه يزداد جمالاً في عيون الناس ويزداد منهم محبة وألفة وتواصل فيأنس ويؤنس فلا يشعر بالوحدة والانطواء والسلبية .

المبحث السادس: مظاهر الصحة النفسية:

إن الإنسان إذا آمن بالله رباً وخالقاً ووحده إلهاً ومعبوداً، والتزم بتعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً فإنه يبدأ بالارتقاء في درجات الكمال الإنساني ذلك لأن الإيمان هو الركن الأساس الذي يكون شخصية المسلم فهو العنصر الرئيس المحرك لعواطفه والموجه لإرادته، ومتى صحة عناصر الإيمان في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه وكان أطوع للإستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه وضبطها فيما يدفع عنه الضرر والألم والمفسدة العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له المنفعة واللذة والمصلحة العاجل من ذلك والآجل¹، فكلما ازداد تمسكاً وعملاً وإخلاصاً كلما ارتقت وعلت منزلته بين منازل ودرجات الإسلام والإيمان والإحسان، وإن كل ذلك يظهر آثاراً في نفسه وعلى جوارحه بحيث يصبح

¹ ينظر: الميداني، عبدالرحمن حسن حبلكه، العقيدة الإسلامية، ص 29 - 30 .

سوي النفس، عظيم الأخلاق مستقيماً في أقواله وأفعاله، بما يشكل في مجموعه علامات واضحات دالة على صحته النفسية بما يسمى مظاهر الصحة النفسية .

المطلب الأول: مظاهر الصحة النفسية في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام للعديد من المظاهر أو العلامات أو الدلالات على الصحة النفسية، من ذلك:

أولاً: حسن الخلق: ذلك لأن أول علامة من علامات قوة الإيمان عند الإنسان حسن الخلق وقوته ورسوخه وثباته، والصحة النفسية والخلق متلازمان كما أن سوء الخلق والمرض النفسي قرينان، فلا يصح أن يكون الإنسان صحيح النفس سيء الخلق، أو مريض النفس حسن الخلق، فهما ضدان لا يلتقيان أبداً . والأخلاق والإيمان قرناء أيضاً، وعليه يكون من أول مظاهر الصحة النفسية حسن الخلق، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون " الإنسان جعلت غرائزه ودوافعه وأهوائه وشهواته رعية تحت سلطة إرادته الحرة، ومنح بالإضافة إلى إرادته عقلاً يمكن أن يدرك فيه خيره وشره، وما ينفعه وما يضره، ليكون الموجه لإرادته والمحرك لعواطفه، فإذا استرشدت إرادته بعقله وكان إدراكه للأمور سليماً، استقام سلوكه بمقدار سلامة وصحة إدراكه للأمور، وإذا تخاذلت إرادته فخضعت لجهود أهوائه وغرائزه وشهواته ودوافعه ومطالب نفسه، كان كالأنعام بل كان أضل سبيلاً"¹، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف: 179) ، " من هنا ندرك أهمية الإيمان في توجيه إرادتنا إلى السلوك الحسن

¹ ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حنكته، العقيدة الإسلامية ، ص 29 .

والأخلاق الكريمة ومتى غدت الأخلاق راسخة ثابتة في نفوسنا، واطمأنت قلوبنا إليها، دلت على قوة الإيمان ورسوخه، وحين تضعف الأخلاق فإنها علامة على ضعف الإيمان واضطرابه في النفس الإنسانية¹، وقوة ورسوخ الأخلاق دليل قاطع على وجود الصحة النفسية عند الشخص، وضعفها وعدم رسوخها وغيابها دليل على المرض النفسي لأن من أهم أعراض الصحة النفسية حسن الخلق، كما أن أهم أعراض الأمراض النفسية سوء الخلق، والإيمان يعصم عن الدنيا ويدفع إلى المكرمات، ومن ثم فإن الله تعالى عندما يدعو عباده إلى خير أو ينفرهم من شر، يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر في قلوبهم، وما أكثر ما يقول في كتابه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ثم ذكر - بعد - ما يكلفهم به ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: 153)، وأشار الرسول ﷺ إلى مثل ذلك حين بين أن الإيمان القوي يلد الخلق القوي، وأن انهيار الأخلاق يرجع إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، فالرجل المعوج السلوك الذي يقترف الرذائل غير مبال بأحد، يقول الرسول ﷺ في وصف حاله² « إِنَّ الْحَيَاءَ وَالْإِيمَانَ قُرْنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ »³.

وقد ورد في سورة الأنعام العديد من الآيات التي تذكر صفات المؤمنين المتخلفين بالأخلاق الحسنة، دلالة على ما يتمتعون به من إيمان قوي مما أوصلهم إلى ما هم عليه من الصحة النفسية، من ذلك:

1. الخوف من الله سبحانه وتعالى والمراقبة لله في السر والعلن، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِيَّايَ

أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الأنعام: 15).

¹ حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، ص 74.

² حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق، ص 75.

³ الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ج 1، ص 73، حديث رقم: 58؛ البيهقي، شعب الإيمان، ج 10، ص 166، حديث رقم: 7331؛ البخاري، الأدب المفرد، باب الحياء، ج 1، ص 445، حديث رقم: 1313، قال الألباني: صحيح.

ب. الرضا بأقدار الله وقبولها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا

هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنعام: 17).

ت. الاستجابة السريعة لأوامر الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ

يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: 36).

ث. الإيمان وصلاح الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام: 48).

ج. الأخلص لله في الأقوال والأعمال والنيات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162).

ثانياً: الشعور بالأمن:

فإن المؤمن بالله آمن على نفسه وعلى حياته وعلى ماله بعد الممات، لا يخشى مع الله

شيء، ولا يضره شيء، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في محابته لقومه: ﴿

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ

سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 81).

قال الطبري¹: يعني: أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادة ربي مخلصاً له العبادة حنيفاً له

ديني، بريئاً من عبادة الأوثان والأصنام، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله

لكم بعبادتهم إياهم برهاناً ولا حجة .

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 366 .

قال ابن عاشور¹: عطف جملة « وَكَيْفَ أَخَافُ » على جملة « وَلَا أَخَافُ مَا

تُشْرِكُونَ بِهِ » (الأنعام: 80)، ليبين لهم أن عدم خوفه من آلهتهم أقل عجباً من عدم خوفهم

من الله تعالى، وهذا يؤذن بأن قومه كانوا يعرفون بربهم المعترف به دون أن ينزل عليهم

سلطاناً بذلك، و« وَكَيْفَ » استفهام إنكاري، لأنهم دعوه إلى أن يخاف بأس الآلهة فأنكر هو

عليهم ذلك، وقلب عليهم الحجة، فأنكر أنهم لم يخافوا الله حين أشركوا به غيره بدون دليل بنعته

لهم فجمعت « كَيْفَ » الانكار على الأمرين . قوله: « وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ » فخوفه

من آلهتهم منكر، وعدم خوفهم من الله منكر ويجوز أن تكون الواو للحال فيكون محل الانكار

هو دعوتهم إياه إلى الخوف من آلهتهم في حال إعراضهم عن الخوف فمن هو أعظم سلطاناً

وأشد بطشاً . فتفيد « كَيْفَ » مع الانكار معنى التعجب، ولا يقتضي ذلك أن تخويفهم إياه من

أصنامهم لا ينكر عليهم إلا في حال إعراضهم عن الخوف من الله، لأن المقصود على هذا

انكار تحميق ومقابلة حال بحال، لا بيان ما هو منكر وما ليس بمنكر، بقرينة قوله في آخره

« فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ »، وهذا الوجه أبلغ، وفي قوله: « أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ » تفریع على

الانكار، والتعجب فرع عليهما استفهاماً ملجئاً إلى الاعتراف بأنهم أولى بالخوف من الله من

إبراهيم من آلهتهم، والاستفهام بـ « أَيُّ » للتقرير بأن فريقه هو وحده أحق بالأمن .

قال المراغي²: الفريقان: فريق الموحدين الذين يعبدون الله وحده ويخافونه ويرجونه

دون غيره، وفريق المشركين الذين استكبروا فاتخذوا ما اتخذوا من الآلهة والأرباب، ونسبوا

إلى بعضها النفع والضرر، كالشمس والقمر والملائكة - أي فأَيُّ هذين الفريقين أحق وأجد

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 185 - 187 .

² المراغي، تفسير المراغي، ج 7، ص 174 - 178 .

بالأمن على نفسه من عاقبة عقيدته وعبادته ونكته التعبير بـ «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ» دون أن يقول

فأينا أحق بالأمن - الإشارة إلى أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشارك، لا خاصة به وبهم .

قال محمد رشيد رضا¹: المراد بالفريقين: فريق الموحدين والحنفاء الذين يعبدون الله

وحده، ويخافونه ويرجونه، ولا يخافون ولا يرجون غيره من دونه، وإنما يعارضون الأسباب

بالأسباب، ويدافعون الأقدار بالأقدار، كالتقاء أسباب الأمراض قبل وقوعها، ومدافعتها بالأدوية

بعد الابتلاء بها، وفريق المشركين الذين استكبروا تأثير بعض الأسباب، فاتخذوا منها ما اتخذوا

من الآلهة والأرباب . فهو يقول: أي الفريقين أحق وأجدر بالأمن على نفسه عاقبة عقيدته

وعبادته ؟ والتعبير بـ «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ» هي بيان أن هذه المقابلة عامة لكل موحد ومشارك،

لا خاصة به وبهم .

يتضح من ذلك أن نعمة الأمن من النعم الهامة في حياة الإنسان، وأنه مهما حاول

الحصول عليها فإنه لا يحصل عليها إلا من خلال التزامه بعبادة ربه وحده لا شريك له،

والاعتماد عليه في كل صغيره وكبيره، ذلك لأن الله حسبه وكافيه، عندها يتحقق له نعمة الأمن

النفسي الذي لا قلق فيه لا على ماضٍ فات ولا حاضرٍ يعيشه ولا على مستقبلٍ جهله، فإن

المسلم المعتمد على الله لا يشغله ماضيه إلا بالقدر الذي يرسم فيه من خلاله حاضره ومستقبله،

وإن اهتمامه يكون بتحسين حاضره والاستزادة فيه من القرب إلى ربه جل وعلا بكل أنواع

القربات الخاصة والعامة . القربات الخاصة به من صلاة وصيام وحج وغيرها، والقربات

العامة التي يحصل عليها من خلال تفاعله مع البيئة والمجتمع الذي يعيش بحيث يجعل حياته

كلها عبادة لله سبحانه وتعالى، فلا يفعل ولا يترك ولا يحب ولا يكره ولا يوالي ولا يعادي إلا

ابتغاء مرضاة الله، وطمعاً بما عنده، راجياً رحمته ويخاف عذابه وعقابه، فهو بذلك مطمئن

¹ رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 478 - 482 .

على حاضره مندفعاً فيه بإيجابية وتغاول بعيداً عن القنوط والخوف والتشاؤم، وأما عن مستقبله فهو مطمئن إليه لا يخشى شيئاً إلا الله ومكره، لذلك يحرص على الالتزام بطاعة الله وبالإسلام لكي يضمن الموت عليه آخذاً بأمر الله تعالى حين قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 102) . فهو دائم الحرص للحصول على هذه الجائزة وهذا الفوز العظيم وذلك بنيل الكرامة الربانية وهي الثبات على هذا المنهج عند الموت، الثبات على كلمة التوحيد لكي يكون من الفائزين بالآخرة عند الله سبحانه وتعالى من خلال التزامه بالتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وعدم الشرك به جل وعلا، ثم الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه فيتحرى على أن يبقى مسلماً موحداً لله في حال حياته ليضمن بإذن الله الموت عليه، فيحقق بذلك الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة عند ربه جل وعلا .

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: 82) .

فقد قصر الله الأمن على المؤمنين المخلصين بإيمانهم و" هو قصر طريقة التقديم فلا أمن إلا لهم، ولا اطمئنان إلا لنفوسهم"¹، ولذلك قيل أن الصحة النفسية والإيمان متلازمان تلازماً لا انفصل، فنادر ما نجد مؤمناً حقاً يشكوا من صحته النفسية²، وهذه من المسلمات التي لا تحتاج إلى دليل³ .

قال الطبري⁴: قال الله تعالى فاصلاً بين محاجة إبراهيم وقومه ؛ أن الذين صدقوا الله، وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له ﴿ بِظُلْمٍ ﴾ يعني شرك، ولم يشركوا

¹ مرسى، عبد الحميد، النفس المطمئنة، مصر، دار توفيق، ط 1، 1983 م، ص 54 .
² الموصلي، سامي أحمد، العلاج الإيماني في الطب النفسي، بيروت، دار النفاذ، ط 1، 2001 م، ص 11 .
³ المهدي، العلاج النفسي في ضوء الإسلام، ص 98 - 99 .
⁴ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 368 .

في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصاً، أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأصنام والأوثان، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم، أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله .

قال القرطبي¹: قوله: « فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ » أي من عذاب الله، الموحّد أم المشرك، فقال الله قاضياً بينهم: « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » أي: بشرك، كما قال لقمان لابنه: « يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (لقمان: 13) .

قال الزمخشري²: أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم، وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس .

فالقائمون على التوحيد المخلصين لله بكل أنواع العبادة لا يشركون معه شيئاً، الملتزمين بشرعه جل وعلا، المؤتمرين بأوامره المنتهين عن نواهيه المتقين له بالسِر والعلن، هم الآمنون في الدنيا والآمنون في الآخرة . فالآية تدل دلالة واضحة على أن التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى وامتنال أوامره واجتناب نواهيه أي (تقوى الله عز وجل) هو سبب الأمن، وأن الشرك وما يتصل به من منكرات وعصيان سبباً في انتفاء الأمن . وبالتالي الشقاء والتعاسة والضنك وإن بدا الأمر غير ذلك في بعض الأحوال .

قال رشيد رضا³ في أثناء تفسيره للآية: ثم لا يخفى أن الأمن في الآية مقصور على الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، فإذا حمل العموم فيها على إطلاقه وعدم مراعاة موضوع الإيمان يكون المعنى: الذين آمنوا ولم يخالطوا إيمانهم بظلم ما لأنفسهم - لا في إيمانهم ولا في

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج 7، ص 30

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 335 .

³ رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 483 .

أعمالهم البدنية والنفسية من دينية ودنيوية، ولا بغيرهم من المخلوقات، من العقلاء والجمادات - أولئك لهم الأمن من عقاب الله تعالى الديني على ارتكاب المعاصي والمنكرات وعقابه الدنيوي على عدم مراعاة سننه في ربط الأسباب بالمسببات، كالفقر والأسقام والأمراض، دون غيرهم ممن ظلموا أنفسهم أو غيرهم فإن الظالمين لا أمان لهم، بل كل ظالم عرضه للعقاب وإن كان الله لسعة رحمته لا يعاقب كل ظالم على كل ظلم، بل يعفو عن كثير من الذنوب الدنيا، ويعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء في الآخرة ما دون الإشراك به .

ثالثاً: الراحة والاطمئنان والاستقرار النفسي والاهتداء وحسن التعامل مع الآخرين:

ذلك لأن المتبع لشرع الله ودينه فإنه على بينة من ربه يعلم ما له وما عليه في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، يعلم كيف يعامل ربه ثم كيف يتعامل مع نفسه وكيف يعامل الآخرين من حوله من أحياء وجمادات، كلاً حسب النظام الذي وصفه الله له للتعامل معه من خلاله ليس في حياته شيء مجهول، فهو يعيش في ضوء الشمس، يعلم أمر الدنيا عن حق وصدق من خالقها جل وعلا، ويعلم أمر الآخرة وأمر الغيب بالخبر الصادق فهو على يقين من أن هذه الحياة الدنيا بما فيها من متاع وخيرات إنما هي دار ممر لا دار مقر، وهي دار امتحان وابتلاء وطريق إلى الدار الآخرة التي هي دار القرار ودار الجزاء والحساب فيعمل في دار العمل ليجد الثواب في دار الحساب، في حين أن غير المتبع لشرع الله سبحانه وتعالى يبقى في حيرة وتخبط وعدم اتزان منتقلاً من حال إلى حال غير مستقر وغير مطمئن ولا مرتاح لأنه لا يتبع إلا الظن فهو في ضلال دائم .

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ (الأنعام: 116) .

قال الطبري¹: أي لا تطعمهم فيما دعوك إليه، فإنك إن تطعمهم ضللت ضلالهم وكنيت

مثلهم، لأنهم لا يدعونك إلى الهدى وقد أخطأوه فهم من أمرهم عن ظن عند أنفسهم، وحسبان

على صحة عزم عليه وإن كان خطأ في الحقيقة وما هم إلا منخرصون يظنون ويوقعون حرزاً

لا يقين علم .

قال ابن عاشور²: الخطاب للنبي ﷺ والمقصود به المسلمون مثل قوله تعالى: ﴿ لَنْ يَكُنُ

أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ (الزمر: 65)، والظاهر أن المشركين لما آيسوا من ارتداد

المسلمين، جعلوا يلقون على المسلمين الشبه والشكوك في أحكام دينهم، لذلك حذر الله المسلمين

من هؤلاء وثبتهم على أنهم على الحق وإن كانوا قليلاً، وسبب الأكثرية أن الحق والهدى يحتاج

إلى عقول سليمة، ونفوس فاضلة وتأمل في الصالح والضار، وتقديم الحق على الهوى، والرشد

على الشهوة، ومحبة الخير للناس، وهذه صفات إذا اختل واحد منها تطرق الضلال إلى النفس

بمقدار ما انتظم من هذه الصفات، واجتماعها في النفوس لا يكون إلا عن اعتدال تام في العقل

والنفس، وذلك بتكوين الله وتعليمه، وهي حال الرسل والأنبياء، أو عن اقتداء بمرشد معصوم

كما كان عليه أصحاب الأنبياء والرسل وخيرة أممهم . وبين الله سبب ضلالهم وإضلالهم: بأنهم

ما يعتقدون ويدينون إلا عقائد ضالة، وأدياناً سخيطة، ظنوها حقاً لأنهم لم يستقرغوا في ترسم

أدلة الحق فقال: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾، والظن في اصطلاح القرآن: هو الاعتقاد المخطئ

عن غير دليل الذي يحسبه صاحبه حقاً صحيحاً . وقوله: ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾ استئناف

بياني، نشأ عن قوله: ﴿ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فبين سبب ضلالهم، أنهم اتبعوا الشبهة،

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 509 .

² ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 18 - 23 .

من غير تأمل في مفاسدها، فالمراد بالظن: ظن أسلافهم، كما أشعر به ظاهر قوله: «يَتَّبِعُونَ»

. وجملة «وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» عطف على جملة «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» ووجود

حرف العطف يمنع أن تكون هذه الجملة تأكيد للجملة التي قبلها أو تفسيراً لها، فتعين أن المراد

بهذه الجملة غير المراد بجملة «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ»، وقوله: «وَأِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ»

«قِيلَ يَكْذِبُونَ فِيمَا ادَّعَوْا أَنْ مَا اتَّبَعُوهُ يَقِين، وَقِيلَ: الظَّن: ظنهم أن آباءهم على الحق،

والخرص: تقديرهم أنفسهم على الحق، والخرص: الظن الناشئ عن وجدان النفس مستند إلى

تقريب، ولا يستند إلى دليل يشترك العقلاء فيه .

وقال تعالى أيضاً: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»

(الأنعام: 122) .

قال ابن كثير¹: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً: أي في الضلالة هالكاً

حائراً، فأحياه الله، أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووقفه لاتباع رسله «وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» أي: يهتدي كيف يسلك وكيف يتصرف به، والنور هو القرآن، وقيل

الإسلام، «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ» أي الجهالات، والأهواء، والضلالات المتفرقة «

لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» أي لا يهتدي إلى منقذ ولا مخلص مما هو فيه .

¹ ابن كثير المشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 192 .

فالمؤمن متبع لنور الله وعلى بينة من أمره مستقر النفس مرتاح، يعمل بإيجابية لتحقيق هدف سام في الدنيا والآخرة، وغير المؤمن يتخبط في الظلمات لا يعلم إلى أين يسير وما هي النهاية.

يقول الطبري¹: من كان كافراً، جعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوجيهه وشرائع دينه، بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه **﴿ فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾** أي فهديناه للإسلام، فأنعشناه، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ويعمل في خلاصها من سخط الله وعقابه في معاده، فجعل إبصاره الحق - تعالى ذكره - بعد عماء عنه، ومعرفته بوحداية وشرائع دينه يعد جهله بذلك، حياة وضياء يستضيء به، فيمشي على قصد السبيل ومنهج الطريق في الناس **﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾** لا يدري كيف يتوجه وأي طريق يأخذ لشدة ظلمة الليل وإضلاله الطريق، فكذلك هذا الكافر الضال في ظلمات الكفر لا يبصر رشداً ولا يعرف حقاً .

قال القرطبي²: هي عامة في كل مؤمن وكافر، وقيل كان ميتاً بالجهل وأحييناه بالعلم، والنور: الهدى والإيمان .

قال محمد رشيد رضا³: معنى الآية: أوَمَّنْ كان ميتاً بالكفر والجهل فأحييناه بالإيمان وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس - وهو نور القرآن وما فيه من العلم الإلهي والهداية بالآيات إلى العلم النظري - كمن مثله أي كمن صفتة ونعته الذي يمثل حاله هو أنه خابط في ظلمات الجهل والتقليد الأعمى وفساد الفطرة ليس بخارج منها، لأنها قد أحاطت به وألفتها نفسه

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 532 - 533 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 78 .

³ رضا، تفسير المنار، ج 8، ص 25 - 26 .

فلم يعد يشعر بالحاجة إلى الخروج منها إلى النور، وهذا المثل عام يشمل كل من ينطبق عليه
في ومن التنزيل وغيره ،

فصحيح النفس يحسن معاملة الناس لأنه ينطلق في معاملتهم من خلال النور الذي جعله
الله له ليمشي به بين الناس، نور القرآن ونور الإسلام ونور الهداية الذي من خلاله يعرف
حقوق الآخرين عليه وكيف يعاملهم ويعرف حدود نفسه معهم .

رابعاً: سكون النفس والإقبال على الخير، وتقبله، والثبات عليه، والنفور من الشر
وكرهه. قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ (الأنعام: 125).

قال الزمخشري¹: أي فمن يريد الله أن يطف به ولا يريد أن يطف إلا بمن له
لطف ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أي يطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه
ويحب الدخول فيه.

قال الطبري²: أي فسح صدره لذلك وهونه عليه وسهله له بلطفه ومعونته، حتى يستتير
الإسلام في قلبه، فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول .

قال ابن عطية الأندلسي³: (شرح الصدر) هو تسهيل الإيمان وتحببته وإعداد القلب
لقبوله وتحصيله وعبر بالإسلام إذ هو أعم، وأدنى الهدى حب الأعمال وامتنال العبادات .

قال الرازي⁴: من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام حتى يثبت عليه ولا يزول
عنه، وتفسير هذا الشرح هو أنه تعالى يفعل به ألطافاً تدعوه إلى البقاء على الإيمان والثبات
عليه وفي هذا النوع ألطاف لا يمكن فعلها بالمؤمن إلا بعد أن يصير مؤمناً، وهي بعد أن

¹ الزمخشري، الكشاف، ج 8، ص 345 .

² الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 541 .

³ ابن عطية الأندلسي، محمد عبد الحق، المحرر الوجيز، ج 2، ص 468 .

⁴ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 138 .

يصير الرجل مؤمناً يدعوهُ إلى البقاء على الإيمان والثبات إليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ (التغابن: 11)، وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

﴾ (العنكبوت: 69)، فإذا آمن عبد وأراد الله ثباته فحينئذٍ يشرح صدره، أي يفعل به الألفاظ

التي تقتضي ثباته على الإيمان ودوامه عليه .

خامساً: الاعتزاز بالدين والدعوة إليه وإخلاص التوجه إلى الله سبحانه في كل صغيرة

وكبيرة، معلناً شكره لله سبحانه وتعالى أن جعله من المسلمين، فهو بذلك تميز عن غيره من

المشركين الضالين، ولذلك فإنه إنساناً اجتماعياً إيجابياً فاعلاً، متفاعلاً مع غيره يصبر على ما

يصبه من أذى نتيجة الالتزام بدينه والدعوة إليه، ومعاملته اخوانه من المسلمين وغيرهم، وأن

محياه ومماته لله رب العالمين . قال تعالى: ﴿ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا

قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي

وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُسْلِمِينَ (163) ﴾ (الأنعام: 161 - 163) .

قال محمد رشيد رضا¹: هذه الآيات جاءت خاتمة لسورة الأنعام بالأمر الأخير له ﷺ بأن

يقول لهم القول الجامع لجملة ما قبله، وهو أن ما فصل في السورة هو صراط الله المستقيم،

ودينه القيم الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام، دون ما يدعيه العرب المشركون، وأهل الكتاب

المحرّمون، وأنه عليه صلوات الله وسلامه إنما يدعوا إليه وهو معتصم به قولاً وعملاً وإيماناً

وتسليماً على أكمل وجه، فهو أول المسلمين وأخلص الموحدين، وأن المرجع إلى الله وحده،

أن هذا الصراط المستقيم هو الطريق المستقيم الذي يصل ساكنه إلى سعادة الدارين من غير

¹ رضا، تفسير المنار، ج 8، ص 210 - 213 .

عائق وتأخير لأنه لا عوج فيه ولا اشتباه، وهو الذي أدعوكم إليه، أي هذا الصراط المستقيم هو

الدين الذي يصلح ويقوم به أمر الناس في المعاش والمعاد، و﴿ حَلِيفًا ﴾ أي مائلاً عن جميع ما

سواه من الشرك، والباطل والعوج والضلال مستقيماً عليه، وأن الحنفية تنافي الشرك، ﴿ وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

قال الرازي¹: في قوله ﴿ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾: اعلم أنه تعالى كما عرفه

الدين المستقيم عرفه كيف يقوم به ويؤديه فمقولة قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله

رب العالمين يدل على أنه يؤديه مع الإخلاص، وأكدته قوله: ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ وهذا يدل أنه

لا يكفي في العبادات أن توتى بها كيف كانت، بل يجب أن توتى بها مع تمام الإخلاص والنسك

كل ما تقربت به إلى الله تعالى إلا أن الغالب عليه في العرف الذبح وقوله: ﴿ وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي ﴾ أي حياتي وموتي لله، ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ أي المستسلمين لقضاء الله وقدره.

المطلب الثاني: المرض النفسي:

إن اختلال أي مقوم من مقومات الصحة النفسية يقود الإنسان إلى حالة من المرض

النفسي، ولبيان ذلك لا بد من الإشارة إلى مفهوم المرض النفسي، وبيان أمثلة عليه من سورة

الأنعام .

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 190 - 191 .

المرض النفسي: خروج الإنسان عن المنهج الذي رسمه الله سبحانه وتعالى له في كتابه

وسنة نبيه ﷺ في علاقته مع ربه ونفسه والآخرين، والكون من حوله، وذلك بصياغة منهجاً خاصاً به متبعاً به هوى النفس والشيطان مخالفاً منهج الله سبحانه وتعالى، إما جملةً أو تفصيلاً بنية حسنة أو غير ذلك .

"ويعتبر القرآن الكريم اتباع هوى النفس أساساً لكل أمراض النفس ومعوقات تزكيتها، فالنفس تهوى وتحب، ولها غرائز ورغبات ومشتهيات، والإسلام لا يجابه هذه الرغبات والغرائز وإنما ينظمها لتسير في طريق مأمون يحقق السعادة، ويوصل إلى تزكية النفس وتحليها بالأخلاق الفاضلة، فإذا جعل المرء من هوى النفس قائداً يقوده، واتبع ذلك الهوى بلا وازع ولا ضابط، فقد سلك سبيل الردى، ولم يبق أمام الأمراض والمعوقات أي مانع يمنعها من التغلغل في أعماق النفس حتى يحل به الهلاك ولو كان في عداد الأحياء، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِثَابَ غِشَاوَةٍ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: 23)، وقال: ﴿ وَلَا تُطْعَمَنْ أَوْغُلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (الكهف: 28)، وقال: ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: 50)، فلا نجاة للعبد ولا سلامة له من أمراض النفس وآفاتهما إلا بأن يجعل هوى نفسه تبعاً لأوامر الله ليحظى بجنته ورضوانه، قال

تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَكَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

الْمَأْوَىٰ (41) ﴾ (النازعات: 40 - 41) ¹.

وعليه فإن الإنسان إذا جنح عن منهج الله سبحانه طراً على تربيته تغير يؤثر في حالته النفسية من حالة الصحة النفسية التي منها اتباع منهج الله إلى خلل يحدث في النفس وأن حجم هذا الخلل يزيد بمقدار المخالفة، " ولذلك احتاج الإنسان إلى تربية فاعلة تستند إلى خبرة كاملة بتكوينه وطبيعته ليتوفر للاخلاق الجسدية والنفسية المكونة لهذه الطبيعة أن تتوازن وتبرز أنماطاً سلوكية متناسقة الأداء، سليمة التوجه، إيجابية النفع والأثر . وهذا ما توجده توجيهات الوحي للتربية لأنها توجيهات تستند إلى خبرة محكمة بخلق الإنسان ونشأته وإلى هذا يشير قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (التين: 4 - 6)، وقوله: ﴿ وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي

خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)

﴿ (العصر: 1 - 3) . وفي المقابل فإن غياب توجيهات الوحي يتسبب باضطراب مكونات

الطبيعة الإنسانية وحاجاتها وإصابة قدرتي العقل والإرادة بالمرض أو الموت، وينتج عن ذلك

مضاعفات الشر والباطل والخطأ والضرر والقبح في حياة الأفراد والجماعات، ويقدم القرآن

الكريم تفاصيل كثيرة للمضاعفات المرضية المشار إليها . منها ميل الإنسان للطغيان والعدوان

والظلم يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (7) ﴾ (

العلق: 6 - 7)، ومنها ميل الإنسان إلى كفر الحقيقة - أي إخفاؤها والتكبر لها - ثم إقرار ما

¹ كرزون، أنس أحمد، أمراض النفس دراسة تربوية لأمراض النفوس ومعوقاتها، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1418 هـ - 1997 م، ص 7 - 8 .

يناقضها في ميادين الفكر والاتجاه والممارسة، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لظُلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: 34)، ﴿ قَبِيلُ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴾ (عبس: 17)، ﴿ إِنَّ

الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (الحج: 66)، ومنها ميل الإنسان إلى البخل والشح والاحتكار، يشير إلى

ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ أَنُّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِلْفَاقِ

وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴾ (الإسراء: 100)، ومنها ميل الإنسان للبطر وللادعاء العريض عند

النعمة والقنوط الكافر عند فقدانها وإلى ذلك يشير أمثال قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن أَدَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا

رَحْمَةً لَّمْ نَزَعْنَا مِنهٗ إِنَّهٗ لَيُؤْسٍ كَفُورٌ ﴾ (9) وَلَئِن أَدَقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهٗ

لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهٗ لَفَرِحَ فَخُورٌ ﴿10﴾ (هود: 9-10)، وقوله: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا

عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (الإسراء: 83)¹.

المطلب الثالث: الشرك والمرض النفسي:

إن من أعظم ما تلاقىه النفس من أسباب الأمراض النفسية الشرك بالله تعالى، لأن

المشرك بالله في حالة من الحيرة والقلق والتخبط ما لا يعلمه إلا الله، ولذلك صور حاله بقوله

تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي

مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج: 31)، وكما أن التوحيد ملاك الصحة النفسية كلها وأصلها، فإن

الشرك بالله هو جماع المرض النفسي وأصله، إذ معه تصبح النفس عرضة لتلقي الأمراض

النفسية الأخرى، ذلك لأن من أصول الدين القويم أن لأعمال البشر جزاءً فطرياً هو أثر لازم

¹ الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 483 - 484 .

للعمل بحسب سننه تعالى في تأثير الأعمال النفسية والبدنية في إصلاح الأنفس أو إفسادها،
وجزاء آخر وصفيًا أو شرعيًا تابعاً له هو إنشاء فضل أو عدل منه عز وجل، فالأول وهو
الأصل ما يترتب على تزكية النفس بالعقيدة الصحيحة وما يصدر عنها من العلوم الثابتة
والأخلاق الكريمة، التي تطبعها فيها عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وحسن المعاملة مع خلقه
من هناء المعيشة في الدنيا، بالجمع بين لذة الحياة العقلية والروحية، ولذة الحياة الجسدية
المعتدلة، وهو أدنى الجزائين وأقلهما، وغير المطرد، وما يترتب على تنسّن النفس وإفساد
فطرتها بالعقائد الباطلة وما ينتج عنها من الأخلاق والملكات الرديئة والأعمال القبيحة من شقاء
المعيشة في الدنيا وعذاب الآخرة، وكل منهما من لوازم تلك العقائد والأخلاق والأعمال، فهي
كالأعمال الضارة والوساوس العسوية (الهستيرية) التي تترتب عليها الأمراض المفصلة
والأدواء القاتلة، كما أن ما تقدم من مقابلها لشبه الأعمال البدنية والنفسية التي يعتاد لها البدن
والعقل حتى يبلغ بهما المرء من الصحة والاعتدال ما هو مقدر له من الكمال¹. ولبيان ذلك لا
بد من بيان معنى الشرك لغة واصطلاحاً ثم ذكر أمثلة عليه من سورة الأنعام.

أولاً: الشرك لغة: قال الراغب الأصفهاني²: الشركة والمشاركة: خلط الملكين، وقيل هو
أن يوجد شيء لاثنين فصاعداً عيناً كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في
الحيوانية ومشاركة فرس وفرس في الكُمّة والدُهْمَة، يقال شركته، وشركته ويشاركوا
واشتركوا واشركته في كذا، قال (وأشركه في أمري) "وأشركتك في أمري" أي: جعلتك
بحيث تذكر معي وأمرت بطاعتك مع طاعتي، وجمع الشريك شركاء.

¹ ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 272 .
² الراغب الأصفهاني، المفردات، كتاب الشين، ص 256 .

ثانياً: الشرك اصطلاحاً: وهو ضربان¹ أحدهما: الشرك العظيم ؛ وهو إثبات شريك لله تعالى وذلك أعظم كفر، والثاني: الشرك الصغير ؛ وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور وهو الرياء والنفاق .

ثالثاً: لفظ الشرك في سورة الأنعام:

ورد لفظ الشرك في سورة الأنعام بأشكال عدة، جاءت على النحو التالي:

أولاً: النهي عن الشرك في الآيات التالية:

1. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا

يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

(الأنعام: 14) .

قال محمد رشيد رضا²: أي أمرت أن لا أكون من المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء يزعمون أنهم يقربونهم إليه زلفى، فأنا أتبرأ من دينكم ومنكم، وحاصل المعنى: أنني أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك، وحاصله: الجمع بين الإسلام والبراءة من الشرك وأهله .

قال أبو حيان الأندلسي³: أمر بالإسلام ونهي عن الشرك وقيل نهى عن موالاته الشرك.

2. قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾

(الأنعام: 151) . قال الطبري⁴: ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ألا تشركوا بالله شيئاً من

خلقه، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام، ولا تعبدوا شيئاً سواه .

¹ الراجح الأصغري، المفردات، ص 259 - 260 .

² محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 278 .

³ أبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، ج 4، ص 453 .

⁴ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 656 .

قال القرطبي¹: « أَلَّا تُشْرِكُوا » في موضع نصب تقدير فعل من لفظ الأول، أي أتل

عليكم ألا تشركوا، أي أتل عليكم تحريم الشرك، ويحتمل أن يكون منصوباً بما في (عليكم) من الإغراء وتكون (عليكم) فنقطعه مما قبلها، إي عليكم ترك الإشراك .

قال محمد رشيد رضا²: بدأ تعالى الوصايا بأكبر المحرمات وأقطعها وأشدّها إفساداً للعقل والفطرة وهو الشرك بالله تعالى، سواء كان باتخاذ الأنداد له، أو الشفعاء المؤثرين في إرادته المصرفين لها في الأعمال ما يذكر بهم من صور وتمائيل وأصنام أو قبور - أو كان باتخاذ الأرباب الذين يشرعون الأحكام ويتحكمون في الحلال والحرام - وكذا من يسند إليهم التصرف الخفي فيما وراء الأسباب، وتقدير الكلام: أول ما أتلوه عليكم في بيان هذه المحرمات وما يقابلها من الواجبات - أو - أول ما وصاكم به تعالى من ذلك كما يدل عليه لاحق الكلام، هو ألا تشركوا بالله شيئاً من الأشياء وإن كانت عظيمة في الخلق كالشمس والقمر والكوكب، أو عظيمة في القدر كالملائكة والأنبياء والصالحين، فإنما عظم الأشياء العاقلة وغير العاقلة نسبية بعضها إلى بعض، وذلك لا يخرجها عن كونها من خلق الله ومسخرة بقدرته وإرادته، وكون العاقل منها من عبده، أو ألا تشركوا به شيئاً من الشرك صغيرة أو كبيرة - ومقابلته أن تعبدوه وحده بما شرعه لكم على لسان رسوله لا بأهوائكم، ولا بأهواء أحد من الخلق أمثالكم، وهذا هو المقصود بالذات .

ثانياً: إعلان البراءة من الشرك وأهله:

1. قوله تعالى: « قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ

هَذَا الْقُرْآنُ لِلدِّرِكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أُنْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 130 .

² محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 8، ص 161 - 162 .

أَشْهَدُ قُلُّ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿الأنعام: 19﴾ . قال

الشيخ المراغي¹: أمر الله سبحانه رسوله ﷺ بالشهادة له بالوحدانية وبالبراءة من قولهم وشهادتهم بالشرك، فبدأ الجملة بالاستفهام الدال على الإنكار والاستبعاد لما تضمنته، ثم أمر نبيه ﷺ أن يجيب بأنه لا يشهد كما يشهدون، ثم أمره بأمر آخر: بأن يشهد بنقيض ما يزعمون وتبرأ مما يزعمون، فيصرح بأن الإله لا يكون إلا واحداً، وتبرأ مما يشركون به من الأصنام والأوثان وغيرهما .

قال النيسابوري²: قال العلماء أنها دلت على أن أكبر الشهادات وأعظمها شهادة الله، ثم بين أن شهادة الله حاصلة إلا أنها لم تدل على أن تلك الشهادة لإثبات أي المطالب فقيل: أنها لإثبات نبوة محمد ﷺ، والمعنى: قل يا محمد أي شيء أكبر شهادة، حتى يعترفوا بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى، فإذا اعترفوا كذلك فقل أن الله شهد لي بالنبوة بأن أظهر على وفق دعواي معجزاً وهو القرآن الذي عجزتم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته، وقيل أن حصول هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى، وذلك أن الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع إثباتها بالسمع، والمعنى: قل الله شهيد بيني وبينكم (في إثبات الوحدانية والبراءة عن الأضداد والأنداد والأمثال والإسناد) وأوحى إليّ هذا القرآن لأننركم به (وأبلغكم أن الدين هو التوحيد والشرك مردود)، ولذلك قيل يستحب لمن أسلم أن يأتي بالشهادتين، ويضم إليهما التبري عن كل دين سوى دين الإسلام .

¹ المراغي، تفسير المراغي، ج 7، ص 93 .
² ابن حسين النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عمران، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1416 هـ - 1996 م، ج 3، ص 59 .

2. قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) ﴾

﴿ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ (79) ﴿ (الأنعام: 78 - 79).

قال محمد رشيد رضا¹: إن الحكمة البالغة والفائدة الطاهرة من هذه النصوص هي تقرير أصل التوحيد الهادم لقاعدة الوثنية بالفصل بين ما هو الله وما هو لرسله، وهو أن الرسل عليهم الصلاة والسلام لم يرسلوا إلا مبشرين ومنذرين، ما عليهم إلا تبليغ دين الله وإقامته، وليس لهم من الأمر شيء، وليس عليهم هدى أحد ولا رشده بالفعل كأنما عليهم هداية التعليم والحجة، فلا يهتدون من أحبوا، وأما قاعدة وثنية العرب وغيرهم فهي اتخاذ أولياء من العباد يزعمون أنهم وسطاء بين الله وبين عباده في شؤون الخلق والإيجاد، والإشقاء والإسعاد، والسلب والإمداد، لا في مجرد التبليغ والإرشاد، قياساً على ما يعهدونه من الأقربين والمقربين عند الملوك المستبدين، فهم لذلك يدعونهم مع الله أو من دون الله، وكانوا يعبرون عنهم بالأولياء والشركاء، وأصل عبادة الأصنام والأوثان الغلو في تعظيم الصالحين، فهي مأخوذة عن قوم نوح، قوله ﴿ هَذَا أَكْبَرُ ﴾ فهو تأكيد لإظهار النصفة للقوم، ومبالغة في تلك المجازاة الظاهرة لهم، وتمهيد قوي لإقامة الحجة البالغة الذي كان يخشى أن يصددهم عنه، ومعناه أن هذا أكبر من القمر والكواكب قدراً، وأعظم ضياءً ونوراً، فهوا إذا أجدر منها بالربوبية، ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ

يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أي فلما أفلت كما أفل غيرها، واحتجب ضوءها المشرق

وذهب سلطانها، وكانت الوحشة أشد من الوحشة باحتجاب الكوكب والقمر، صرح عليه السلام

بالنتيجة المرادة من ذلك التعريض فبراً من شرك قومه الذي أظهر مجاراتهم عليه في ليلته

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 460 - 469.

ويومه، والبراء من الشيء: التَّقْصِي منه والتَّحْي عنه لاستقباحه، فهو كالبراء من المرض وهو

السلامة من ألمه وضرره، و (ما) مصدرية أو موصولة، أي إني بريء من شرككم بالله تعالى

أو من هذه المعبودات التي جعلتموها أرباباً وألهة مع الله تعالى، فيشمل الكواكب والأصنام وكل

ما عبده وهو كثير، ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ فبراً من شركهم وقفى على تلك البراءة ببيان عقيدته الحق، وهي التوحيد

الخالص، فقال: إني وجهت وجهي وقصدي، وجعلت توجيهي في عبادتي للرب الخالق الذي

فطر السماوات والأرض، أي ابتداء خلقهما بما فتق من رتق مادتهما وهي دخان، وأكمل خلقهن

في ستة أزمان، وتوجيه الوجه هنا بمعنى إسلامه ؛ وهو عبارة عن توجه القلب، فإن الوجه

أعظم مظهر لما في النفس من الإقبال والإعراض، والخشوع، والسرور، والكآبة وغير ذلك،

والمراد: تركه له يتوجه إليه وحده في طلب حاجته، وإخلاص عبوديته، فهو وحده الرب

المستحق للعبادة، القادر على الأجر والإثابة .

ثالثاً: طلب الإعراض عن المشركين:

قوله تعالى: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَأِ إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: 106) . قال الطبري¹: أي اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه

الذي أوحاه إليك، ما عمل به، والزجر عما زجرك عنه فيه، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك

من عبادة الأوثان والأصنام، فإنه ﴿ لَأِ إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾، أي لا معبود يستحق عليك إخلاص العبادة.

له إلا الله الذي هو فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح وجاعل الليل سكناً، والشمس والقمر

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 479 .

حساناً، ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾، ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابقتهم . قال

القرطبي¹: أي لا تشغل قلبك وخاطرك بهم، بل اشتغل بعبادة الله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْمُشْرِكِينَ﴾.

قال ابن كثير²: أي اعف عنهم، واصفح واحتمل أذاهم، حتى يفتح الله لك، وينصرك
ويظفرك عليهم، واعلم أن الله حكمة في إضلالهم فإنه لو شاء لهدى الناس جميعاً، ولو شاء
لجمعهم على الهدى .

رابعاً: بيان أن الشرك لا يخرج عن مشيئة الله سبحانه وتعالى:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ

عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (الأنعام: 107) . قال القرطبي³: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ نص

على أن الشرك بمشيئته، وهو إبطال لمذهب القدرية .

قال الطبري⁴: معنى الآية: لو أراد ربك هدايتهم واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم

بتوفيده إياهم فلم يشركوا به شيئاً، ولأمنوا بك فاتبعوك وصدقوا ما جنتهم به من الحق من عند

ربك .

قال ابن كثير¹: قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ أي بل له المشيئة والحكمة فيما

يشاؤه ويختاره، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 60 .

² ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 183 .

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 60 .

⁴ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 479 .

خامساً: بيان مخاطر الشرك:

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام: 88) . قال محمد رشيد رضا²: قوله: ﴿ يَهْدِي بِهِ مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ هداية ليس لصاحبها سعي لها ولا هي مما ينال بكسبه، وهي النبوة، وهداية

بالكسب والاستعداد مع اللطف الإلهي والتوفيق لنيل المراد، ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي: ولو فرض أن أشرك بالله أولئك المهديون المجتبون، لحبط - أي بطل -

وسقط عنهم ثواب ما كانوا يعملون بزوال أفضل آثار أعمالهم في أنفسهم الذي هو الأساس لما

رفع من درجاتهم، لأن توحيد الله تعالى لما كان منتهى الكمال المزكى للأنفس، كان ضده وهو

الشرك منتهى النقص والفساد المدسّي لها، والمفسد لفطرتها، فلا يبقى معه تأثير نافع لعمل آخر

فيها يمكن أن يترتب عليه نجاتها وفلاحها .

قال ابن عاشور³: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تقطيعاً لأمر

الشرك وأنه لا يغتفر لأحد ولو بلغ من فضائل الأعمال مبلغاً عظيماً مثل هؤلاء المعدودين المنوّه

بهم، وحبط معناه تلف، أي بطل ثوابه .

قال الرازي⁴: أصل الحبط: أن تأكل الإبل شيئاً يضرها فتعظم بطونها فتهلك، فسمي

بطلان الأعمال بهذا لأنه كفساد الشيء بسبب ورود المفسد عليه، والمراد فيه إحباط العمل ليس

هو إبطال نفس العمل، لأن العمل شيء كما وجد فني وزال، وإعدام المعدوم محال، ثم اختلف

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 183 .

² محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 492 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 202 .

⁴ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 6، ص 393 - 394 .

المتكلمون فيه، فقال المثبتون للإحباط والتكفير: المراد منه أن عقاب الردة الحادثة يزيل ثواب الإيمان السابق، وقال المنكرون للإحباط: المعنى أن المرتد إذا أتى بالردة فذلك الردة عمل محبط لأن الآتي بالردة كان يمكنه أن يأتي بدلها بعمل يستحق به ثواباً، فإذا لم يأت بذلك العمل الجيد وأتى بدله بهذا العمل الرديء الذي لا يستفيد منه نفعاً بل يستفيد منه أعظم المضار، يقال: أنه أحبط عمله أي أتى بعمل باطل ليس فيه فائدة بل فيه مضرة، وأما حبوط الأعمال في الدنيا، فهو أنه يقتل عند الظفر به، ويقاقل إلى أن يظفر به، ولا يستحق من المؤمنين موالة ولا نصراً ولا ثناء حسناً، وتبين منه زوجته، ولا يستحق الميراث من المسلمين، ويجوز أن يكون المعنى أن ما يريدون بعد الردة الإضرار بالمسلمين ومكايدهم بالانتقال عن دينهم يبطل كله، فلا يحصلون منه على شيء لإعزاز الله الإسلام بأنصاره، فتكون الأعمال على هذا التأويل ما يعمل بعد الردة، وأما حبوط الأعمال في الآخرة أي يبطل استحقاقهم للثواب الذي استحقوه بأعمالهم السالفة .

قال ابن كثير¹: قوله: « وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » تشديد لأمر

الشرك وتغليظ لشأنه وتعظيم لملاسته . قال الخطيب²: قوله تعالى: « وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ

عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » في هذا إشارة إلى أن الأعمال التي يعملها الإنسان من شأنها أن

تكون درعاً يحميه ووقاية يتقي بها من ضربات الحياة، أما أعمال المشركين فإنها سراب خادع، يتخلى عنهم وقت الحاجة والشدة .

قال الزحيلي³: أي ولو أشرك هؤلاء المهتدون بربهم، مع فضلهم وارتفاع درجاتهم،

لبطل أجر عملهم كغيرهم في إحباط أعمالهم، أي تلفها وذهابها لسوء غلب عليها، وهذا غاية

¹ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 174 .
² الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، ج 4، ص 232 .
³ الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، ج 1، ص 578 .

العدل وإحقاق الحق في محاربة الشرك والمشركين . قال المراغي¹: أي لو أشرك أولئك المهديون بربهم فعبدوا معه غيره لبطل أجر أعمالهم التي يعملونها، إذ توحيد الله تعالى هو المزكي للأنفس، فضده الشرك منتهى النقص والفساد المدسي لها والمفسد لفطرتها، فلا يبقى معه فائدة لعمل آخر ويترتب عليه نجاتها وفلاحها به .

وعليه فإن الشرك يؤدي إلى:

1. سقوط ثواب الأعمال جميعها، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .
2. زوال آثار الأعمال الصالحة في النفس .
3. إفساد فطرة النفس وذهاب أثر الإيمان المزكي لها .
4. المرض النفسي المدسي للنفس والمؤثر فيها سلباً وتدنياً بعد أن كانت بالتوحيد مرتقية في درجات الكمال الإنساني .
5. فساد الروح وظلمة القلب .
6. خسران الدنيا والآخرة .

سادساً: بيان بعض صور الشرك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكُمْ أَوْلِيَانِهِمْ لِجَادِلْكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام: 121)

. قال القرطبي²: قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ ﴾ أي في تحليل الميتة ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

¹ المراغي، تفسير المراغي، ج 7، ص 183 .
² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 77 .

فدلّت الآية على أن من استحل شيئاً مما حرّمه الله تعالى صار به مشركاً، وقد حرّم الله الميتة نصاً، فإذا قيل تحليلها من غيره فقد أشرك.

قال محمد رشيد رضا¹: أمر الله بالأكل مما ذكر عليه اسمه في مقام بيان ضلال المشركين وإضلالهم بأكل ما ذكر اسم غيره عليه، ثم صرّح بالمفهوم المراد من ذلك الأمر، ولم يكتف بدلالة السياق على القصر، لشدة العناية بهذا الأمر الذي هو من أظهر أعمال الشرك، أي ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح عند تذكيته، والحال إنه لفسق أهل لغير الله به، وأن شياطين الإنس والجن الذين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ليوحون إلى أوليائهم بالوسوسة والتلقين الخادع الخفي ما يجادلونهم به من الشبهات في هذه المسألة، وإن أطعموهم فجاريتموهم في هذه العبادة الوثنية الباطلة إنكم لمشركون مثلهم، فإن التقيد بالذبح لغير الله شرك، كدعاء غير الله، وسائر ما يتوجه به من العبادات لغيره، وإن كان لأجل التوسل بذلك الغير إليه ليتقرب المتوسل إليه زلفى، ويشفع له عنده كما يفعل أهل الوثنية .

قال الشوكاني²: قوله: « وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ » أي يوسوسون لهم بالوسوس المخالفة للحق، المباينة للصواب، قاصدين بذلك أن يجادلكم هؤلاء الأولياء بما يوسوسون لهم، « وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ » فيما يأمرونكم به وينهونكم عنه، « إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » مثلهم .

قال الرازي³: وفيه دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرّم الله تعالى أو حرّم شيئاً مما أحل الله تعالى فهو مشرك، وإنما سمي مشركاً لأنه أثبت حاكماً سوى الله تعالى، وهذا هو

¹ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 8، ص 19 - 20 .

² الشوكاني، فتح القدير، ج 2، ص 472 .

³ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 132 .

الشرك والآية حجة على أن الإيمان اسم لجميع الطاعات، وإن كان معناه في اللغة التصديق، كما جعل تعالى الشرك اسماً لكل ما كان مخالفاً لله تعالى وإن كان في اللغة مختصاً بمن يعتقد أن الله شريكاً بدليل أنه تعالى سمى طاعة المؤمنين للمشركين في إباحة الميتة شركاً .

قال مقاتل بن سليمان¹: قوله تعالى: « وَكَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ » يعني أكل الميتة لمعصية، « وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْهِمْ » من المشركين ليجادلونكم (في أمر الذبائح) « وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ » باستحلال الميتة، « إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ » مثلهم .

مما سبق يتضح أن:

1. على الإنسان أن يحذر الشيطان ووساوسه لأنها قد تؤدي بالإنسان إلى الشرك بالله عز وجل، وعليه فإن معادة الشيطان وعصيان أمره من الواجب على الإنسان المسلم ليسلم من أذاه وشره، قال تعالى: « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا » (فاطر:6). فالعدو يتربص بعدوه لينال منه .

2. إن استحلال ما حرم الله سبحانه وتعالى ولو كان الأمر بسيطاً فإنه يخرج صاحبه من دائرة التوحيد إلى الشرك، والشرك من أسباب إحباط الأعمال وإبطال أجرها ونفعها عند الله وسبب في المرض النفسي الذي يؤدي إلى الهلاك والبوار .

3. إن التحليل والتحرير والتشريع والحاكمية لله سبحانه وتعالى فمن أحل وحرم اتباعاً لهدى نفسه والشيطان، فإنه نازع الله في حاكميته جل وعلا .

¹ مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424 هـ - 2003 م، ج 2، ص 368 .

4. على الإنسان أن يحرص على اتباع نهج الله سبحانه وتعالى كما في كتاب الله وسنة نبيه

عليه الصلاة والسلام، ولا يحاول الخروج عنهما لأن الله سبحانه وتعالى لا يعبد إلا بما

شرع .

المبحث السابع: أمثلة على المرض النفسي في سورة الأنعام:

عرضت سورة الأنعام للعديد من الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان نتيجة بعده عن

منهج الله سبحانه وتعالى، واتباعه هوى نفسه والشيطان، ومن ذلك:

المطلب الأول: قسوة القلب:

أولاً: قسوة القلب لغة: قال الراغب الأصفهاني¹: غَلَطَ القلب، وأصله من حجر قاسٍ،

والمقاساة معالجة ذلك، قال: ﴿ تَمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ - فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ

﴾، وقال: ﴿ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ - وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾، وقرأ (قسيّة) أي ليست

قلوبهم بخالصة، من قولهم درهم قسيٌّ وهو جنس من الفضة المغشوشة فيه قساوة أو صلابة .

ثانياً: قسوة القلب اصطلاحاً: حالة تصيب القلب نتيجة للكفر والعناد وكثرة المعاصي،

واتباع الشهوات، والبعد عن الله سبحانه وتعالى، والإعراض عن منهجه ودينه، وهي ضد

الخشوع والطمأنينة الواردة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (الحديد: 16)، قال الطبري²: في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ أي ألم يحين للذين صدقوا الله ورسوله أن

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات، مادة (قسو)، ص 404 .

² الطبري، جامع البيان، ج 22، ص 408 .

تلين قلوبهم لذكر الله، فتخضع قلوبهم له، وما نزل من الحق، وهو القرآن الكريم، فالخشوع فيه معنى اللين والخضوع بعكس القسوة التي فيها معنى الغلظة والشدة والعناد .

قال السعدي¹ عند تفسيره لهذه الآية، قال: لما ذكر حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها، والاستكانة لعظمته فعاتب المؤمنين على عدم ذلك، فقال: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي ألم يجيء الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخضع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتتقاد لأوامره و زواجره وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواظ على الأحكام الشرعية كل وقت ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتتأق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين .

قال الماوردي²: في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ ثلاث تأويلات، أحدها: أن تلين قلوبهم لذكر الله، الثاني: أن تذل قلوبهم من خشية الله، والثالث: أن تجزع قلوبهم من خوف الله.

وعليه فإن الخشوع فيه معنى اللين والخضوع والانكسار والذل والجزع، أما قسوة القلب ففيها معنى الغلظة والصلابة والشدة والعناد، ولذلك قال تعالى في سورة الأنعام بياناً لحال المشركين حين امتحنهم الله سبحانه وتعالى بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون إليه بالخشية

¹ السعدي، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج 1، ص 840 .

² الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، (تحقيق: السيد بن عبد المقصود)، بيروت، دار الكتب العلمية، د طب، دت، ج 5، ص 478 .

والدعاء، إلا أنهم لم يستجيبوا وأصروا على كفرهم وعنادهم بسبب قسوة قلوبهم، قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 43) .

قال الجاوي¹: ﴿وَلَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،

من الكفر والمعاصي، أي فلم يؤمنوا حين جاءهم عذابنا، ولكن ظهر منهم الكفر ووسوس لهم الشيطان أن حال الدنيا هكذا تكون، شدة ثم نعمة، فلم يخطر ببالهم أن ما أصابهم من الشدائد ما أصابهم إلا لأجل عملهم الفاسد .

قال البيضاوي²: قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ معناه: نفي

تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوه، أي لم يتضرعوا ﴿وَلَكِنَّ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، استدراك على المعنى، وبيان للصارف لهم عن

التضرع وأنه لا مانع لهم إلا قسوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم .

وقال أبو زهرة³: ﴿لَوْلَا﴾ هنا للنفي مع تمني لوجود، فهي لنفي تضرعهم مع تمني أن يكون

قد تضرعوا، والتمني هنا معناه ينبغي، كأن المعنى: هكذا لم يتضرعوا وكان ينبغي أن يكون

البأس الشديد مؤدياً إلى ضراعتهم، لأنه يشعرهم بضعفهم أمام قدرة الله تعالى الغالب القاهر

فوق كل شيء، لكن الاحساس بالضعف الذي دل عليه نزول البأس عليهم - ولا قبيل لهم -

وجد مانعان يمنعان أثره، أحدهما: قسوة القلب، وقد عبر عنها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَكِنَّ

قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وكان ذلك الاستدراك للإشارة إلى أن الضراعة وقسوة القلب لا يجتمعان

¹ الجاوي، محمد بن عمر نووي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، تحقيق: محمد أمين الصناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط 1417 هـ ج 1، ص 318 .

² البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج 2، ص 408 - 409 .

³ أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، د. مكان، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت، ج 1، ص 2498 - 2499 .

ولو نزلت الشدائد، وإن ضرعوا فألى أمد محدود، ثم تعود إليهم أحوالهم، والسبب في أن القسوة والضراعة تقيضان لا يتجمعان، أن القسوة غلظ في النفوس والطباع، وإن بعض النفوس لتقسوا حتى تكون كالحجارة أو أشد قسوة، والضراعة رقة في القلب رافة في النفس، وإحساس بالآلام الغير، فلا يكون القاسي ضارعا ولو كان جبانا، إذ الضراعة علو مع رافة ورحمة وطبائنة، والقسوة غلظة، وقد يكون الجبان غليظا، بل في أكثر الأحوال هو كذلك، والأمر الثاني الذي يمنع الضراعة - تزيين الشيطان العمل للنفس فيجعله كالحسن وما هو بحسن، وهذا التزيين لا يجعل الأثم يحس بإثم ما ارتكب، والضراعة توجب الإحساس بذلك الإثم .

فالكفر والعناد والبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى واتباع هوى النفس والشيطان في قسوة القلب وهو من طباع النفس ويقود إلى مزيد من العناد والكفر والكبر والاصرار على عدم الانصياع للحق ولو ظهر وبان ودلت عليه الأدلة .

قال ابن عاشور¹: قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

المعنى: ولكن اعتراهم ما في خلقتهم من المكابرة وعدم الرجوع عن الباطل كأن قلوبهم لا تتأثر، فشبّهت بالشيء القاسي، والقسوة: الصلابة، وقد وجد الشيطان من طباعهم عوناً على نفث مراده فيهم، فحسن لهم تلك القساوة وأغراهم بالاستمرار على آثامهم وأعمالهم، ومن هنا يظهر أن الضلال ينشأ عن استعداد في خلقة النفس .

¹ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 7، ص 229 .

المطلب الثاني: الختم على القلب:

وهو الطبع عليها حتى لا تفقه قولاً ولا لا تبصر حجة ولا تفهم مفهوماً¹، قال أبو حيان الأندلسي²: الختم: الوسم بطابع أو غيره مما يوسم به، والقلب: مصدر قلب، والقلب: اللحمة الصنوبرية المعروفة، سميت بالمصدر، وكنى به في القرآن وغيره عن العقل، وتطلق أيضاً على لب كل شيء وخالصة .

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام: 46)، قال القرطبي³: ﴿ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ حتى لا تفقهوا شيئاً ولا تعرفوا مما تعرفون من أمور الدنيا .

قال محمد رشيد رضا⁴ معنى الآية: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: أريتُم ماذا يكون من شأنكم من آلهتكم الذين تدعونهم راجين شفاعتهم إن أصمكم الله فذهب بسمعكم، وأعمالكم فذهب بأبصاركم، وختم على قلوبكم وألبابكم التي هي مراكز الفهم والشعور والعقل من أنفسكم، فأصبحتم لا تسمعون قولاً ولا تبصرون طريقاً، ولا تعقلون نفعاً ولا ضراً، ولا تتركون حقاً ولا باطلاً، من إله غير الله يأتيكم بذلك .

قال ابن عاشور⁵: الختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطينٍ ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم، فإذا فتح عليم صاحبه أنه فتح، لفساد يظهر في أثر النقش، وقد اتخذ النبي ﷺ خاتماً لذلك، وقد كانت العرب تختم على قوارير

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 251 .

² أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج 1، ص 76 .

³ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 3، ص 144 .

⁴ رضا، تفسير المنار، ج 7، ص 349 .

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 250 - 254 .

الخمر ليصلحها انحباس الهواء عنها وتسلم من الأقدار في مدة تعتيقها، وأما تسمية البلوغ
 لأخر الشيء ختماً فلأن ذلك الموضوع أو ذلك الوقت هو ظرف وضع الختم فيسمى به مجازاً،
 والخاتم بفتح التاء الطين الموضوع على المكان المختوم، واطلق على القلب المنقوش فيه
 علامة أو كتابة يطبع بها على الطين الذي يختم به، وكان نقش خاتم النبي ﷺ (محمد صلى
 الله عليه وسلم)، وطين الختم طين خاص يشبه الجبس يبيل بماء ونحوه، ويشد على الموضوع
 المختوم فإذا جف كان قوي الشد لا يقلع بسهولة وهو يكون قطعاً صغيرة كل قطعة بمقدار
 مضغة، وكانوا يجعلونه خواتيم في رقاب أهل الذمة، قال بشار: والختم على القلوب ليس على
 الحقيقة، إنما ذلك عن طريق المجاز بأن يجعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان والحق
 والإرشاد إليها، وذلك على طريق الاستعارة بتشبيه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم،
 والختم في اصطلاح الشرع: استمرار الضلالة في نفس الضال أو خلق الضلالة ومثله الطبع،
 والأكنة، والمراد من القلوب هنا الألباب والعقول، والعرب تطلق القلب على اللحمية
 الصنوبرية، وتطلقه على الإدراك والعقل، ولا يكادون يطلقونه على غير ذلك بالنسبة للإنسان
 وذلك غالب كلامهم على الحيوان، وهو المراد هنا، ومقره الدفاع لا محالة ولكن القلب هو
 الذي يمدده بالقوة التي بها عمل الإدراك، كون الختم مجازاً في عدم نفوذ الحق لعقولهم
 وأسماعهم وكون ذلك مسبباً لا محالة عن إعراضهم ومكابرتهم أسند ذلك الوصف إلى الله
 تعالى لأن المقدر له على طريقة إسناد نظائر مثل هذا الوصف في غير آية من القرآن نحو
 قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (النحل: 108)، وقوله: ﴿ خَتَمَ
 اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ ﴾ (البقرة: 7) وقوله: ﴿ وَكَأَنَّا نَطْعُ
 مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾ (الكهف: 28)، ونظائر ذلك كثيرة في القرآن تتبو عن

التأويل ومحملها عندنا على التحقيق أنها واردة على اعتبار أن كل واقع هو بقدر الله تعالى وأن الله هدى ووفق بعضاً، وأضل وخذل بعضاً في التقدير والتكوين، فلا ينافي ذلك ورود الآية ونظائرها في معنى النفي على الموصوفين بذلك والتشنيع بحالهم لأن ذلك باعتبار ما لهم من الميل والاكتماب، وبالتحقيق القدرة على الفعل والترك التي هي دون الخلق، فالله تعالى قدر الشرور وأوجد في الناس القدرة على فعلها ولكنه نهاهم عنها لأنه أوجد في الناس قدرة على تركها أيضاً، فلا تعارض بين القدر والتكليف إذ كل راجع إلى جهة خلاف ما توهمته القدرية فنفوا القدر وهو التقدير والعلم وخلاف ما توهمته المعتزلة من عدم تعلق قدرة الله تعالى بأفعال الكلفين ولا هي مخلوقه له وإنما المخلوق ذواتهم وآلات أفعالهم، ليتوسلوا بذلك إلى انكار صحة اسناد مثل هاتئ الأفعال إلى الله تعالى تنزيهاً له عن إيجاد الفساد، وإسناد الختم المستعمل مجازاً إلى الله تعالى للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأن لا يرجى زواله .

قال الرازي¹: اعلم أن المقصود من هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره أن أشرف أعضاء الإنسان هو السمع والبصر، فالأذن محل القوة السامعة والعين محل القوة الباصرة والقلب محل الحياة، والعقل والعلم فلو زالت هذه الصفات عن هذه الأعضاء اختل أمر الإنسان وبطلت مصالحه في الدنيا وفي الدين، ومن المعلوم بالضرورة أن القادر على تحصيل هذه القوى فيها، وصونها عن الآفات والمخالفات ليس إلا الله، وإذا كان الأمر كذلك كان المنعم بهذه النعم العالية والخيرات الرفيعة هو الله سبحانه وتعالى فوجب أن يقال المستحق للتعظيم والثناء والعبودية ليس إلا الله ﴿ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ معناه وطبع

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 187 - 188 .

على قلوبهم فلم يقبلوا الهدى، وقيل أزال عقولكم حتى تصيروا كالمجانين، وقيل المراد بهذا

الختم الإماتة، أي يميت قلوبكم .

وعليه فإن الختم على القلوب سببه المعاندة والاستكبار وعدم الانتفاع بالحواس التي زود الله بها الإنسان لينتفع بها، فالبداية من الإنسان بتعطيل سمعه وبصره وعقله عن سماع الحق وإبصاره وإدراك الآيات والمعجزات الدالة على صدق الأنبياء برسالتهم من الله سبحانه وتعالى فيكون نتيجة لذلك الختم من الله سبحانه وتعالى على هذه القلوب فلا يستطيع أحد أن يعيدها كما كانت، فالختم كان من الخالق جل وعلا، وفي هذا تحذير وتخويف لكل المخاطبين بالقرآن بأن لا يكونوا كأمثال هؤلاء، وأن يتركوا العناد والاستكبار، ويذعنوا للحق ليشرح الله صدرهم للإيمان فيكونوا من الناجين من الأمراض النفسية وبالتالي السعادة في الدارين الدنيا والآخرة .

المبحث الثامن: الأثر التربوي للأصل النفسي للنظرية التربوية الإسلامية

المستخلص من سورة الأنعام:

حين يعلم الإنسان أنه مكون من جسم وعقل وروح، وأن نفسه تتكون من النقاء كلاً من الروح بالجسد، وأن هذه النفس مفضولة على التوحيد، وأنه قد يعترها النقص والخلل جراء ما يقوم به الإنسان من ممارسات وأعمال تخرج بها عن المنهج العام الذي رسمه الله له في علاقته بنفسه ذاتها والله جل وعلا والآخرين والكون المحيط به، وذلك نتيجة الغفلة عن دين الله والاندفاع نحو الشرور والأهواء. وفعل الفواحش، لتكون بذلك أمارة بالسوء كما وصفها الله سبحانه في كتابه على لسان امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (يوسف: 53)، وإنه إن ارتقى في مدارج السالكين نحو الله

سبحانه وتعالى فإن ما علق بها من شوائب ودرن شوّه صورتها الحقّه، فإنه سيزول وتبدأ النفس
 بنفض غبار المعاصي وتلجئ إلى خالقها متعلّقة به من خلال الالتزام التام بالمنهج المرسوم
 لتصبح بذلك الرقيب الداخلي والقوة الضابطة لتصرفاته فتلومه على فعل المعاصي وترك
 الطاعات وارتكاب المخالفات وتحذره من عقاب ربه وتحاسبه على كل صغيرة وكبيرة، لتكون
 كما وصفها الله سبحانه وتعالى (بالنفس اللوامة) في قوله تعالى: ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوامةِ
 ﴾ (القيامة: 2) وعند المزيد من الثبات على المنهج والمزيد من فعل الطاعات والرضا بقدر
 الله، والتحلي بالأخلاق الإسلامية، والصبر على البلاء، والشكر على النعماء، فإن النفس ترتقي
 أكثر فأكثر لتصل بعد ذلك إلى الدرجة العليا التي وصفها الله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
 الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29)
 وَادْخُلِي جَنَّتِي (30) ﴾ (الفجر: 27 - 30)، مهيناً لها ذاك المنزل .

عندما يعلم الإنسان بذلك فإنه يؤدي به إلى:

1. استحضار المزيد من عظمة الخالق جل وعلا الذي خلق النفس بهذه المواصفات وهذه
 القدرات، وهذا التنوع والاختلاف، فلكل إنسان نفسه الخاصة به، تختلف عن نفس
 الآخرين وتميز عنهم، مما يزيد من ثقة الإنسان بنفسه واهتمامه بها وبإساليب تربيتها
 وتهذيبها وصولاً بها إلى مزيداً من التوافق مع منهج خالقها جل وعلا .
2. الإقبال على المنهج الذي رسمه الله له في هذه الحياة، فيفعل ما أمره الله فعله وينتهي
 عما نهى الله عنه .

3. الحذر من نفسه وهواها لأن النفس إذا كانت أمارة بالسوء شهوانية ؛ فإنها تقتل صاحبها وتؤدي به إلى المهالك وإلى العاقبة السيئة في الدنيا والآخرة .
4. إدراك الإنسان أن عمل المعاصي والإصرار عليها يؤدي إلى مزيد من الانغماس فيها وبالتالي صعوبة الخروج منها والرجوع عنها .
5. إدراك الإنسان أن النفس تميل دائماً إلى الم لذات وإلى الراحة والشهوات، ولذلك يحذر شهوات نفسه ويعود نفسه على الانضباط والالتزام وعدم تجاوز الحد مهما كان وفي أي مجال .
6. إدراك الإنسان أن فعل الطاعات والخير كله يكون في بداية الأمر ثقيل على النفس، وأن تعويد النفس عليه بحاجة إلى تحدي وإصرار وثبات وعزم وقوة واستعانة بالله سبحانه وتعالى .
7. الانتباه دائماً إلى أن النفس والشيطان من أشد أعداء الإنسان، وأن عليه أن يحذرهما وأن علاجها يكون بكبح جماح نفسه ومعاداة الشيطان بالطريقة التي أمره بها ربه جل وعلا .
8. العلم أن النفس كالجسد، فإنها تمرض وتصلح وتتعافى، وأن أمراض النفس أخطر من أمراض الجسد، إذ أنه يصعب الخلاص منها وبحاجة إلى اجتهاد ومثابرة وقوة تحمل .
9. السعي دائماً لأن يكون داعياً إلى الخير وأمرأ بالمعروف وناهياً عن المنكر، لأنه يعلم أن انتشار الفضيلة يساعد الأنفس على تقبلها، وأن انتشار الرذائل يساعد على تقبلها وفعلها وفعل المعاصي، فيكون دائماً عوناً على الخير من أجل نفسه والآخرين .

10. تربية النفس دائماً على الولاء والحب لله سبحانه وتعالى ولجماعة المسلمين، لأنه يعلم

أن النفس إن لم تُوالى وتُحب في الله فإنها ستُوالى وتُحب في غيره، وهذا من أخطر أمراض النفوس والقلوب.

11. العلم اليقيني أن هذه النفس (نفسه التي بين جنبيه) أمانة في عنقه عليه أن يحافظ

عليها وينقذها من المهالك، ويصل بها إلى بر الأمان في الدنيا والآخرة، ولا يجوز له بحال من الأحوال أن يقودها إلى المهالك، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (التحریم: 6).

12. أن اللذة في الحياة الدنيا لذة بسيطة وموقته، فلا يجوز أن تكون سبباً في ضياع الملذات

الدائمة في الآخرة عند الله، فلا يبيع نفسه بمتعة زائلة بسيطة، وإنما يشتريها بمتعة دائمة كبيرة عند الله .

13. احترام أنفس الآخرين ومساعدتهم في تربية نفوسهم وإعدادها الإعداد التربوي الصحيح

القائم على العلم والإيمان .

14. إدراك خطورة الأمراض النفسية كقساوة القلب والشرك والرياء وغيره، ويسعى إلى

بيانها والتفكير والتحذير منها بكل طاقته، وبكل الوسائل مستلهماً ذلك من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ .

15. العلم أن في المعاصي والبعد عن منهج الله شقاء دائم وتعاسة، وإن بدا الأمر في

ظاهرة عافية وسلامة وصحة ورغد عيش، ذلك لأن الشقاء شقاء النفس والروح .

16. استشعار المسلم بالأمن النفسي حين يلتزم بمنهج الله سبحانه وتعالى، وهذا يضيف عليه

إيجابية ودافعية نحو مزيد من الأعمال الصالحة .

17. استشعار المسلم بالراحة والاطمئنان على نفسه وعلى غيره حين يؤدي ما عليه من

واجبات ويترك ما نهي عنه من معاصي، فيكون بذلك مقبلاً على الآخرين بحسن

المعاملة وحسن المعاشرة، فيحب الآخرين ويحبونه .

18. الاعتزاز بدين الله وبالهدى الذي جاء به رسول الله ﷺ لعلمه أنه السبب في إخراج

الناس من الظلمات إلى النور .

19. الحذر من الدنيا وما فيها من متاع، ويسعى دائماً لأن يكون نصيبه فيها ما يكفيه

الحاجة وسؤال الناس، وأن ما في الدنيا زائل وما عند الله خير وأبقى .

الفصل السابع

التطبيقات التربوية في المنهاج التربوي في ضوء أصول
النظرية التربوية الإسلامية المستخلصة من سورة الأنعام

الفصل السابع

التطبيقات التربوية في المنهاج التربوي في ضوء أصول النظرية التربوية

الإسلامية المستخلصة من سورة الأنعام

تمهيد:

تعتبر سورة الأنعام من السور التربوية المهمة لما انطوت عليه من قضايا اعتقادية، أخلاقية، معرفية، تشريعية، تربوية تشكل في مجموعها إطاراً عاماً لنظرية تربوية متكاملة يمكن أن تسهم إلى حد كبير في إبراز منهاج تربوي متكامل بأهدافه ومحتواه وطرق تدريسه وأنشطته التربوية وتكوينه، ويكون ذا فاعلية أكثر في إعداد النشء وتربيتهم التربية الإسلامية الحقّة .

المبحث الأول: مفهوم المنهاج التربوي:

مفهوم المنهاج لغة: المنهاج من نهج والنهج الطريق الواضح، ونهج الأمر وأنهج وضح ومهج الطريق ومنهاجته، قال: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: 48)، ومنه قوله: نهج الثوب وأنهج بان فيه أثر البلى، وقد أنهجه البلى¹، والمنهاج هو الطريق الواضح البين، وقيل هو الطريق المستقيم² .

المنهاج التربوي اصطلاحاً: عرف المنهاج تعريفات عدة كانت متداخلة في بعض

اجزائها ومتفاوتة أحياناً منها:

¹ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 509، مادة (نهج).
² ابن منظور، لسان العرب، باب نهج، ج 2، ص 383، والزبيدي، تاج العروس، ج 6، ص 251 .

1. " مجموع الخبرات التربوية - الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية - التي تهيئها

المدرسة لتلاميذها داخل المدرسة وخارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع

النواحي، وتعديل سلوكهم طبقاً لأهدافها التربوية "1.

2. " مجموع الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة تحت إشرافها للتلاميذ بقصد

احتكاكهم بهذه الخبرات وتفاعلهم معها، ومن نتائج هذا الاحتكاك والتفاعل يحدث تعلم أو

تعديل في سلوكهم يؤدي إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل الذي هو الهدف الأسمى

للتربية "2.

3. " جميع أنواع النشاط التي يقوم بها التلاميذ، أو جميع الخبرات التي يمرون فيها تحت

إشراف المدرسة وبتوجيه واحد، سواء أكان ذلك في داخل أبنية المدرسة أم في خارجها،

أو هو حياة التلاميذ التي توجهها المدرسة وتشرف عليها، سواء في داخل أبنية المدرسة

أو في خارجها "3.

4. " مجموعة متنوعة من الخبرات التي يتم تشكيلها والتي يتم إتاحة الفرص للمتعلم

للمرور بها، وهذا يتضمن عمليات التدريس التي تظهر نتائجها فيما يتعلمه التلاميذ، وقد

يكون هذا من خلال المدرسة أو مؤسسات اجتماعية أخرى تحمل مسؤولية التربية،

ويشترط في هذه الخبرات أن تكون منطقية وقابلة للتطبيق والتأثير "4.

5. " نظام متكامل من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والخبرات والمعارف

والمهارات الإنسانية المتغيرة التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها،

بقصد إيصالهم إلى مرتبة الكمال التي هيأهم الله لها، وبذلك يكونون قادرين على القيام

¹ سرحان، الميرداس وكامل، منير، المناهج، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، د. ط، د. ت، ص 7.

² عبد الموجود، محمد عزت وآخرون، أساسيات المنهج وتنظيماته، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ط 2، 1979 م، ص 13.

³ إبراهيم، عبد اللطيف فؤاد، المناهج: أسسها وتنظيماتها وتقييم أثرها، القاهرة، مكتبة مصر، ط 3، 1972 م، ص 38.

⁴ اللقاني، أحمد حسين، المناهج بين النظرية والتطبيق، القاهرة، عالم الكتب، ط 4، 1995 م، ص 40؛ واللقاني، أحمد حسين، المنهج:

الأسس، المكونات، التنظيمات، القاهرة، عالم الكتب، ط 1، 1415 هـ - 1995 م، ص 16.

بحق الخلافة في الأرض عن طريق الإسهام بإيجابية وفاعلية في عمارتها وترقية الحياة

على ظهرها وفق منهج الله¹.

6. "مجموع الخبرات التربوية التي تهيؤها المدرسة للتلاميذ داخلها أو خارجها بقصد

مساعدتهم على النمو الشامل، أي النمو في جميع الجوانب - العقلية، الثقافية، الدينية،

الاجتماعية، الجسمية، النفسية والفنية - نمواً يؤدي إلى تعديل سلوكهم، ويعمل على

تحقيق الأهداف التربوية المنشودة"².

ملاحظات الباحث على تعريف المنهاج التربوي:

1. عدم اتفاق المختصين على تعريف واحد شامل للمنهاج الدراسي، حيث يلاحظ انطلاق

كل من المختصين في تعريفهم للمنهاج الدراسي كل حسب فلسفته ورويته للعملية

التربوية ومحاورها وذلك حسب مرجعيته فيها، ونظراً لذلك تعدد واختلاف مفهوم

المنهاج الدراسي .

2. يوجد اتفاق على أن المنهاج يشتمل على أهداف، ومحتوى، ووسائل وأساليب، وتقييم.

3. يوجد اتفاق على أن المنهاج بحاجة إلى تخطيط مسبق لإعداده .

4. المنهاج لأي أمة يكون بناءً على تصور الأمة، نحو الإنسان والكون والحياة .

5. لا بد من جهة رسمية تشرف على عملية إعداد المناهج وتنفيذها وتطويرها .

6. يلاحظ في التعريفات وجود مدخلات وعمليات ومخرجات، وأن الهدف الأسمى من

وجود المنهاج هو تعديل سلوك المتعلم وإكسابه مهارات وخبرات معرفية تربوية تعينه

على الانخراط في الحياة .

¹ مذكور، علي أحمد، مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي، بحوث المؤتمر التربوي، مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، تحرير: فتحي حسن ملكاوي، ج 2، عمان، الشركة الجديدة للطباعة والنشر، د . طه 1412 هـ - 1991 م، ص 60 .
² الركيل، حلمي ؛ والمفتي، محمد أمين، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، القاهرة، مطبعة حسان، د . طه 1982 م، ص 510 .

7. غلب على تعريف المنهاج صفة الجمود، فلم يلاحظ وجود إشارة إلى فكرة تطوير

وتحديث المنهاج المدرسي بما يتناسب الوقت الذي سيتم فيه تنفيذه .

وعليه يمكن للباحث أن يصوغ التعريف التالي للمنهاج التربوي فهو: كل ما يمر به المتعلم من أنشطة وخبرات ومعارف مخطط لها ومصممة وفق أسس ومعايير وقواعد متفق عليها قابلة للتحديث والتطوير، قائمة على مجموعة من الأهداف المحددة والمصاغة من فكر الأمة ومرجعيتها، منظمة في محتوى دراسي ملائم ينفذ باستخدام طرق تدريسية متنوعة مناسبة لقدرات وحاجات ورغبات وميول واتجاهات المتعلمين، تسعى من خلال ذلك لتحقيق النمو الشامل لجميع جوانب المتعلم النفسية والعقلية والاجتماعية والجسمية، يتم قياس ذلك من خلال عناصر تقويمية متنوعة، ينفذ ويتابع من قبل جهات رسمية محددة تشرف عليه إشرافاً مباشراً من حيث الإعداد والتنفيذ والتطوير المستمر، سواء كان ذلك داخل مؤسسات تعليمية تربوية متخصصة أم خارجها .

المنهاج التربوي من منظور اسلامي:

1. "مجموعة المعارف والقيم الخالدة والمكتسبة التي يتفاعل معها الطلبة تحت إشراف

المدرسة بقصد إيصالهم إلى كمالهم الإنساني المتمثل في العبودية لله سبحانه وتعالى

باتباع طرق تدريس وطرق تقويم ملائمة" ¹ .

2. " الحقائق الخالدة المستمدة من الكتاب والسنة والخاصة بالإله والرسول وبجميع الأمور

الغيبية وجميع المعارف والأنشطة التي تتضمنها المدرسة وتشرف عليها بقصد إيصال كل

متعلم لى كماله الإنساني بإقراره بالعبودية لله سبحانه وتعالى" ¹ .

¹ صالح، عبد الرحمن وآخرون، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1411 هـ - 1991 م، ص 70 .

ويمكن للباحث صياغة التعريف التالي للمنهاج التربوي من منظور إسلامي فهو: كل ما يمر به المتعلم من أنشطة وخبرات ومعارف مخطط لها ومصممة وفق أسس ومعايير وقواعد متفق عليها قابلة للتحديث والتطوير، ومستخلصة من القرآن الكريم والسنة النبوية، قائمة على مجموعة من الأهداف المحددة والمصاغة من فكر الأمة الإسلامية وعقيدتها، منظمة في محتوى دراسي ملائم ينفذ باستخدام طرق تدريسية متنوعة مناسبة لقدرات وحاجات ورغبات وميول واتجاهات المتعلمين، تسعى من خلال ذلك لتحقيق النمو الشامل لجميع جوانب المتعلم النفسية والعقلية والاجتماعية والجسمية، يتم قياس ذلك من خلال عناصر تقويمية متنوعة، ينفذ ويتابع من قبل جهات رسمية محددة تشرف عليه إشرافاً مباشراً من حيث الإعداد والتنفيذ والتطوير المستمر، سواء كان ذلك داخل مؤسسات تعليمية تربوية متخصصة أم خارجها .

المبحث الثاني: التطبيقات التربوية في مكونات المنهاج التربوي:

" يتكون المنهاج التربوي من عناصر أربعة بينها تداخل وترابط عضوي، بحيث يؤثر كل منها في العناصر الأخرى، وهذه العناصر الأربعة هي: الأهداف، والمحتوى، والأنشطة والتقويم"²، " وكل عنصر من هذه العناصر يشكل نظاماً فرعياً من ضمن النظام الكلي"³، وفيما يلي بيان التطبيقات التربوية لأصول النظرية التربوية الإسلامية المستخلصة من سورة الأنعام في هذه العناصر .

¹ عبدالله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي، أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1405 هـ - 1985 م، ص 23 .

² الجلاء، تدريس التربية الإسلامية، ص 402 .

³ مرعي، توفيق أحمد ؛ الحيلة، محمد محمود، المناهج التربوية الحديثة، مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، عمان، دار المسيرة، ط 4، 1425 هـ - 2004 م، ص 71 .

المطلب الأول: التطبيقات التربوية في الأهداف التربوية:

تمهيد:

" التربية عملية هادفة مقصودة تقوم على منظومة متكاملة من الأهداف والغايات التربوية التي نوط العملية التربوية وتحدد لها منطلقاتها وأسسها، وإلا سارت بغير وعي ولا إرشاد، والبحث في أهداف التربية الإسلامية أمر هام وضروري، ذلك لمكانة الأهداف في العملية التربوية وللأزمة التي تمر بها التربية المعاصرة في مجال الأهداف واحتدام الخلاف حولها إضافة إلى عدم وضوح الأهداف في المؤسسات التربوية القائمة في العالم العربي والإسلامي"¹، " ويعد تحديد الأهداف من الأمور البالغة الأهمية في المجال التربوي في كل مستوياته، وقد أهتم المربون بالأهداف إهتماماً كبيراً بكونها الخطوة الأساسية التي تساعد على رسم التخطيط وأوجه النشاط الأخرى"²، " وهي نقطة البداية لعمليات المنهج التربوي سواء ما يتصل منها بالناحية التخطيطية أو ما يتصل منها بالناحية التنفيذية"³، " ذلك لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً في المكونات الأخرى وهي: المحتوى، وطرق التدريس، والتقويم، وترتبط الأهداف ارتباطاً عضوياً بالعقيدة السائدة في المجتمع"⁴.

¹ ينظر: الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط 1، 2005 م، ص 9 - 11؛ والجلاد، ماجد زكي، تدريس التربية الإسلامية، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 1425 هـ - 2004 م، ص 121.

² الزبيدي، سلمان عاشور مجلي، أسس المناهج المدرسية، ليبيا، مطابع الوحدة العربية، ط 1، 2002 م، ص 51.

³ اللقاني، المناهج بين النظرية والتطبيق، ص 199.

⁴ عبدالله، عبدالرحمن صالح، المنهاج الدراسي، الرياض، د. ن، ط 1، 1986 م، ص 85.

أولاً: مفهوم الهدف التربوي:

يقصد بالهدف التربوي: تلك التغيرات المرغوبة التي تسعى التربية إلى تحقيقها، وقد تكون للنظم التربوية ككل، وقد تكون لمرحلة معينة من مراحل التعليم، وقد تكون لنوع معين من التعليم كتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية¹.

والهدف التربوي هو: " النهاية التي يرجى وصول المتعلم إليها، بعد الإنتهاء من تنفيذ المنهج"².

أو هو السلوك المتوقع تحقيقه أو إظهاره من قبل الشخص المتعلم الذي يجري تعليمه، ويتم ذلك من خلال تمرير هذا المتعلم بمجموعة من الخبرات التعليمية التي يتفاعل فيها مع العديد من المكونات المادية وغير المادية، وينهمك فيها بممارسة العديد من النشاطات التعليمية التي تسهم في مساعدة هذا المتعلم على الوصول إلى الهدف المنشود³.

ويمكن للباحث أن يعرف الهدف التربوي في التربية الإسلامية على أنه: التغير الإيجابي الذي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقه لدى الفرد من خلال تعريضه لمجموعة من الخبرات والمعارف والأنشطة المخطط لها والمصممة وفق أسس ومعايير وقواعد متفق عليها وقابلة للتحديث والتطوير، والمستخلصة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك باستخدام طرق تدريسية مناسبة وتقويم ملائم، سواء كان ذلك داخل مؤسسة تعليمية متخصصة أم خارجها .

¹ الشيباني، عمر محمد، فلسفة التربية الإسلامية، ليبيا، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، دط، 1985 م، ص 32 .

² اللقاني، أحمد حسين، المنهج بين النظرية والتطبيق، ص 216 .

³ حسن، عيد علي محمد، النهج الدراسي، البحرين، دار الثقافة، ط 1، 1414 هـ - 1993 م، ص 141 .

وتصنف الأهداف التربوية الى ثلاثة مجالات بحسب التصنيف الأشهر لبloom¹ وهي:

1. المجال المعرفي (الفكري): " ويشمل هذا المجال الأهداف التي تركز على القدرات

والعمليات العقلية التي تتصل بمعرفة الحقائق وعملية الفهم والتذكر ومعرفة الطرق

والأساليب الخاصة بمعالجة المعلومات وبناء المفاهيم والمبادئ والتعميمات².

2. المجال الحركي (النفسي): " يهتم المجال النفس - حركي بتكوين المهارات

وتتميتها التي تتطلب استخدام أو تنسيق عضلات الجسم في التداول والبناء والعمل،

وكثير من الخبرات التعليمية التي تصنف كمهارات فسيولوجية في الإبداع وممارسة

الفنون والرياضة يمكن أن تصنف في هذا المجال، كما يشمل أيضاً مهارات الكتابة

والتحدث والمهارات العملية سواء في العلوم الطبية أو الهندسية أو التكنولوجية أو

التربية الأسرية³.

3. المجال الوجداني (التأثيري): " ويختص هذا المجال بما يكتسبه المتعلم من

اتجاهات واهتمامات وميول وقيم واعتقادات، ويتم الاهتمام بأنماط السلوك التي تعد

أحسن المؤشرات الممكنة لاكتساب مثل هذه المخرجات للتعلم، وتعزى أهمية

الأهداف في هذا المجال لكونه يوجه سلوك الإنسان ويحركه، فالبناء الوجداني

للشخص يسهم بدرجة كبيرة في دفعه لممارسة سلوك ويبعده عن آخر⁴.

¹ بلوم، بنيامين وآخرون، تقييم تعلم الطالب التجميعي والتكويني، ترجمة محمد أمين المفتي، القاهرة، دار ملجروهيل، د.ط. 1983 م، ص 72.

² الخليفة، حسن جعفر، المنهج المدرسي المعاصر المفهوم الأسس المكونات التنظيمات، الرياض، مكتبة الرشد، د.ط. 1424 هـ - 2003 م، ص 138.

³ الخليفة، حسن جعفر، المنهاج الدراسي المعاصر، ص 144.

⁴ الملكاوي، أساسيات المنهاج، ص 190.

الأهداف التربوية المستخلصة من أصول النظرية التربوية الإسلامية المستخلصة من

سورة الأنعام ومجالاتها:

أولاً : الأصل العقدي : يستخلص منه الأهداف التالية :

1. الإيمان بالله سبحانه وتعالى رباً وخالقاً ، وفهم حقيقة الربوبية والألوهية .
2. الاعتزاز بالإيمان بالله سبحانه وتعالى .
3. معرفة أسماء الله وصفاته ومدلولاتها ومعانيها وتوظيفها في حياته العملية .
4. تنمية قيم الخوف والرجاء من الله سبحانه وتعالى .
5. توظيف قيم الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته في حياته العملية .
6. تعظيم الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله .
7. فهم المصطلحات الإيمانية فهماً عميقاً ومعرفة معانيها من مصادرها الصحيحة .
8. تعميق قيم الحب والشكر لله سبحانه وتعالى على نعمه وآلائه الكثيرة والمتعددة .
9. الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام جميعاً دون تفریق ، وآخرهم محمد ﷺ .
10. تقدير قيمة الرسل جميعاً ودورهم في إخراج الناس من الظلمات إلى النور .
11. الاقتداء بالرسول الكرام جميعاً في أخلاقهم وصبرهم وتحملهم الأذى .
12. تمثيل دور الرسل الكرام في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

13. تنمية قيم الاعتزاز بالرسول ومحبتهم ، واعتبارهم المثل الأعلى .

14. الإيمان بالملائكة وأنهم من مخلوقات الله تعالى .

15. يتعرف على مفهوم الملائكة وطبيعة خلقهم .

16. يتعرف على خصائص الملائكة .
17. يتعرف على الوظائف الموكولة إلى الملائكة .
18. تنمية قيم الرقابة الذاتية من خلال إيمانه بالملائكة وتسجيلهم للأعمال .
19. الاعتزاز بالملائكة ومحبتهم .
20. الإيمان بالكتب السماوية ، وأن خاتمها القرآن الكريم .
21. تقوية الصلة بالقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتفسيراً وتطبيقاً .
22. تقديس القرآن الكريم باعتباره معجزة الرسول الخالدة وكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .
23. الإيمان باليوم الآخر ، وأن وعد الله حق .
24. إعداد المتعلم لتحمل المسؤولية وتهيئته للسؤال عن أعماله الظاهرة والباطنة .
25. الاستعداد التام والمستمر للقاء الله سبحانه وتعالى .
26. الإيمان بالقدر وأنه من الله سبحانه وتعالى .
27. تنمية قيم الصبر وتحمل المشاق من خلال الإيمان بالقدر .
28. يتعرف المتعلم على المفاهيم المتعلقة بالقضاء والقدر ويفرق بينهما .
29. تنمية روح المبادرة والإقدام والشجاعة من خلال الإيمان بالقضاء والقدر .
30. تنمية قيم الإيجابية والعمل والنشاط من خلال الإيمان باليوم الآخر .

ثانياً : الأصل المعرفي : يستخلص منه الأهداف التالية :

1. إدراك العلاقة الوثيقة بين العلم والإيمان .
2. يتعرف على أهمية العلم في الإسلام .

3. إدراك فضل العلماء المسلمين وجهودهم .
4. تعميق قيم الإيمان بالله سبحانه وتعالى من خلال المعارف الموجودة في الكون .
5. يتعرف على المفاهيم الواردة في الأصل المعرفي ويفهمها .
6. يدرك العلاقة بين مصادر المعرفة ووسائل اكتسابها .
7. يفرق بين مصادر المعرفة وطرق ووسائل اكتسابها .
8. فهم حقيقة الإنسان والكون والحياة .
9. يدرك محدودية العقل عن إدراك المعارف الغيبية .
10. يدرك العلاقة بين العلم والمعرفة .
11. يبين قيمة كل من السمع والبصر والفؤاد في إحراز وتنمية المعارف المختلفة لديه .
12. يبين عظمة الخالق جل وعلا من خلال خلق البشر كلهم على اختلاف أسنتهم وألوانهم من أصل واحد وهو آدم عليه الصلاة والسلام .
13. يقدر قيمة العقل ودوره في الإعلاء من شأن الإنسان وتميزه به عن غيره من المخلوقات .
14. تنمية محبة العلم والمعرفة النافعين في نفس الطالب .

ثالثاً : الأصل التشريعي : يستخلص منه الأهداف التالية :

1. يتعرف الطالب على المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالتشريع الإسلامي .
2. يدرك الطالب أهمية جعل التشريع بيد الله سبحانه وتعالى .
3. إدراك قيمة العبادات وآثارها في الحياة العلمية .
4. أداء العبادات على الوجه الذي شرعه الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ .

5. الاستزادة من الأحكام الشرعية التي تؤهله للتمييز بين الحلال والحرام .
6. ملاحظة شمولية التشريعات الإسلامية لكل مجالات الحياة .
7. تعميق ولاء الطالب للإسلام واعتزازه لتشريعته المختلفة .
8. تنمية قدرات الطالب على الربط بين النص التشريعي والحكم الشرعي المستخلص منه.
9. يتعرف الطالب على سمات التشريع الإسلامي .
10. يدرك الطالب عظمة التشريع الإسلامي من خلال تميزه عن غيره من التشريعات .
11. يقدر الطالب صلاحية التشريع الإسلامي لكل زمان ومكان .
12. يدرك الطالب عظمة المشرع الكريم من خلال ملاحظته لسمو التشريعات الإسلامية .
13. يسعى الطالب لتطبيق التشريعات الإسلامية عملياً في واقع الحياة .

رابعاً : الأصل الأخلاقي : يستخلص منه الأهداف التالية :

1. بيان معنى الأخلاق لغة واصطلاحاً .
2. تحفيز الطالب على التحلي بالأخلاق الكريمة والدعوة إليها .
3. النفور من الأخلاق الذميمة ومحاربتها .
4. تنمية القيم والاتجاهات الإسلامية في نفس الطالب .
5. تنمية روح التعاون في نفس الطالب .
6. تنمية قيم الالتزام بالنظام والمحافظة عليه .
7. يتبين الطالب واجبه تجاه مجتمعه وأمه الإسلامية .
8. حماية الطالب من الانحراف السلوكي والأخلاقي .
9. تحقيق الفهم الإسلامي الصحيح لمعاني الأخلاق الإسلامية .

10. الاسهام في العمل على وحدة الأمة وألفتها .
11. الاسهام في استعادة تميّز الأمة الإسلامية .
12. تحقيق وسطية الأمة وشهادتها على الأمم .
13. فهم التصور الإسلامي للحكم الشرعي للأخلاق الإسلامية .
14. إدراك قيمة الأخلاق الإسلامية وأثرها في واقع الحياة .
15. ترسيخ فكرة الأخوة الإسلامية .
16. الاهتمام بإعداد الإنسان وفق منهج الله سبحانه وتعالى .
17. بناء مجتمع إسلامي فاضل متماسك يقوم على أساس الدين والخلق .
18. العمل على تحقيق قيم العدل والمساواة في المجتمع الإسلامي .
19. الاعتزاز بالانتساب للمجتمع الإسلامي ولجماعة المسلمين .
20. بناء مجتمع إسلامي قوي وموحد يسوده الوفاق والانفاق والولاء للدين والأمة .
21. الشعور بالاعتزاز بالدين وميراث السلف الصالح .
22. دعم الجوانب الروحية والدينية في الأمة .
23. بناء مجتمع إسلامي سليم .
24. تكوين الإنسان الذي يقدر أهمية الأسرة وتماسكها وتحمل مسؤوليته تجاهها .
25. تكوين الإنسان السليم القادر على الاستعمال الحكيم لأوقات فراغه .
26. تكوين الإنسان المهذب في ذوقه ، والقادر على تذوق الجمال .
27. بناء الشخصية المتزنة في ذوقها وعواطفها .
28. بناء الشخصية المسلمة المتمسكة بتعاليم دينها والمتخلقة بالأخلاق الفاضلة .
29. تكوين الإنسان المتمسم بالكفاية الاجتماعية المدرك لحقوقه وواجباته .

30. إعداد الإنسان الصالح القادر على عمارة الأرض وتطويرها وفق شرع الله ومنهجه .

31. حماية المتعلمين الناشئين من الزيغ والانحراف .

خامساً : الأصل النفسي : يستخلص منه الأهداف التالية :

1. يبين معنى النفس في اللغة وعند علماء المسلمين .
2. يفرق بين النفس والروح والقلب وغيرها من المفاهيم ذات الصلة .
3. بناء الشخصية المطمئنة بإيمانها بربها وبأركان الإيمان الأخرى .
4. بناء الشخصية المستقرة نفسياً والمتكيفة مع نفسها وغيرها من أفراد المجتمع .
5. الاهتمام بتربية النفس والروح التربوية الإسلامية الحقة النابعة من الكتاب والسنة .
6. إشباع حاجات الإنسان النفسية في ضوء تعاليم الإسلام وضوابطه .
7. تحقيق الفهم الصحيح لطبيعة النفس الإنسان وخصائصها .
8. تكوين الإنسان المتوازن جسداً وفكراً وروحاً .
9. تكوين الفهم الصحيح للصحة النفسية وأهميتها ودورها في تحقيق الراحة والاطمئنان النفسي .
10. تحقيق الفهم الصحيح للمرض النفسي وآثاره .
11. النفور من الأمراض النفسية ومحاربتها وقائياً وعلاجياً .
12. تنمية روح التفاؤل والأمل والإيجابية والعمل .
13. تحقيق التوازن الشخصي في نفس الطالب بحيث يكون قادراً على أداء دوره بنجاح .
14. تحقيق الاطمئنان والاستقرار النفسي والعاطفي والفكري .
15. الشعور بالعزة والاستعلاء بهذا الدين .

المبحث الثالث: التطبيقات التربوية في طرق التدريس الواردة في سورة الأنعام:

المطلب الأول: مفهوم طريقة التدريس لغة واصطلاحاً:

أولاً: الطريق لغة: السبيل أو السيرة والمذهب، فطريقة الرجل تعني مذهبه¹. قال

تعالى: «وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا» (الجن: 16).

قال القرطبي²: أي لو استقاموا على طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين

طائفتين .

قال ابن عاشور³: الاستقامة على الطريقة: استقامة السير في الطريق وهي السير على

بصير بالطريقة دون اعوجاج ولا اغترار بثنيات الطريق، والطريقة أي الطريق الواسع

الواضح.

قال الراغب الأصفهاني⁴: الطريق: السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب، وعنه

استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً .

ثانياً: طريقة التدريس اصطلاحاً: الطريقة تعني: سلسلة من النشاط الموجه للمدرس

الذي ينتج عنه تعلم لدى التلاميذ⁵.

¹ مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، دار إحياء التراث العربي، دط، دت، ج 2، ص 562 .

² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 19، ص 18 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 221 .

⁴ الراغب الأصفهاني، المفردات، (باب طرق)، ص 303 .

⁵ سالم، عبد الرشيد عبد العزيز، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الكويت، دار البحوث العلمية، ط 2، 1399 هـ - 1979 م، ص 262 .

وتعرف كذلك على أنها جميع أوجه النشاط الموجه الذي يقوم به المدرس بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التغيير المنشود في سلوكهم وبالتالي مساعدتهم على اكتساب المعلومات والمعارف والمهارات والعادات والاتجاهات والميول والقيم المرغوبة¹.

وتعرف كذلك على أنها الخطوات التفصيلية المتسلسلة التي تقود إلى هدف محدد، وهي ليست جامدة بل تعتمد على التفاعل بين طرفي عملية التربية وهما المعلم والطالب².

وتعرف كذلك على أنها سائر النشاطات والتصرفات الموجهة التي تمارس في الموقف التعليمي وتوصل المتعلمين إلى الأهداف المحددة³.

يلاحظ على التعريفات السابقة:

1. أن الطريقة عبارة عن نشاط يقوم به المدرس تجاه التلاميذ .
2. أن الطريقة التعليمية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأهداف التعليمية، إذ الهدف منها تحقيق الأهداف التربوية المنشودة .
3. الطريقة الناجحة لا تنسم بالجمود أو الإقتصار على أداء المعلم نحو الطلبة، إنما تتعدى ذلك لتشمل جميع نشاطات الطلاب المنضبطة والموجهة، بحيث يصبح التدريس عملية تفاعل ما بين المعلم والمتعلمين .

¹ الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 405 .
² الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط 2، 1405 هـ - 1985 م، ص 440 - 441 .
³ عبدالله، عبد الرحمن صالح وآخرون، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، ص 133 .

وعليه يمكن للباحث أن يستخلص التعريف التالي لطريقة التدريس:

سلسلة من التفاعلات التي تتم بين معلم متدرب مؤهل ومجموعة متعلمين يتم خلالها نقل محتوى المنهاج التربوي وتبادل الخبرات بما يحقق الأهداف التربوية المنشودة ضمن فترة زمنية محددة .

وهذا التعريف يميزه عن غيره:

1. لم يجعل المتعلم مجرد متلقي، إنما جعله جزءاً من عملية التفاعل يستفيد وقد يفيد .
2. لم يحصر الطريقة بعملية التلقين إنما تجاوزتها إلى كل أنواع النشاط المنظم الذي يمكن ممارسته بما يناسب احتياجات وقدرات وميول واتجاهات المعلمين .
3. تحديد الهدف الأسمى للطريقة وهو نقل محتويات المنهاج الدراسي والذي نهدف من خلاله إلى تحقيق الأهداف المنشودة .
4. مراعاة عامل الزمن في طرق التدريس .
5. الاهتمام بتأهيل المعلم الذي سينفذ عملية التدريس .

المطلب الثاني: أمثلة على طرق التدريس الواردة في سورة الأنعام:

أولاً: الملاحظة والخبرة: دعت العديد من الآيات في سورة الأنعام الإنسان إلى النظر

والملاحظة والتفكير للوصول إلى الخبرة التعليمية الكافية لتعلمه، من ذلك:

1. النظر في عواقب الأمم السابقة من أجل أخذ العظة والعبرة مما آل إليه حالهم حين

أصروا على عنادهم واستكبارهم وتكذيبهم لرسولهم فلم ينفعهم ذلك من بطش الله حين

بطش بهم، وأذاقهم العذاب حتى أصبحوا عبرة لمن يعتبر، قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي

الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (الأنعام: 11).

قال الطبري¹: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين ﴿ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ جولوا

في بلاد المكذبين رسلهم الجاحدين آياتي من قبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس، ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم الهلاك والعطب وخزي الدنيا وعارها، وما حل بهم من سخط الله عليهم من البوار وخراب الديار وعفو الآثار، فاعتبروا به، فاحذروا مصارعهم، واتقوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم .

قال البغوي²: أي سيروا معتبرين بحال المكذبين كيف أورثهم الكفر والتكذيب الهلاك،

فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية، والسير قد يكون بالعقول والفكر، ويحتمل السير بالأقدام .
فهذه دعوة قرآنية للسير في الأرض ودراسة أحوال الأمم السابقة وما حل بها نتيجة تكذيبها لرسولها وعنادها واستكبارها واستخلاص النتائج التي تعين على فهم المقصود من الخطاب وترك العناد والاستكبار لئلا يحل بهم ما حل بأسلافهم من الأمم الغابرة.

قال النسفي³: فيها إباحة السير في الأرض والتجارة، وغيرها وإيجاب النظر في آثار

الهالكين، أي لا تسيروا سير الغافلين .

قال الخازن⁴: المراد بالنظر نظر العين، والمعنى: انظروا بأعينكم إلى آثار الأمم

الخالية والقرون السابقة وانظروا كيف كان جزاء المكذبين وكيف أورثهم الكفر والتكذيب

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 166 .

² البغوي، معالم التنزيل، ج 3، ص 130 .

³ النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 2008 م، ج 2، ص 319 .

⁴ الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، تحقيق: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1415 هـ، ج 2، ص 101 .

الهلاك، فحذر كفار مكة عذاب الأمم الخالية، قيل سيروا في الأرض معتبرين ومنفكرين، وقيل هو سر الأقدام .

قال الشعراوي¹: يعني أن الإنسان قد يسير في الأرض للتجارة والزراعة أو لأي عمل، وعليه أن يتفكر في أثناء ذلك وأن يتأمل، إذن فهناك سير للاعتبار، وسير للمصلحة، والسير للاعتبار يأخذ الإنسان العبرة مباشرة، أما السير للمصلحة فهو أن يأخذ الإنسان العبرة ضمن المصلحة، وكان سير قريش بقوافلها إلى الشام واليمن يجعلها قادرة على أن ترى آثار المكذبين سواء من أهل ثمود أو قوم عاد أو غيرهم، وكان عليهم أن يأخذوا العبرة في أثناء سعيهم لتجارتهم .

فالنظر في أثناء السير يقود الإنسان إلى ملاحظة ما حل بالأمم السابقة من دمار وخراب فيقتنع يقيناً أن التكذيب نهايته وخيمة، وأنه إن أصر على كفره وعناده سيعاقب بما عوقب به من قبله، فالإنسان أكثر ما يقتنع ويصدق الأشياء التي يدركها بحواسه ويعاينها معاينة مباشرة، لأن ذلك يوصله إلى درجة اليقين القلبي والطمأنينة القلبية .

ومن الأمثلة على الملاحظة والخبرة كذلك في سورة الأنعام قوله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)﴾

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (76)

فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ

قَالَ يَا قَوْمِ إِيَّايَ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) ﴿ (الأنعام: 75 - 78) .

¹ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 2443 .

قال الطبري¹: إن الله أرى إبراهيم ملك السماوات والأرض وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها لتكون ممن يقر بتوحيد الله، ويعلم حقيقة ما هداه له وبصره إياه، من معرفة وحدانيته، وما عليه قومه من الضلالة، من عبادتهم الأصنام، واتخاذهم آلهة من دون الله تعالى.

قال الزمخشري²: كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينههم عن الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدٍ إلى أن شيئاً منها لا يصلح أن يكون إلهاً لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها، وصانعاً صنعها، وقدير دبر طلوعها وأقولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، وقوله «هَذَا رَبِّي» قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهب لأن ذلك أدعى إلى الحق، وأنجي من الشغب، ثم ينكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة «لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ» لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين على حال إلى حال، المنتقلين من مكان إلى مكان، المحتجبين بستر، فإن ذلك من صفات الأجرام، «بَارِغًا» مبتدئاً في الطلوع، «لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي» تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهاً وهو نظير الكوكب في الأفلو فهو ضال، وإن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه، «هَذَا أَكْبَرُ» من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصمه «إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ» من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها.

¹ الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 475.
² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 334.

بينت الآيات السابقة أن كل ما يعترضه الحدوث من بزوغ وأقول من الكواكب والنجوم لا يعقل أن يكون إلهاً يعبد ذلك لأن المسلمة لدى الإنسان أن ما يتغير حاله من القوة إلى الضعف أو عكسه ومن حال الظهور إلى الخفاء وعدم استقرار حاله لا يصلح أن يكون إلهاً، فجيء بالمعرفة الحسية الناتجة عن الملاحظة والتجريب بالنظر إلى الكواكب وبزوغها وأقولها، ثم مقابلة هذه المعرفة بالمسلمة الموجودة في ذهن الإنسان عن الإله الذي ينبغي أن يعبد لتكون النتيجة أن المستحق للعبادة هو من يتصف بصفات الكمال المحدث لكل حادث وهو الله سبحانه وتعالى، كان ذلك واضحاً من ختم المناظرة بين إبراهيم وقومه بقوله: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴾ أي أن اعتبار هذه الكواكب والنجوم غير المستقرة على حال إلهاً لهو عين الضلال .

ولم يكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام باحثاً عن ربه في هذه الآيات، إنما جاء بها على سبيل مجارة الخصم ومسايرته للوصول إلى الحجة البالغة والدافعة لما يذهب إليه فيكتشفها الخصم بنفسه فلا يجد لنفسه مخرجاً، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية الملاحظة في الوصول إلى المعرفة والعلم والحقيقة¹.

وبناءً على ما سبق من بيان لأهمية الملاحظة في العملية التعليمية فإن على القائمين على عملية التدريس أن يوجهوا أنظارهم إلى طريقة الملاحظة والخبرة في التدريس؛ وذلك بتمية قدرات المتعلمين على النظر في آيات الآفاق والأنفس للوصول إلى عميق الإيمان واليقين القلبي، ثم الاستفادة من هذه الطريقة في تعليم وتدريب المتعلمين على القيام بالمهام المختلفة وأداء العبادات وما يتعلق بها، فإن ذلك أدعى إلى تقبلها وحسن تطبيقها وأدائها على الوجه

¹ ينظر: الألمعي، زاهر، مناهج الجدل في القرآن الكريم، د.م، دطه 1404 هـ - 1984 م، ص 190 .

الأمثل، كالصلاة والحج والوضوء وغيره، ولذلك قال الرسول ﷺ " صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصَلَّى"¹، تأكيداً على أهمية النظر والمحاكاة والملاحظة والخبرة .

ثانياً: القدوة: القدوة لغة الأصل الذي تنتشعب فيه الفروع²، ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل: اتباع أثره والأخذ بهديه، يقال فلان يقدوا فلاناً، إذا نحا نحوه واتبع أثره، قَدَّةً وَقُدْوَةً قَدْوَةً قَدِيَّةً³ .

والاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله⁴ .

والاقتداء افتعال من القدوة، بضم القاف وكسرها وقياسه على الإسوة يقتضي أن الكسر فيه أشهر، والقدوة هو الذي يعمل غيره مثل عمله، ولا يعرف له في اللغة فعل مجرد، فلم يسمع إلا (اقتدى)، وكانهم اعتبروا القدوة اسماً جامداً واشتقوا منه الاقتداء للدلالة على التكليف، وقد تستعمل القدوة اسم مصدر لاقتدى، يقال: لي فلان قدوة، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الممتحنة: 6)⁵.

الاقتداء في الأصل طلب الموافقة، ويقال قدوة، وقدوة، وأصله من القدوة وهو أصل البناء الذي ينتشعب منه تصريف الاقتداء، قال الواحدي: الاقتداء في اللغة: الإتيان بمثل فعل الأول لأجل أنه فعله⁶.

¹ البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب الأذان للمعاقرة إذا كانوا جماعة والإقامة، ج 1، ص 162؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج 2، ص 345، حديث رقم: 4022؛ وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، دم، مؤسسة الرسالة، دط، دت، ج 4، ص 543، صحيح على شرط البخاري .

² مصطفى إبراهيم، المعجم الوسيط، ج 2، ص 727 .

³ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 392 .

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 7، ص 35 .

⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 206 .

⁶ ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، تفسير اللباب لابن عادل، بيروت، دار الكتب العلمية، دط، دت، ج 1، ص 271 - 272 .

والاقتداء: اتباع الأثر في القول والفعل والسيره¹. والاقتداء: متابعة الشخص لمن يرى

أنهم أفضل منه فكراً ومنهجاً وسلوكاً اتباعاً قائماً على بيّنة وحجة ودليل في أي مجال من مجالات الحياة .

والقدوة: هم نماذج بشرية كملت بهدى الله سبحانه وتعالى وتوفيقه، قدمت المنهج

الرباني بالصورة الواضحة العملية التطبيقية التي يسهل على غيرهم متابعتهم فيها في أي مجال من مجالات الحياة مؤيدين بالحجج والبراهين والمعجزات التي تساعد على قبولهم ومتابعتهم .

وعليه فإن القدوة من الطرق التدريسية المهمة والتي تساعد المتعلم على متابعة المعلم

ليسهل عليه قبول التعلم وتعديل السلوك، ولكن القدوة تحتاج من المعلم أن يقدم للمتعلم النموذج

البشري المتكامل الراقى مدعماً مواقفه وأفكاره وسلوكه بالحجج والبراهين والأدلة المقنعة للمتعلم

ليسهل عليه محاكاته وتقليده ذلك لأن المتابعة المباشرة من قبل المتعلم للمعلم دون دليل ولا حجة

يصبح فيها المتعلم مقلداً لمعلمه لا مقتدياً به، وتلك هي المتابعة غير الحائزة، لأن فيها عدم

احترام إنسانية الإنسان، وإهمال للعقل البشري وطمس للإرادة والاختيار، أما المتابعة الحائزة

فهي القائمة على وعي ودليل وحيد وصدق واختبار، كالاقتداء بأداء العبادات والأعمال

الصالحات، وعليه فإنه لا يحق لإنسان أن يؤمن بمجرد إيمان غيره دون حجة أو دليل أو اقتناع

عقلي، إنما عليه أن يدرك حقيقة الإيمان بنفسه إدراكاً واعياً عن حجة وبرهان ثم بعد ذلك يعلن

إيمانه².

¹ الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 1997 م، ج 1، ص 482 .

² ينظر: الشاطبي، الموافقات، ج 4، ص 159 - 162، وينظر: ابن عبد البر، يوسف بن عمر، جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الفكر، د طب، دت، ج 2، ص 143 .

ولذلك جاء التنديد بالذين يلغون عقولهم وتفكيرهم ويتبعون غيرهم من غير حجة ولا

دليل يبرر لهم هذا الاتباع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا

أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 170). قال

الطبري¹: أي إذا قيل لهؤلاء الكفار كلوا مما أحل الله لكم ودعوا خطوات الشيطان وطريقه،

وعملوا بما أنزل الله على نبيه ﷺ وفي كتابه، استكبروا عن الإذعان للحق، وقالوا: بل نأتم بأبائنا

فنتبع ما وجدناهم عليه، من تحليل ما كانوا يحلون وتحريم ما كانوا يحرمون، ﴿أَوْ لَوْ كَانَ

آبَاؤُهُمْ﴾ يعني آباء هؤلاء الكفار، ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من دين الله وفرائضه، وأمره ونهيه،

فيتبعون على ما سلكوا من الطريق ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ لرشد فيهدي بهم غيرهم ويقتدي بهم من

طلب الدين وأراد الحق والصواب، فكيف أيها الناس تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم فتنكرون ما

يأمركم به ربكم، وآباؤكم لا يعقلون من أمر الله شيئاً، ولا هم مصيبون حقاً، ولا مدركون رشداً،

وإنما يتبع المتبع ذا المعرفة بالشيء المستعمل له في نفسه، فأما الجاهل فلا يتبعه - فيما هو

جاهل - إلا من لا عقل له ولا تمييز .

وبين الرسول ﷺ خطورة التقليد القائم على غير دليل ولا معرفة ولا حجة بقوله ﷺ: " لَتَتَّبِعَنَّ

سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَدِرَاعًا بِدِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبًّا لَا تَبَعْتُمُوهُمْ" .

قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ آلِيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ قَالَ " فَمَنْ " ²، ولذلك نهى الله سبحانه وتعالى عن الاتباع

من غير علم ولا معرفة ولا دليل أو حجة فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ

¹ الطبري، جامع البيان، ج 3، ص 307 - 308 .

² البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج 4، ص 206، حديث رقم: 3456 ؛ مسلم، الصحيح، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ج 8، ص 57، حديث رقم: 6952 ، صحيح على شرط مسلم .

وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿ (الإسراء: 36) . قال القرطبي¹: أي لا تتبع ما لا تعلم .

قال الرازي²: أي لا تتبع ولا تقتف ما لا علم لك به من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوماً .

قال الزمخشري³: أي ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده، فهو ضال، والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولاً ظاهراً لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساد .

وقد جاءت الإشارة في سورة الأنعام إلى مبدأ القدوة بقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: 90) ، فقد ذكرت سورة الأنعام قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه وطريقة اهتدائه إلى الله واستسلامه له، ثم حاجة قومه له وإعلانه للتوحيد وبرأته من الشرك ومن قومه، ثم جاءت الآيات بعد ذلك تبين أن الأمن والاهتداء هو بالإيمان الحق الذي لا شريك فيه، بقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام: 82) ، وجاءت الآيات بعد ذلك بذكر إسحاق ويعقوب ونوح، وداوود وسليمان وأيوب وموسى وهارون، وزكريا ويحيى وإلياس واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً، وبعد هذا يأتي قول الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 257 ؛ والشوكاني، فتح القدير، ج 4، ص 308 .
² الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 339 .
³ الزمخشري، الكشاف، ج 15، ص 597 .

عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ (الأنعام: 88)، ثم يقول تعالى: ﴿

أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ (الأنعام: 89)، وبعد هذا الوصف

للأنبياء والرسل، وتوجيه الله لهم وتوفيقهم لهذه الهداية، جاءت الدعوة إلى خير البشر محمد ﷺ

أن يقتدي بهم في ذلك، بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (

الأنعام: 90)، قال الطبري¹: ﴿أُولَئِكَ﴾ هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها كافرين، هم

الذين هداهم الله لدين الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله

وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتفاء عما فيه نهيه، فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج

الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، وبالتوفيق الذي وفقناهم، اقتده يا محمد: أي فاعمل وخذ به

واسلكه، فإنه عمل الله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى .

قال الزمخشري²: ﴿أُولَئِكَ﴾ قيل هم أصحاب النبي ﷺ وكل من آمن به، وقيل كل

مؤمن من بني آدم، وقيل الملائكة، وادعى الأنصار أنها لهم، ﴿فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ اختص

هداهم بالافتداء، ولا تقتدر إلا بهم، وهذا معنى تقديم المفعول، والمراد بهم: طريقهم في الإيمان

بالله وتوحيده، وأصول الدين دون الشرائع، فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تتسخ، فإذا نسخت لم

تبق هدى، بخلاف أصول الدين، فإنها هدى أبداً .

قال ابن عاشور³: قوله: ﴿فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ تعريض للمشركين بأن محمد ﷺ ما جاء

إلا على سنة الرسل كلهم، وأنه ليس بدعاً من الرسل، وأمر النبي ﷺ بالافتداء بهداهم يؤذن بأن

¹ الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 391 .

² الزمخشري، الكشاف، ج 7، ص 336 .

³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 6، ص 206 .

الله زوى إليه فضيلة من فضائلهم التي اختص كل واحد بها سواء ما اتفق منه واتحد، أو اختلف وافترق، وإنما يقتدي بما أطلعه الله عليه من فضائل الرسل وسيرهم وهو الخلق الموصوف بالعظيم في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: 4) .

قال الجوزي¹: أي بشرائعهم وبسننهم فاعمل، واقتر بهم في صبرهم .

قال السلمي²: قيل أولئك الذين هدى الله لآداب عبادته وطرق خدمته، فاقتد بهم في آداب العبودية، قال الواسطي: هذبهم بذاته وقدسهم بصفاته، فأسقط عنهم الشواهد والأعراض ومطالبات الاعتراض، فلا لهم إشارة في سرائرهم ولا عبارة عن أماكنهم، وقيل: لا يصلح الاقتداء إلا بمن صحت بدائته وسلك سلوك السادات، وأثر فيه بركات شواهدهم، ألا ترى المصطفى عليه الصلاة والسلام يقول: " طُوبَى لِمَنْ رَأَىٰ ³ " أي فاز من أثر فيه رؤيتي، فقد أمر النبي ﷺ بالافتداء بأولئك الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وذلك باتباعهم هدى الله سبحانه وتعالى، وبمواقفهم الأخرى التي تبين صبرهم وثباتهم وتحملهم الأذى في سبيل دعوة أقوامهم، وأمر كذلك باتباع الوحي والافتداء به في قراءة القرآن، ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (القيامة: 18)، وتطبيق ما جاء به من الأحكام والتشريعات والأقوال والأفعال، على أتم وجه وأكمل صورة، قال تعالى: ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَأِلهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: 106)، ليكون بذلك قدوة لكل من جاء بعده عليه الصلاة والسلام،

¹ الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1987 م، ج 2، ص 373

² السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، 1421 هـ - 2001 م، ج 1، ص 207 - 208

³ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج 11، ص 213، حديث رقم: 7230؛ أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج 3، ص 71، حديث رقم: 11691، الطيالسي، مسند الطيالسي، ج 2، ص 452، حديث رقم: 1228، وإسناده: حسن لغيره .

والملاحظ من معنى الآية الاقتداء من الطرق التعليمية التربوية الهادفة التي توصل المتعلم إلى التعلم الصحيح الذي يؤتي ثماره ويحقق أهدافه، ذلك لأن تقديم المعارف والعلوم النظرية وحدها قد لا يؤثر في تعديل سلوك المتعلمين واكتسابهم الخبرات العملية المطلوبة إذ لا بد من وجود نموذج راقٍ في ميدان المعرفة المطلوب تعلمها يتوجه إليه المعلمون بالمحاكاة والاقتداء، فيكونوا قد جمعوا بين النظرية والتطبيق في ما تعلموه وعرفوه، عندها يصبح التعليم مؤثراً فاعلاً مؤثراً ثماره ومحققاً لأهدافه المنشودة، ولعل في توفير القدوة للمتعلمين اختصاراً للوقت الكبير الذي قد يستغرقه المعلم في إيصال المعلومة أو المعرفة للمتعلمين، فتوصل إليهم مباشرة عن طريق المحاكاة والتعلق بشكل أسرع وأفضل، ذلك لأن الإنسان يطبق وفطرته تميل إلى المحاكاة والتقليد، وهذا الميل له أثر كبير في تكوين النفس الإنسانية في المجالات الانفعالية والإدراكية والسلوكية، فعندما يشاهد الإنسان سلوكاً يميل إليه يسهل عليه الإتيان بمثله¹.

والقدوة عامل من عوامل توفير الجهد في العملية التربوية التعليمية، ذلك لأن المربي والمعلم حين تطابق أقواله أفعاله وأفكاره ومبادئه فإن هذا دليل على صدقه وصدق ما يدعو إليه، وبذلك تكون استجابة المدعويين أسرع وأدعى لتعليمهم بفكره أو مبادئه أو سلوكه، فيوفر على نفسه الجهد الكبير في إيصال الفكرة أو المعلومة للمتعلمين .

وأن موافقة أقوال المربي أو المعلم أو الداعية - لأعماله وسلوكه وتصرفاته لهي من أقوى المؤثرات في نفوس المتعلمين، أو المدعويين شريطة أن لا يكون ذلك في كل الأمور ودون حجة أو دليل أو إقناع عقلي، لأن ذلك يوصل إلى التبعية والتقليد الأعمى، وهذا ما لا يقبل في الدعوة أو التربية أو التعليم، لأن من اسمى أهداف التربية والدعوة والتعليم احترام إنسانية

¹ ينظر: الهاشمي، الرسول العربي المربي، ص 445 .

الإنسان وتحقيق ذاته وإظهار شخصيته، ولا يكون ذلك إلا من خلال الاقتداء الصحيح القائم على الدليل والحجة .

والقدوة في التربية والتعليم تضع المعلم والداعية والمربي في حالة حرجة، ذلك لأن الأمر خطير؛ لأن عليه أولاً أن يصلح حاله وأن يراعي سلوكه ويضبط تصرفاته انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: 3)، فيطابق قوله عمله، فلا يقل إلا خيراً ولا يسلك من السلوك إلا ما وافق للكتاب والسنة، ويتحرى من الأخلاق أفضلها وأحسنها، وقد اعتبر ابن تيمية¹ عدم مطابقة أقوال المعلم لأفعاله وتصرفاته من قبيل الظلم، لا بل من أعظم الظلم، لأنه كذب في العلم يضل به نفسه وغيره ممن سيتابعه في ضلاله، فقال: " كما أن معلم الخير يصلي عليه الله وملائكته، ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر والطير في جو السماء، وكذلك كذبهم في العلم من أعظم الظلم وكذلك إظهارهم للمعاصي والبدع التي تمنع الثقة بأقوالهم وتصرف القلوب عن اتباعهم وتقتضي متابعة الناس لهم فيها من أعظم الظلم، ويستحقون من الذم والعقوبة عليها ما لا يستحق من أظهر الكذب والمعاصي والبدع من غيرهم ؛ لأن إظهار غير العالم - وإن كان فيه نوع من الضرر - فليس هو مثل العالم في الضرر الذي يمنع ظهور الحق ويوجب ظهور الباطل "، وحتى تتحقق التربية والتعليم بالقدوة لابد أن يكون لدى المتعلم الرغبة والاستعداد للتقليد والمحاكاة²، بحيث يسعى من خلالها لتحقيق هدف معين سواء كان هذا الهدف محدداً ومعروفاً كما عند الإنسان الراشد، أو غير محدد أو معروف كما عند غير الراشد، وقد تكون القدوة بشكل تلقائي عفوي غير مقصود وبدون تخطيط وإعداد مسبق، وذلك من خلال اتصاف المعلم والمربي بصفات وتخلقه بأخلاق

¹ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحكيم، مجموع الفتاوى، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1398 هـ، ج 28، ص 187 - 188 .

² النحلوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ط 2، 1983، ص 232 - 233 .

تدفع الآخرين إلى محاكاته وتقليده، كالتفوق بالعلم، والإخلاص، والعمل، والتعاون، أو تكون بشكل مقصود ومخطط لها وبإعداد مسبق، وذلك كالإمام في الصلاة والمعلم في الصف والمربي الذي يقصد التربية أياً كان موضعه¹

ثالثاً: الوعظ:

الوعظ: زجر مقترن بتخويف، قال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب².

والوعظ: التخويف من شيء من ضرره، الاسم الموعظة³، والموعظة التحذير

والتخويف⁴.

وتعرف الموعظة كذلك على أنها: الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق

الدين⁵. وتعرف أيضاً على أنها: حمل النفس ترغيباً وترهيباً لعمل الخير بالترغيب والبعد عن

الشر بالترهيب⁶.

وتعرف كذلك على أنها: ما يلين القلب ويدعو إلى التمسك بما فيه طاعة⁷، والوعظ

طريقة تربوية تعليمية فاعلية استعملها القرآن الكريم في الكثير من المواطن، وذلك عن طريق

الترغيب بفعل ما يريد الواعظ فعله وتلين القلب له، إذ أن الموعظة تخاطب شعور الإنسان

وعواطفه إذا أحسن استخدامها عندها يكون الإنسان في حالة من الهيجان العاطفي، سواء هيجان

حب أو هيجان خوف، عندها يكون ادعى إلى القبول إما بالعقل أو الترك، والناظر في آيات

القرآن الكريم يلاحظ أن كثيراً منها تدعوا إلى فعل الخير بكل صورة مبينة جزاء من يفعله في

¹ ينظر: الخلاوي، أصول التربية، ص 234 - 235.

² الراغب الأصفهاني، المفردات، ص 527، باب (وعظ)

³ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 19، ص 178.

⁴ ابن عاشور، التحرير والتوير، ج 3، ص 227.

⁵ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 9، ص 370.

⁶ الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 1، ص 1200.

⁷ المراغي، تفسير المراغي، ج 4، ص 75.

الدنيا والآخرة، فمثلاً يقول الله تعالى: ﴿ فُكُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10)

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ

وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12) ﴾ (نوح: 10 - 12)، فهذه الآيات تعظ من يسمعا وتقرب من

نفسه عبادة الاستغفار لما لها من نفع عظيم وفوائد قيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومثلاً في التحذير

من الإعراض عن ذكر الله قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه: 124)، فالآيات تخوف المخاطبين من الإعراض عن

ذكر الله لما يلاقيه من معاناة شديدة في الدنيا والآخرة . وعليه فإن الوعظ من الطرق التربوية

الناجحة في تغيير وتعديل سلوك المخاطبين فعلاً وتركاً بشرط أن يكون القائم عليها مؤهلاً لذلك

مراعياً الارشادات التالية:

1. وضوح المعنى: وذلك من أجل الوصول إلى جميع المخاطبين وليفهم المخاطبون

المطلوب دون جهد أو عناء، لأن الموعدة يجب أن تصل مباشرة إلى من يسمعا بحيث

لا يحتاج إلى كثير عناء ليفهمها إذ إن الانشغال بالفهم قد يعيق عن الاستجابة المباشرة

للموعدة .

2. اختيار الوقت المناسب للموعدة، روي عن صحابة رسول الله ﷺ قولهم: " أَنْ النَّبِيَّ ﷺ

كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا"¹، وكما قيل فإن لكل مقام مقال، فيستغل المعلم

والمربي المناسبات والظروف التي يمر بها المتعلمون في واقع حياتهم، سواء كانت

عسراً أو يسراً فرحاً أم غير ذلك لينطلق منها في وعظه .

¹ البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة، ج 1، ص 27، حديث رقم: 70 .

3. سهولة العبارات: أن لا يلجأ الواعظ إلى استخدام عبارات وجمل مركبة صعبة، إنما

يحاول جاهداً مراعاة حال المخاطبين الفردية بينهم .

4. تأثير الواعظ بما يعظ به غيره ذلك لأنه إذا تفاعل مع الموقف وتأثر به كان ذلك أدهى

لقبول المخاطبين وللتأثير فيهم، فيرفع صوته ويظهر عليه علامات الغضب إذا كان

الأمر شديداً ومنه مخالفة عظيمة، ويرقق صوته وتظهر عليه علامات الهدوء والسكينة

إذا كان الأمر فيه دعوة إلى خير أو عمل صالح .

5. التخطيط المسبق للموعظة بحيث يكون الكلام منظماً مدعماً بأدلة وحجج من الآيات

والسنة مبتعداً عن الرتابة في الكلام التي تورث الملل والإسراع الذي يورث الخلل،

مراعياً أحوال المخاطبين، فإذا بان عليه السامة والكآبة توقف ؛ لأنه بعد ذلك يصبح

الكلام عديم الفائدة، مع ضرورة مراعاة عدم الإطالة، لأن الموعظ الأفضل أن تكون

قصيرة وسريعة ومؤثرة .

وفي سورة الأنعام العديد من الآيات التي تبين جزاء الطائعين وعقوبة المعاندين وتدعو إلى

الخير وتحبب فيه وتنتهي عن الشر وتتنفر منه على سبيل الموعظة، من ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ

وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام: 3) . فالآية تشير بوضوح إلى قدرته وعلمه جل

وعلا، إذ أنه يعلم السر والجهر وهذا فيه إشارة إلى أن على المخاطبين أن ينتبهوا إلى

هذه الصفة العظيمة لله سبحانه فلا يفعلوا ما لا يرضيه لا بسرهم ولا بجهرهم، فالأمر

عنده سيات .

2. قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: 5) . في الآية ترهيب من التكذيب بالحق، وأن عاقبته ستكون

وخيمة على سبيل الوعظ .

3. قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (11) (الأنعام: 10 - 11) .

فالآيات التي تحذر من فعل الشر وتنتهي عنه وتبين عواقبه في الدنيا والآخرة كثيرة

ومتعددة المواقف والمعاني، وكذلك الآيات التي تدعوا إلى الخير وتحبب فيه وتبين جزاءه في

الدنيا والآخرة كثيرة ومتعددة المواقف . وعليه فإن على المربي والمعلمين والمعلمين للمناهج أن

ينتبهوا إلى أهمية الوعظ في العملية التربوية التعليمية، فهو طريقة قرآنية لها أثرها العظيم في

تعديل سلوك المخاطبين وقبولهم لما يدعون إليه وتحقيق الهدف المنشود .

المبحث الرابع: التطبيقات التربوية في المحتوى الدراسي:

المحتوى أحد عناصر المنهاج وأولها تأثيراً في الأهداف التي يرمي المنهاج إلى تحقيقها،

وهو يشمل على المعرفة المنظمة وغير المنظمة، والتي تعرض على المتعلمين وفق تنظيم

معين، وأن كل منهاج تربوي لا غنى له عن محتوى يحقق أهدافه¹ .

¹ ينظر: مرعي، توفيق أحمد، والحيلة، محمد محمود، المناهج التربوية الحديثة مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، عمان، دار الممبيرة، ط 4، 1425 هـ - 2004 م، ص 79؛ عبدالله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1، 1405 هـ - 1985 م، ص 92 - 93 .

ويمكن القول أن المحتوى الدراسي هو: جميع المعارف والخبرات والأنشطة والمفاهيم والقيم والمصطلحات التي يتم عرضها على المتعلم وأمراره بها، وذلك إما أن يكون بشكل منتظم ضمن مؤسسة تربوية تعليمية تشرف على ذلك إشرافاً مباشراً، أو غير منتظم ويشمل ذلك على كل الخبرات والمعارف التي يمر بها المتعلم في الحياة اليومية والتي لا تخضع لمؤسسة تعليمية تشرف عليها إشرافاً مباشراً، وذلك من أجل تحقيق الأهداف المرجوة أو المنشودة أو المصبوا إليها.

أما المحتوى الدراسي المستخلص من سورة الأنعام فيقصد به جميع المعارف والعلوم والخبرات والمفاهيم المستخلصة من سورة الأنعام والتي يتم عرضها على المتعلم بإحدى طرق التدريس المعتمدة والمستخلصة من السورة وذلك من أجل تحقيقها الأهداف المنشودة .

معايير اختيار المحتوى الدراسي وتنظيمه¹:

1. الصدق: ويقصد به الصحة والدقة والقدرة على تحقيق الأهداف ومدى الارتباط بالواقع المعاش اجتماعياً وثقافياً والأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع .
2. مراعاة المحتوى لقدرات وحاجات ورغبات المتعلمين ومستوى تعلمهم السابق .
3. التكامل: وهو أن تعزز المحتويات الدراسية بعضها البعض مما يدرسه الطالب في موضوع معين يعزز ما يدرسه في موضوع آخر، بحيث يرتبط المحتوى في أي موضوع دراسي بغيره من المحتويات الأخرى .
4. التوازن: وذلك بين العمق والشمول، والنظري والعملي، وحاجات الفرد والمجتمع .

¹ ينظر: الخوادة، ناصر أحمد ؛ والصمادي، محمد عبدالله، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق تدريسها، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1411 هـ - 1991 م، ص 96 ؛ مرعي، المناهج التربوية الحديثة، ص 83 .

خصائص المحتوى الدراسي المستخلص من سورة الأنعام:

1. الصدق: فالمحتوى المستخلص من سورة الأنعام مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأهداف العامة التي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقها على رأسها تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56)، فهي الهدف الأسمى من وجود الإنسان على هذه الأرض، ولقد جاءت العديد من الآيات في سورة الأنعام تدعو إلى تحقيق العبودية لله الواحد الأحد، وتحقيق هذه العبودية لا يكون إلا بالقيام بالأعمال التي شرعها الله سبحانه وتعالى وبينها في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ ليقوم بها الناس أفراداً وجماعات بما يحقق لهم عيشاً كريماً في الدنيا، ومالاً حسناً في الآخرة بما يشكل في مجموعه تحقيق الخلافة في الأرض وحمل الأمانة على أحسن وجه وأكمل صورته، ومن الآيات الواردة في سورة الأنعام والتي تدعو إلى مثل هذا:

1. الآيات التي جاءت تبين توحيد الربوبية واختصاص الله بالخلق والإيجاد والإحياء والإماتة والضر والنفع والإعزاز والإذلال وكل مفردات هذا التوحيد، من ذلك قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3) ﴾ (الأنعام: 1 - 3)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا
الْأَنفُسَ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَرَبِّيَا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ
وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
(14) (الأنعام: 12 - 14)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ()
الأنعام: 17)، قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا
فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ
الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم
بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ
مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (60) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا
يُفِرُّونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحَاسِبِينَ (62) قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظِلْمَاتِ الْبُرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ
مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ

عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ
بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضِ الظُّرِّ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ
(65) (الأنعام: 59-65).

2. الآيات التي جاءت تبين توحيد الألوهية وتدعو إليه وأنه وحده المستحق لكل أصناف
وانواع العبادة والطاعة وتحذر من الشرك وتبين عواقبه في الدنيا والآخرة، من
ذلك:

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ
إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتِكُمْ لِتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ
أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ()
الأنعام: 19)، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ لَقَوْلُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) الظُّرُّ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ (24)﴾ (الأنعام: 22 - 24)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا
تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ
حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: 52)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنْ

الْمُهْتَدِينَ ﴿ (الأنعام: 56) ، ثم دعت الآيات إلى الإخلاص بالقول والعمل لهذا

الخالق العظيم جل وعلا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَكُسْبِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام: 162) .

3. وجاءت الآيات تبين صفات هذا الرب المعبود من ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(الأنعام: 13) ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾

(الأنعام: 18) ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا

مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ

بَعْضِ الْظُرِّ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام: 65) ،

وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام: 73) ،

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ

الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ

اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ (96) (

الأنعام: 95 - 96) ، وقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَىٰ يَكُونُ لَهُ

وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَتَخَلَّقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ (الأنعام:

. (101

4. وجاءت الآيات في سورة الأنعام تبين وتوضح علاقة الإنسان بهذا الرب المعبود

المتصف بصفات الكمال المنزه عن صفات النقص، وكيف يجب أن تكون هذه

العلاقة من ذلك الآيات التي تبين أن على الإنسان أن لا يلجأ بالعبادة كلها بكل

أنواعها ونسورها إلا له جل وعلا، سواء كانت تلك العبادات المفروضة بأوقات

محددة وكيفيات محددة كالصلاة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُواهُ وَهُوَ

الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: 72)، وقوله تعالى عن الزكاة: ﴿وَأْتُوا حَقَّهُ

يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (الأنعام: 141)، ثم الحرص على مخافة الله ومراقبته في السر

والعلن وهي تقوى الله ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ (الأنعام: 72)، والاستجابة لله سبحانه وتعالى

بكل صورها، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: 36)، ولربط هذه الآمال بالجزاء

الأخروي بينت الآيات أن هنالك يوم آخر يحاسب فيه الله الخلائق، فيجازي المطيع

على طاعته، ويعاقب العاصي على عصيانه، قال تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الأنعام: 12)، وقال: ﴿قُلْ إِيَّيَّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ

الْمُبِينُ (16)﴾ (الأنعام: 15 - 16)، وجاءت الآيات لتبين أن هناك رابطاً

عجيباً يربط بين الإيمان بالقرآن وما جاء به والإيمان بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر، فإن من آمن بالله واليوم الآخر يؤمن بهذا القرآن وبما جاء به، ويترجم ذلك الإيمان عملياً في واقع حياتهم، فهم على صلاتهم يحافظون، قال تعالى: ﴿وَهَذَا

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (

الأنعام: 92)، وجاءت الآيات تبين أن الحياة الآخرة خير من الحياة الدنيا، وأن الدنيا لعبٌ ولهوٌ وذلك من أجل لفت أنظار المخاطبين إلى ضرورة عدم الركون إلى الدنيا والاكتماء بها وبما فيها من خيرات وملذات وشهوات، لأن ذلك كله لعبٌ ولهوٌ مرده إلى زوال، والآخرة هي دار القرار ودار النعيم المقيم الذي لا يزول، قال تعالى:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: 32)، ثم أشارت الآيات إلى أن النعيم في الدنيا والملذات

والشهوات والخيرات إنما هي من باب الامتحان والاختبار الذي يعقبه إما فوزٌ أو خسران، فمن أخذ هذه النعم بحقها ولم تلهه عن واجبه في هذه الحياة الدنيا، وأدى

الذي عليه تجاه المنعم خالقها وموجدها فقد نجا وفاز، ومن غرق فيها وانشغل بها

عن المنعم الخالق جل وعلا خاب وخسر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ

فَتَحْنًا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (الأنعام: 44)، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ

الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ

سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (الأنعام: 165) .

ودعت العديد من الآيات في سورة الأنعام إلى ضرورة التخلق بالأخلاق الحسنة لما لها من عواقب حسنة في الدنيا والآخرة ونهت عن العديد من الأخلاق الذميمة وحذرت منها ومن مساوئها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152)﴾ (الأنعام: 151 - 152) .

وبين الآيات كذلك أن على الإنسان أن يمعن النظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى في آيات الآفاق وفي آيات الأنفس من خلال ما زوده الله به من حواس وعقل، وأن عليه أن يخضع ما يقع تحت حسه وتجربيه إلى العقل، ليحلله ويمحصه قبل التسليم به بما يحقق التكامل والتناسق بين وظائف كل من الحواس والعقل، فعن إمعان النظر في آيات الآفاق قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوَفَّكُونَ﴾ (الأنعام: 95)، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ

لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿ (الأنعام: 97)،

وعن إمعان النظر في الأنفس، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا

وَأَجَلَ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿ (الأنعام: 2)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَلْشَّاءَكُمْ

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿ (الأنعام: 98

)، وعن أهمية العقل والحواس كانت العديد من الآيات تختم بقوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:

97)، ﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: 98)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: 151)، ﴿فَأَنبِئْ

تُؤْفِكُونَ﴾ (الأنعام: 95)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام: 65) .

2. مراعاة حاجات ورغبات المتعلمين:

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الإنسان من طين ونفخ فيه من روحه، وأسكنه هذه الأرض وجعله أمماً تخلف بعضها بعضاً، وكلفه تحميل الأمانة وإعمار الأرض وفق شرعه سبحانه وتعالى، وجعل ذلك كله من قبيل الامتحان والاختبار له، فمن استقام واهتدى بجح وفاز، ومن حاد وعصى خسر وخاب، حتى يحقق الإنسان هذه الخلافة وهذا الإعمار وينجح بهذا الاختبار لا بد من نيته حاجاته ورغباته لكي تستقيم حياته، وهذه الحاجات هي:

أولاً: حاجات الروح: وهي المكون الأسمى من مكونات الإنسان وهي التي يرتقي به من عالم الماديات والشهوات إلى عالم المثل والقيم العليا، ليلتقي من خلالها بالخالق جل وعلا، وليحقق ذلك لهذه الروح لا بد من تحقيق حاجاتها في التوجه إلى خالقها بالعبادة والطاعة وذلك تلبيةً لدافع الفطرة التي لديه، إذ أن الله سبحانه وتعالى فطره وخلقه على هيئة معها يحس بوجود الخالق، وأنه محتاج إليه، ذلك لأن " الفطرة هي خلق الله تعالى الإنسان على الإسلام أي شاهداً

بعبوديته الله تعالى ومقرأ بربوبيته ومزوداً بالاستعدادات والطاقات الظاهرة والباطنة التي تمكنه من إصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل وفقاً لمعايير منهج الله تعالى¹، ولا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان دون وجود معبود يتوجه إليه بالعبادة، ولم تكن بعثة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام جميعاً لبيان وجود خالق للبشر، إنما جاءت لبيان صفات هذا الخالق وتنظيم وبيان طريقة وكيفية التعامل معه، وجاء التشريع الإسلامي ببيان حق هذا الخالق جل وعلا على الإنسان المخلوق بالتوجه إليه بالعبادة والطاعة، والعبادات جاءت متعددة متنوعة لتناسب مع ظروف وأحوال المخاطبين جميعاً، فهناك عبادات فرضت بكيفيات وهيئات وأوقات خاصة مثل الصلاة والزكاة والحج والصوم وغيرها، وهناك عبادات غير محددة في وقت محدد ولا كيفية محددة، إنما جاء بيانها بشكل عام مع تحديد الاطار العام لها دون بيان التفاصيل من ذلك الذكر، وتلاوة القرآن، وأي عمل يقوم به الإنسان يقصد به وجه الله سبحانه وتعالى فهو عبادة يتقرب بها إلى ربه جل وعلا يناب عليها .

وفي سورة الأنعام العديد من الآيات التي جاءت تدعو الإنسان إلى التوجه إلى خالقه بالعبادة والطاعة وتبين حق هذا الإله الخالق بالاختصاص بكل أنواع التوجه والعبادة والطاعة وحده دون غيره، وفي ذلك تلبية للحاجة الفطرية عند هذا الإنسان، ومن ذلك:

1. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ

أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام: 56) .

2. قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى

أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ

¹ عبد المجيد، أبو سعيد محمد، مناهج التعليم الديني ووضعها في العالم الإسلامي، ندوة عالمية عن مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي: التحديات والأفاق، ماليزيا، المعهد العالمي لوحدة الأمة الإسلامية، معهد التربية والترقية الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، دط، 1426 هـ - 2005 م، ص 93 .

أَصْحَابَ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ إِنِّي أُنشِئُ لِقُلِّ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا
لِّلْمُسْلِمِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ (72)﴾ (الأنعام: 71 - 72)

3. قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 79) .

4. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُسْلِمِينَ (163)﴾ (الأنعام: 161 - 163) .

5. قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا مُصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ
الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام: 92) .

6. قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: 102) .

فالآيات في سورة الأنعام بينت عظمة هذا الخالق من خلال بيان اتصافه بصفات الخلق
والإيجاد والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والقوة والقدرة والعلو على سائر الخلق،

واختصاصه بعلم الغيب وعلم كل شيء، وإنعامه بالنعمة الظاهرة والباطنة على خلقه أجمعين،

نعماً لا تعد ولا تحصى، ثم نددت الآيات بإعراض المعرضين عن هذا الخالق العظيم المتصفا

بهذه الصفات والمنعم لهذه النعمة العديدة وبينت أن سبب إعراضهم هو استكبارهم وعنادهم

والإساءة في استخدام ما زودهم الله به من سمع وأبصار، فاستخدموها لغير ما خلقت لأجله، فلم

يسمعوا بها الحق، ولم يبصروا بها عظمة الخالق، ولم يعقلوا حججه وبراهينه في أنفسهم وفي

الكون المحيط به، فشبههم الله بالموتى حين قال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى

يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: 36)، فكانت تلك الحواس والعقل حجة عليهم عند

خالقهم جل وعلا، وبعد هذا البيان جاءت الآيات تدعو الإنسان إلى التوجه إلى هذا الخالق

العظيم بالعبادة والطاعة والإخلاص له وحده دون غيره، لأن هذا هو سبيل الهدى وسبيل النجاح

والفلاح في الدنيا والآخرة، وبه استقرار النفس وراحة الروح وسموها، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ

اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا

كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام:

125).

وعليه فإن محتوى المنهاج المستخلص من سورة الأنعام ملائم لأعظم حاجة ودافع عند

المتعلم مهما كان سنه صغيراً كان أم كبيراً، ألا وهو الدافع الإيماني، دافع الفطرة الموجودة

عنده .

ثانياً: حاجات النفس: والنفس هي المكون الثاني من مكونات هذا الإنسان، والنفس كما

بينها الله في القرآن الكريم تتقلب بين ثلاثة أحوال، إما أن تكون نفس غير مهذبة فتكون بذلك

نفس أمارة بالسوء، أو تكون نفس مهذبة وهي على حالتين: أحدهما لوامة، والأخرى مطمئنة،
والنفس الأمارة بالسوء غير المهذبة نفس مضطربة فالقة لا تستقر على حال، في حين أن النفس
المهذبة اللوامة والمطمئنة تشعر بالاستقرار والارتياح والأمن والأمان، والسبب في ذلك يرجع
إلى كون هذه النفس أخذت حاجتها من الاهتداء فاستتارت بنور الهدى الرباني فاستقرت وهدأت
واستقامت وشعرت بالأمن والأمان، وتحولت من نفس شريرة أمارة بالسوء إلى نفس تلوم
صاحبها على فعل الشرور وتدعوه إلى الخير والاستقامة عليه حتى تحولت إلى نفس مطمئنة
راضية مرضية .

ومحتوى المنهاج المستخلص من سورة الأنعام يلبي في العديد من المواقف حاجة
المتعلمين إلى الشعور بالأمن والأمان، وذلك من خلال بيان الطريقة الوحيدة للوصول إلى ذلك،
وهي في الاستقامة على هذا الدين والالتزام بأحكامه والاهتداء بهديه، من ذلك قوله تعالى: ﴿
وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَنحَابُؤَتِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن
يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَلَكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) ﴾ (الأنعام: 80 - 82)، وقوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: 106)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُمُ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: 153)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ (الأنعام: 161)، وقوله

تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الأنعام: 48) .

3. حاجات العقل:

العقل هو ما ميز الله به الإنسان عن غيره من المخلوقات، وبالعقل والإرادة يحقق الإنسان الاستخلاف في الأرض بما يكفل له عيشاً كريماً، وبه يعقل الإنسان تصرفاته وأفعاله وأقواله، ويميز بين الخير والشر، والنافع والضار، وبه يصل إلى عظمة الخالق جل وعلا ووحدانيته وربوبيته وألوهيته، وقد جعله الشارع الحكيم مناط التكليف، ولا يؤتي العقل ثماره هذه إلا إذا لببت حاجاته، وهي

1. احترام العقل: وذلك بمعرفة منزلته وأهميته واستخدامه بما يعود بالنفع الدنيوي

والآخروي على صاحبه وعدم تعطيله، لأن ذلك يؤدي إلى عدم الانتفاع بما يسمع

ويرى من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته جل وعلا، من ذلك قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي

آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ

يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنعام: 25)، وختم العديد

من الآيات بقوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) احتراماً لهذا العقل وبياناً لمنزلته في الوصول إلى

الاهتداء المطلوب، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (الأنعام: 32)، وقوله تعالى:

﴿ إِنِ اتَّبِعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ

﴿ (الأنعام: 50) .

2. إطلاق العنان للعقل للتفكير، وفتح كل المجالات أمامه وعدم تقييده بما يضمن

فاعليته في الوصول إلى مكونات هذا الكون العجيب، والوقوف على معاني عظمة

الخالق جل وعلا وقدرته في إبداع هذا الكون ودقته وإحكام صنعه في كل صغيرة

وكبيرة، ليصل من خلال ذلك إلى معنى الوجدانية والربوبية والألوهية، وبذلك يصل

إلى مرحلة الإطمئنان القلبي الذي يقوده إلى اليقين، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ

القَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ

يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَفْقَهُونَ ﴿ (الأنعام: 65)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعُوا إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿ (الأنعام: 50)، وقوله تعالى في

دعوت المعاندين إلى التفكير فيما يمر بهم من أحوال ليصلوا من خلال ذلك إلى

وجدانية الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يُنجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ

يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ

أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا
 وَيُلْدِقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ الظُّرُ كَيْفُ نُصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ
 (65) ﴿ (الأنعام: 63 - 65) ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ
 لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97)
 وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) ﴾ (الأنعام: 97 - 98) .

3. إيجاد الدوافع والحوافز لهذا العقل ليظل فاعلاً مفكراً متديراً، ذلك من خلال دفع
 المخاطبين إلى استخدام العقل وعدم تعطيله عن عمله في الوصول إلى الاهتداء
 المطلوب، لأن تعطيله سيؤدي إلى الختم عليه من الله سبحانه وتعالى، وتكون النهاية
 سيئة عياداً بالله، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ
 وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ
 نُصْرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام: 46) ، وفي دعوته أيضاً
 المخاطبين للتفكير فيما يشرع لهم من تشريعات، ويكلفهم من تكاليف ليصلوا من
 خلال ذلك إلى عظمة ما يؤمرون به ودقته وتأثيره في إصلاح واقعهم ومستقبلهم
 وبما يعود عليهم بالنفع الدنيوي والأخروي، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ
 مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
 أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا

وَمَا بَطْنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (الأنعام: 151)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا
تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: 152) .

4. الوقوف بهذا العقل عند حدوده وعدم إقحافه فيما لا طاقة له عليه من الأمور الغيبية
غير المحدودة التي لا يستطيع العقل البشري المحدود الوصول إليها، ومعرفة كنهها
وكيفياتها والاكتفاء بذلك على ما ورد من الخالق العظيم في كتابه وسنة نبيه ﷺ
والتسليم المطلق بذلك، وعدم تجاوز الحد في ذلك، وفي ذلك إراحة للعقل من الكثير
من الجهد والعناء فيما لا يعود عليه بالنفع، من ذلك قوله تعالى في محاجة قوم
إبراهيم لإبراهيم في ربه، ورفضه لهذه المحاجة لخروجها عن نطاق العقل، قال
تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا
تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام: 80)، وقوله تعالى في الرد على الذين تكلموا في الغيب
بغير علم ولا هدى فأشركوا وضلوا وما كانوا مهتدين: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ يُكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ

صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101)﴾ (الأنعام: 100 -

(101) .

5. احترام عقول الآخرين وتقديرها، ومخاطبتهم على قدر عقولهم، ذلك لأن الله سبحانه

وتعالى لم يجعل الناس كلهم على نفس القدر من العقل، بل جعلهم متفاوتون في ذلك

مختلفون في قدراتهم العقلية، ولذلك قال ﷺ: " النَّاسُ يَعْمَلُونَ بِالْخَيْرِ، وَإِنَّمَا

يُعْطُونَ أَجْرَهُمْ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ"¹.

4. حاجات الجسد:

الجسد هو المكون المادي للإنسان، وله دوافع وحاجات للحفاظ على بقاءه وسلامته

واستمراره، على رأس هذه الحاجات والدوافع الحاجة إلى الغذاء (الطعام والشراب)، والحاجة

إلى البقاء، ومحتوى المنهاج الدراسي يجب أن يهتم بدوافع وحاجات الجسد، لأن بها سلامة الفرد

وصحته العضوية، وبقائه واستمرار وجوده التي تؤهله لأن يكون إنساناً صالحاً مصلحاً، على

أن يراعي محتوى المنهاج الدراسي عملية الاعتدال في حاجات الجسد بما لا يطغى على بقية

حاجات مكونات الإنسان الأخرى، حتى لا يحصل الخلل الذي قد يجر إلى ما لا يحمد عقباه،

ذلك لأن الإنسان متعلق غالباً بحاجات ورغبات وشهوات جسده وهي أقرب إليه من غيرها من

الحاجات الأخرى، لأنها حاجات مادية ملموسة يعاينها بنفسه، ويعاني من نقصها مباشرة، إذ أنه

يشعر مباشرة بالجوع عندما لا يأكل، ويشعر أنه محتاج إلى الطعام والشراب فيندفع إلى البحث

عن ذلك، وكذا بالنسبة للحاجة إلى الزواج والبقاء، ومن هنا فإن على محتوى المنهاج الدراسي

أن يرسم الطريق الصحيح لهذا الإنسان لكي يستطيع أن يلبي هذه الحاجات والرغبات، وذلك

¹ البيهقي، شعب الإيمان، ج 6، ص 352، حديث رقم: 4317 .

ببيان المنهج الحق الذي رسمه له الله سبحانه وتعالى في كتابه وسنة نبيه ﷺ لتلبية هذه الحاجات

وهذه الدوافع، وقد عرضت سورة الأنعام لبيان هذا المنهج على النحو التالي:

1. بيان ما يحل أكله مما لا يحل أكله من أصناف الطعام والشراب، من ذلك قوله

تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118) ﴾

وَمَا لَكُمْ إَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ

عَلَيْكُمْ إَلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ

رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119) ﴾ (الأنعام: 118 - 119)، وقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ

لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِتَّكُمُ لَمُشْرِكُونَ ﴾

(الأنعام: 121)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ

مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ

مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

وَلَا تُتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142) ﴾ (الأنعام: 141

- 142)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ

يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ

فَسَقَا أَهْلَ لَيْعِينِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
(الأنعام: 145) .

2. وجوب الاعتدال في الطعام والشراب وذلك بعدم الإسراف، قال تعالى: ﴿ وَلَا

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأنعام: 141) .

3. التنديد والوعيد الشديد لكل من يحرم على نفسه أو على غيره ما أحل الله له من

الطيبات والمطعمات والمشروبات، ذلك لأن هذا حق لله سبحانه وتعالى وحده

ولنبيه عليه الصلاة والسلام، وأن من أقدم على مثل هذا فقد نازع المشرع الكريم في

تشريعه فتوعده الله في العقوبة والعذاب الشديد، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ

أَنْعَامٌ وَحَرِّثَ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ

ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا

كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا

وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ اللَّهُ

حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) ﴾ (الأنعام: 138 - 139) .

4. التنكير دائماً بأن هذه الطيبات من الطعام والشراب هي من نعم الله على الإنسان،

وهي رزق يسوقه الله لعباده جل وعلا، فهو صاحب الفضل والمنة وحده لا شريك

له في ذلك، قال الله تعالى: ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأنعام: 142) .

5. إن واجب الإنسان تجاه هذا المنعم العظيم يكون بوجوب الشكر والثناء، بالقول والفعل، ومن الفعل إثبات حق هذه النعم، وذلك بدفع زكاتها في موعدها، قال تعالى:

﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ (الأنعام: 141) .

6. إن عدم الاعتراف بفضل المنعم جل وعلا وشكره على نعمه يؤدي إلى زوال هذه النعم وإلى الهلاك والبوار، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ (الأنعام: 6) .

7. على الإنسان أن يبقى حذراً يقظاً، ذلك لأن إسباغ النعم من الله سبحانه وتعالى قد تكون على سبيل الاستدراج، فلا ينغمس الإنسان بالنعم لاهياً عن الهدف الأسمى من وجوده في هذه الحياة، معرضاً بها عن خالقه جل وعلا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (الأنعام: 44) .

8. يجب أن يكون لهذه النعم أثر في نفس الإنسان، بأن تدفعه إلى التفكير بمن خلقها وأوجدها، وذلك من خلال ملاحظته لنزول المطر ثم خروج الزرع المختلف ألوانه وطعمه وثماره، وتقلبه في مراحل نضجه، فيزداد بذلك يقيناً وإيماناً بالخالق العظيم جل وعلا، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ

كُلُّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ
طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
(الأنعام: 99) .

المبحث الخامس: التطبيقات التربوية في الأنشطة التربوية:

تعد الأنشطة من العناصر ذات التأثير الفعال في المناهج التعليمية، ذلك لأنها تساعد
المتعلم على مواصلة التعلم من خلال اكتسابه العادات والمهارات والقيم وأساليب التفكير المناسبة،
وأن المتعلمين المشاركين بالأنشطة المختلفة يتميزون بالإنجاز الأكاديمي، والذكاء المرتفع،
والإيجابية مع زملائهم ومعلميهم، وبقدرتهم على الإبداع والابتكار، وروح القيادة، والتواصل
والتفاعل الاجتماعي، وأقدر على اتخاذ القرارات والثبات عند القيام بالأعمال¹ .

مفهوم النشاط:

النشاط هو: " الجهد العقلي أو البدني الذي يبذله المتعلم أو المعلم من أجل بلوغ هدف ما"² .

والنشاط هو: " كل جهد يقوم به التلميذ - سواء بمفرده أو بمشاركة زملائه - داخل

الفصل أو خارجه، يقصد الإسهام في تحقيق هدف من أهداف العملية التربوية"³ .

¹ ينظر: الملكاوي، أساسيات المناهج، ص 215 .

² الدايمي، طه حسين؛ والهاشمي، عبد الرحمن عيد، المناهج بين التقليد والتجديد، عمان، دار اسامة، ط 1، 2008 م، ص 96 .

³ الملكاوي، محمد أشرف، أساسيات المناهج، ص 216 .

أهمية النشاط في العملية التعليمية¹:

1. يزيد من قدرات المتعلمين على مواجهة مشكلات الحياة اليومية .
2. يساعد على اكتشاف المواهب والقدرات لدى الطلبة .
3. يدرّب الطالب على تحمل المسؤولية، والعمل الجماعي، والعمل بروح الفريق .
4. ينمي عند المتعلمين الشعور بالثقة بالنفس .
5. يؤدي إلى استثمار طاقات المتعلمين فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة .
6. يساعد على مواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين من خلال اختيارهم للأنشطة التي تناسب قدراتهم وحاجاتهم ورغباتهم .

الأنشطة المستخلصة من سورة الأنعام:

1. التنقل والسفر: وذلك من قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ الظُّرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ (الأنعام: 11)، فإن الآية تشير إلى أهمية السفر والتنقل في أماكن الأرض المختلفة، إما من أجل الحصول على الرزق وإما من أجل السياحة، أو من أجل أي هدف، وعلى الإنسان أن لا يكون سيره عابراً، دون معنى، بل يستغل هذا السير للنظر بأحوال الأمم التي يمر بها ليكتسب من خلال هذا النشاط الذي يقوم به، وهذه التجربة التي يعاينها بنفسه معارف جديدة على شكل عظة وعبرة من حال تلك الأمم التي يرى آثار وجودها ومعيشتها وكيف أنها لما لم تستقم على منهج الله، وكذبت رسلها، كيف أنها أهلكت واستبدلت بأمم أخرى، فيكون ذلك واعظاً رادعاً له عن أن يتصرف مثل ما تصرفوا .

¹ ينظر: الملكاوي، محمد اشرف، اساسيات المناهج، ص 216 .

2. استخدام الملاحظات في جمع المعلومات: ومن ذلك ما حدث من قصة سيدنا إبراهيم

مع قومه حين بدأ يحاجج قومه للوصول إلى الحقيقة القاطعة، وهي أن لا خالق ولا معبود إلا الله، وذلك عن طريق مجازاة قومه في اتخاذ المخلوقات أرباباً من دون الله، ثم ملاحظة ما يعتري هذه المخلوقات من تغير وتبدل في الأحوال، من القوة إلى الضعف، ومن البروز إلى الاختفاء، وأخذ هذه العلومات عن طريق هذه الملاحظات، ثم عرضها على الفكر ليصل في النتيجة إلى أن من كان هذا حاله لا يصلح أن يكون رباً ولا إلهاً يعبد . فإن الإله الخالق لابد وأن يتصف بصفات الكمال المطلق ويتنزه عن كل صفة عيب أو نقص فيلتجئ إلى الله وحده معلناً له الإخلاص بالدين والعبادة .

المبحث السادس: التطبيقات التربوية في التقويم:

التقويم: هو تقدير مدى ملائمة أو صلاحية شيء ما في ضوء غرض ذي صلة¹، والتقويم بالمفهوم الشامل: عملية معقدة يقصد بها التعرف على مدى تحقيق الأهداف² . وفي مجال التربية يعرف التقويم بأنه: العلمية التي يحكم بها على مدى نجاح العملية التربوية في تحقيق الأهداف المنشودة³ . وهو: " عمليات تُلخِصِيَّة أو وصفِيَّة يلعب فيها الحكم على قمة الشيء دوراً كبيراً كما هو الحال في إعطاء التقديرات للتلاميذ وترفيعهم"⁴ . ويعرف التقويم على أنه: " تحديد مدى التطابق فيما بين الأداء والأهداف"⁵ .

¹ خليلي، خليل يوسف ؛ السويدي، خليفة، المنهاج: مفهومه وتصميمه وتنفيذه وصيانته، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، 1997 م، ص 17 .

² عطية، نعيم، التقويم التربوي الهادف، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د . ط، 1970 م، ص 45 .

³ مرعي، توفيق ؛ الحيلة، محمد، المناهج التربوية الحديثة، ص 97 .

⁴ هندام، يحيى حامد ؛ وجابر، عبد الحميد جابر، المناهج أسسها تخطيطها تقويمها، القاهرة، دار النهضة العربية، ط 2، 1975 م، ص 253 .

⁵ الزبيدي، سلمان عاشور، أسس المناهج المدرسيَّة، ليبيا، مطابع الوحدة العربية، ط 1، 2002 م، ص 45 .

ويعرف كذلك على أنه: " العملية التي يتم بواسطتها التوصل إلى حكم بشأن أداء فرد ما في الماضي أو الحاضر في الظروف البيئية التي عمل فيها الفرد، وكذلك بشأن إمكانياته المستقبلية للمنظمة التي يعمل فيها"¹. وهو العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة التي يتضمنها المنهج، وكذلك نقاط القوة والضعف به حتى يمكنه تحقيق الأهداف المنشودة بأحسن صورة ممكنة². ويعرف كذلك على أنه: " عملية تحديد مدى ما بلغناه من نجاح في تحقيق الأهداف التي نسعى إلى تحقيقها، بحيث يكون ذلك عوناً لنا في تحديد المشكلات، وتشخيص الأوضاع الراهنة، ومعرفة العقبات والمعوقات، بقصد تحسين العملية التعليمية ورفع مستواها، ومساعدتها على تحقيق أهدافها"³.

ويعرف كذلك على أنه: عملية مصاحبة ومستمرة للإشراف الفني وتعني الحكم على قيمة أي مشروع أو عملية أو موقف أو منهج عن طريق مقارنته مع معيار مثالي مسلم به في ضوء أهداف يراد تحقيقها⁴.

إنّ فالتقويم هو: جميع العمليات المنظمة التي تتفاعل مع عناصر المنهج أو البرنامج لتحديد جدواها وبيان مواقع القوة والضعف فيها لتطويرها أو مساعدة متخذ القرار الحاسم بشأنها، ويتم من خلال جمع المعلومات وتحليلها لتحديد مدى تحقق الأهداف التربوية والحصول على تغذية راجعة للوقوف على جوانب القوة والضعف واتخاذ القرارات المناسبة، وذلك لتوفير

¹ هندام، يحيى، جابر، عبد الحميد جابر، المناهج، ص 253.
² الوكيل، حلمي أحمد، والمغني، محمد أمين، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 1426 هـ - 2005 م، ص 162.
³ الملكاوي، محمد أشرف، أساسيات المناهج، الرياض، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، ط 2، 1427 هـ - 2006 م، ص 232.
⁴ سلامة، عادل أبو العز أحمد، تخطيط المناهج وتنظيمها بين النظرية والتطبيق، عمان، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1427 هـ - 2006 م، ص 334.

النمو السليم المتكامل من خلال إعادة تنظيم البيئة التربوية، ويمكن أن يتم التقويم من خلال

الملاحظة¹

من خلال ما سبق من تعريف التقويم يمكن القول:

1. التقويم عملية مستمرة تبدأ منذ بداية العملية التربوية التعليمية وتستمر معها فهو يرتبط بالعملية التربوية تخطيطاً وتنفيذاً .
2. التقويم يبين مدى نجاح أو فشل العملية التربوية برمتها أو أي مرحلة من مراحلها .
3. التقويم ضرورة من ضرورات العملية التربوية التعليمية كاملة، فهو ضروري للأهداف وذلك لمعرفة قوتها وضعفها ومناسبتها للمحتوى الدراسي، وطرق التعليم لقدرات ورغبات واحتياجات المتعلمين، وضروري للطرق التدريسية لبيان مدى ملائمتها للأهداف والمحتوى واحتياجات المتعلمين ورغباتهم والأنشطة المرافقة .
4. التقويم ضروري في الكشف عن مواهب الطلبة وإبداعاتهم وبيان مواطن القوة والضعف لديهم، وضروري لإثارة دافعيتهم نحو مزيد من التعلم وتعزيز آدائهم .
5. التقويم يعطي للقائمين على العملية التربوية التغذية الراجعة اللازمة لهم للكشف عن الأخطاء أثناء سير العملية التعليمية ومعالجتها أولاً بأول .
6. إن التقويم عملية شاملة تقوم على مجموعة من الأسس والاستمرارية والتدرج والتنوع، والشمول، والتكامل، والتناسق مع عناصر المنهاج الأخرى² .
7. التقويم هو الوسيلة الأمثل للوقوف على مستوى العملية التعليمية والتربوية .

¹ ينظر: شاهين، نجوى عبد الرحيم، أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، القاهرة، دار القاهرة، ط 1، 2006 م، ص 159 - 163 .
² أحمد، والي عبد الرحمن، أسس وبناء وتنظيمات المناهج، القاهرة، مكتبة الزهراء، ط 1، 2002 م، ص 224 - 228 .

8. التقويم ذا أهمية بالغة لكل من المعلم والمتعلم، ولِمعَدّي المناهج الدراسية، وأولياء

الأمر،

9. التقويم هو العنصر الأساسي في عمليات متابعة المناهج وتطويرها وذلك عن طريق

الكشف المباشر على مواطن القوة والضعف في المنهاج .

10. التقويم يبين قوة أو ضعف الأهداف التربوية ومدى صلاحها ومناسبتها .

11. التقويم يصحح مسار العملية التربوية التعليمية ويوجهها الوجهة الصحيحة .

12. التقويم يشمل كل جوانب المتعلمين، مثل الجانب العقلي والانفعالي الوجداني، الجسمي

الحركي، النفسي، بالإضافة إلى شموله لجوانب العملية التعليمية التربوية وجميع جوانب

المنهاج الدراسي .

13. التقويم عملية وقائية أي أنه يعمل على تفادي الوقوع في الخطأ عند تكرار المواقف

التي كانت موضع تقويم من قبل بالاستفادة مما يعرف بالتغذية الراجعة¹

أساليب التقويم ووسائله:

ذكر العلماء العديد من أساليب التقويم، منها الاختبارات بأنواعها، سواء كانت التحصيلية

منها أو الأدائية وأنواعهما²، ولكن ما يهمنا في هذه الدراسة الأنواع التالية من وسائل وأساليب

التقويم، وهي:

¹ سعادة، جودت أحمد ؛ إبراهيم عبدالله محمد، المنهج المدرسي المعاصر، عمان، دار الفكر، ط4، 1425 هـ - 2004 م، ص 351 .
² الملكاوي، محمد أشرف، أساسيات المناهج، ص 241 - 255 ؛ وينظر: شاهين، نجوى أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، ص 168 ؛
وينظر: سعادة، جودت أحمد ؛ وإبراهيم، عبدالله محمد، المنهج المدرسي المعاصر، ص 361 .

1. الملاحظة: وهي العملية التي يتوجه فيها الملاحظ بحواسه المختلفة نحو المتعلم بقصد

مراقبته في موقف نشط، وذلك من أجل الحصول على معلومات تفيد في الحكم عليه

وتقويم مهاراته وقيمه وسلوكه وأخلاقياته وطريقة تفكيره ومعدلات نموه¹.

وتفيد الملاحظة من أكثر وسائل التقويم شيوعاً بعد الاختبارات التي يضعها المعلم،

وتتطلب الملاحظة من المعلم الاستمرار في ملاحظة الطلاب عند قيامهم بالواجبات أو الأنشطة

العديدة، وتعطي الملاحظة للمتعلمين صورة جديدة عن نموهم لا يستطيع وسيلة تقويم أخرى

تقديمها².

2. البطاقات المدرسية: وهي سجلات يدون فيها بيانات حول المتعلم وظروفه البيئية

والاقتصادية وانفعالاته وتقدمه الدراسي³.

3. آراء العلماء وأحكامهم على المتعلمين: وهذه الآراء تعطي مؤشرات أقوى من

الاختبارات من تحليل ظروف المتعلم والحكم على تقدمه أو تأخره ومدى قدرته على

مواصلة تعليمه مستقبلاً⁴.

4. المنافسة الجماعية: وتعتمد من بين أفضل وسائل التقويم التي تتم إدارتها من جانب

المعلم أو من جانب الطلاب، ويتمثل أهم أهدافها في الحصول على المعلومات، وتهيئة

الفرص المناسبة للتقويم الجماعي لما تم تعلمه، والتوصل إلى تحديد الأشياء الواجب

عملها، والكشف عن الاحتمالات التي تسبق عملية صنع القرار⁵، وهي ضرورية

¹ حنوره، أحمد حسن؛ عباس، شفيقة إبراهيم، ألعاب أطفال ما قبل المدرسة، الكويت، مكتبة الفلاح، د. طه، 1996 م، ص 88.

² سعاده، جودت أحمد؛ وإبراهيم، عبدالله محمد، المنهج المدرسي المعاصر، ص 360.

³ شاهين، نجوى عبد الرحيم، أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، ص 168.

⁴ شاهين، نجوى عبد الرحيم، أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، ص 167.

⁵ سعاده، جودت إبراهيم؛ وإبراهيم، عبدالله محمد، المنهج المدرسي المعاصر، ص 363.

للوقوف على صدق الاستجابات مع المتعلمين والمعلمين والإدارة المدرسية والوقوف

على صدق النتائج¹.

التقويم في سورة الأنعام:

ورد التقويم في سورة الأنعام على صورتين:

الأولى: تقويم الفرد من جهة خارجية وهو هنا من الله سبحانه وتعالى .

الثانية: تقويم الفرد من ذاته . وتفصيل ذلك:

أولاً: تقويم الفرد من جهة خارجية عنه، وفي سورة الانعام التي نحن بصدها جاء

التقويم من الله سبحانه وتعالى للعباد بأساليب متنوعة، منها:

1. ملاحظة ومتابعة الأعمال ورصدها بسجلات خاصة: وذلك من خلال رصد كل

صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان ليحاسب عليها في الآخرة أما الخلائق، من ذلك قوله

تعالى: ﴿يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ (الأنعام: 3)، وقوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى

أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 60)،

وقوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ

شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: 52)، وقوله تعالى مبيناً الجزاء على العمل: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ

لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (الأنعام: 5)، وقال: ﴿

¹ شاهين، نجوى عبد الرحيم، أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، ص 167 .

لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿الأنعام: 12﴾، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (

الأنعام: 15)، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ

وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام: 62)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ

سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ (الأنعام: 120)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ

أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام:

164).

2. السؤال والجواب: وذلك لبيان الحال وإثبات الحجة وبيان حكم ما هم عليه من أفعال،

من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ

وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَلْذَرِكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ

آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾

(الأنعام: 19)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ

السَّاعَةُ أَغْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الأنعام: 40)، وقوله تعالى في

محاجة قوم إبراهيم لإبراهيم عليه السلام ليصل من خلالها إلى القرار الصحيح الذي يدحض

محتجهم وآرائهم: ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ

مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ
 (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَلَكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ
 بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ
 آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ
 حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ
 (83) ﴿ (الأنعام: 80 - 83) .

3. الحكم بالنهاية السيئة نتيجة عدم الاستجابة وسوء الأفعال، من ذلك قوله تعالى:

﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: 24)،

وقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ﴾ (الأنعام: 26)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا

يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنعام: 27)، وقوله

تعالى: ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا لُهُوا عَنْهُ

وَإِلَهُمْ لَكَادِبُونَ ﴾ (الأنعام: 28)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى

اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ

اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ

أَخْرِجُوا أَلْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ

الْحَقُّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿ (الأنعام: 93)، وقوله تعالى: ﴿ أَوْ تَقُولُوا
لَوْ آتَانَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى
وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ
يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿ (الأنعام: 157).

4. إعطاء أحكام عامة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

وَلَلْآخِرَةُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿ (الأنعام: 32)، وقوله تعالى: ﴿

وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ

هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿ (الأنعام: 116)، وقوله تعالى في الحكم على من لا يستجيب

للدعوة بأنه كالميت: ﴿ إِذَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ

إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿ (الأنعام: 36)، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ

أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿ (الأنعام: 104)،

وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَلْمَا يُصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ

الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (الأنعام: 125)، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ

يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا غَافِلُونَ ﴿ (الأنعام: 131)، وقوله تعالى: ﴿

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً

عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿ (الأنعام: 140) ، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ (الأنعام: 158) ، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام: 165) .

5. الدعوة إلى تفعيل دور التغذية الراجعة، وذلك بالعدول عن الخطأ إلى الصواب، عند العلم بالخطأ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (الأنعام: 54) .

ثانياً: تقويم الفرد لذاته:

1. أن يحكم الفرد على ما يعتقد أو يفعل أو يتصرف بالصحة أو البطلان نتيجة وجود الأدلة الدامغة والحجج واقتناعه بها أو عدم اقتناعه بها فتصح لديه أو تبطل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخِيذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِلَيَّ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: 14) ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (الأنعام: 30)،

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ

إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام: 57)، وقوله

تعالى: ﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أُمَّتِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾

(الأنعام: 114)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً

إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى

كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ

بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ

قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) ﴾ (الأنعام: 74

- 79)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ

عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ

أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَبِهْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لَّنُسَلِّمَ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام: 71)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ

فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا لُزْنَا وَلَا نُكْذِبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَلَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (الأنعام: 27

، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ

بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ

أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿ (الأنعام: 31)، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ

ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿ (الأنعام: 56)

2. الإقرار بالإنحراف عن المنهج الصواب واتباع الهوى، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ

تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا

الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ (30) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا

جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ

أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿ (31) ﴾ (الأنعام: 30-31)، وقوله

تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ ﴿ (الأنعام: 130) .

3. المناقشة: ومن ذلك مناقشة سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه في الوصول والاهتداء إلى الخالق

جل وعلا عن طريق تقويم الألهة التي يمكن عبادتها من دون الله والوصول إلى عدم

استحقاقها لذلك لما يعترها من تغير وتبدل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ

مَلَكَوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى

الْقَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ

قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79))

الأنعام: 74 - 79 .

الخاتمة

النتائج

1. أن سورة الأنعام سورة كلية، اشتملت على موضوعات تعليمية تربوية عقديه معرفية تشريعية اخلاقية نفسية، شكلت مجموعها منهاجاً واضحاً للأسس التي تقوم عليها النظرية التربوية الإسلامية .
2. أن النظرية التربوية الإسلامية هي مجموعة من المبادئ والأفكار والمفاهيم والمصطلحات والمعلومات المتناسقة والمرتبطة والمتفاعلة فيما بينها ذات الصلة بقضية التربية، والمستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، تؤدي الى تحليلها وتوضيحها وبيان خصائصها وميزاتها وأهدافها وغاياتها وأثرها، وما يجري بها من تفاعلات، وتوجيهها، وبيان نتائجها وتفسيرها وتطويرها، بما يشكل في مجموعه نظرة كلية منضبطة عن التربية من منظور إسلامي .
3. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً عقديه للنظرية التربوية الإسلامية، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وتفصيلات ذلك .
4. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً معرفية للنظرية التربوية الإسلامية، كبيان مصادر المعرفة وادوات اكتسابها، وتكامل وسائل وطرائق المعرفة .
5. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً تشريعية للنظرية التربوية الإسلامية، كبيان خصائص ومجالات التشريع الإسلامي وامثلته .

6. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً أخلاقية

للنظرية التربوية الإسلامية، وذلك من خلال بيان جملة من الاخلاق الحميدة والذميمة
واثرها الاجتماعي والتربوي .

7. أن سورة الأنعام تحتوي على القواعد والمبادئ التي تشكل في مجموعها أصولاً نفسية

للنظرية التربوية الإسلامية، وذلك من خلال بيان مفهوم النفس والصحة النفسية
ومظاهرها، والمرض النفسي وامثلته .

8. أن سورة الأنعام حوت جملة من القواعد والأسس التربوية التي يمكن توظيفها في

العملية التربوية وذلك في إعداد وصياغة المنهاج التربوي وما يشتمل عليه من أهداف
ومحتوى وانشطه وطرق تدريس .

التوصيات

1. ضرورة تأصيل العلوم التربوية في جوانبها المختلفة وذلك عن طريق ربطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وتراث السلف الصالح .
2. على القائمين على المناهج التربوية في أقطار العالم الإسلامي مراعاة أصول النظرية التربوية المستخلصة من سورة الأنعام وتطبيقاتها وتضمينها للمناهج التربوية .
3. ضرورة دراسة سور القرآن الكريم دراسة تربوية واعية لاستخراج مضامينها التربوية، وتطبيقها في الواقع التربوي .
4. ضرورة عدم الاكتفاء بالتنظير بالكتابات والبحوث التربوية، وترجمتها إلى تطبيق عملي واقعي من خلال التركيز على الدراسات العملية التطبيقية .
5. ضرورة الانتقال من الكتابة الفردية الخاصة إلى الكتابة الجماعية المؤسسية .

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة	مطلع الآية
69	3 - 1	الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
16	2	ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
329	7	خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
146	30	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
73	102	وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ
295، 289	153	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا
140	164	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
359	170	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا
193	173	إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
97، 206	177	لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا
194	219	وَإِنَّمَهُمَا أَكْبَرُ
160	269	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ
85	275	كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ
238	285	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا

رقم الصفحة	رقم الآية	المسورة	الآية
129 ، 128	20 ، 146	البقرة، الأنعام	يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ
160	7	آل عمران	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
209	14	آل عمران	زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ
266 ، 258	30	آل عمران	يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
45	64	آل عمران	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا
299	102	آل عمران	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
208	103	آل عمران	وَكَنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
120	135	آل عمران	وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
159	137	آل عمران	قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ
292	139	آل عمران	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
258	185	آل عمران	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
140	190 - 191	آل عمران	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
260	1	النساء	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ
235	3	النساء	فَالِكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ
238 ، 235	58	النساء	وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ
159	82	النساء	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	مطلع الآية
147	123	النساء	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
235	135	النساء	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
96	136	النساء	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا
159	155	النساء	فَبِمَا نَقُضَهُمْ مِن بَآئِنِهِمْ
193	1	المائدة	أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَةٌ
193	3	المائدة	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ
235	8	المائدة	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
137	15 - 16	المائدة	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ
178,180,336	48	المائدة	لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
194	90	المائدة	فَاجْتَنِبُوهُ
128	98	المائدة	اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
267	116	المائدة	تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي
،137،147،69،70،105،47،56،63 398،377،367،370	3 - 2 - 1	الأنعام	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
398،368،72،241	5	الأنعام	فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَتْبَاءُ
390،155،162،71،48	6	الأنعام	أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ

رقم الآية	الآية	العدد	قيلهم
164	7	الأنعام	وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا
166,79	9 - 8	الأنعام	لَوَلَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ مَلَكَ
,368,352,243,245,165,92,50 392	11 - 10	الأنعام	وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
398 ,374,264,267,98,48,63	12	الأنعام	قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
373,49,64	13	الأنعام	وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
312,64, 49,57	14	الأنعام	قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا
398,374,296,100,138	16 - 15	الأنعام	قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
371,296,107,64	17	الأنعام	وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ
373,65	18	الأنعام	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
399,372,314	19	الأنعام	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً
267,93	20	الأنعام	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
246	21	الأنعام	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى
400,268	24	الأنعام	الظُّرَّ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ

			أَنْفُسِهِمْ
رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	مطلع الآية
383,160	25	الأنعام	وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ
400,268	26	الأنعام	وَهُمْ يَبْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ
402,371	14 - 12	الأنعام	قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
403,400,138,73	27	الأنعام	وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا
400	28	الأنعام	بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ
402,403,404	31 - 30	الأنعام	وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ
400,383,375	32	الأنعام	وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ
221	34	الأنعام	وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ
401,380,374,296,153,167	36	الأنعام	إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
399,250,51	41 - 40	الأنعام	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
375,325,247,108,109, 81 390	- 43 - 42 44	الأنعام	فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
101,372	- 23 - 22 24	الأنعام	وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
385,327,170	46	الأنعام	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ

382,296,94	49 - 48	الأنعام	وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
رقم الصفحة	رقم الآية	التسوية	بمطابق الآية
383,384,158,172	50	الأنعام	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
398,372	52	الأنعام	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
402,65	54	الأنعام	وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
402,404,379,372, 65,57	57 - 56	الأنعام	قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ
52	58	الأنعام	وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ
75, 66,51	59	الأنعام	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
384,372	65 - 59	الأنعام	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ
398	60	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ
81	61	الأنعام	حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ
398,66	62	الأنعام	ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ
384,377,373,160	65	الأنعام	قُلْ هُوَ الْقَادِرُ
26	67	الأنعام	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
252,82	68	الأنعام	وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ
255,269	70	الأنعام	وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
403,287,182,84,58	71	الأنعام	قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ
374	72	الأنعام	وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

379،185	72 - 71	الأنعام	وَأَمْرًا لِنَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ
رقع الصفحة	رقع الآية	السطور	مطلع الآية
373،76	73	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
1998،59	74	الأنعام	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ
405،403،354،315،199	- 75 - 74 79 - 78	الأنعام	وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ
379	79	الأنعام	إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
399،386،382،360،297،299	- 81 - 80 83 - 82	الأنعام	وَكَيفَ أَخَافَ مَا أَشْرَكْتُمْ
360،318	88	الأنعام	ذَلِكَ هَدَى اللَّهُ
361	89	الأنعام	أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ
360،361	90	الأنعام	أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
95	90 - 84	الأنعام	وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
380،375	92	الأنعام	وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا
400،275،257	93	الأنعام	أَخْرِجُوا الْفُسُكُومَ
139	94	الأنعام	وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى
376،377،141	95	الأنعام	إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ
،152،142،143،146،150،54، 53	-96-95	الأنعام	إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ
384،373،155	99-98-97		

رقم الصفحة	رقم الآية	السطور	مطالع الآيات
377	97	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ
377:274	98	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ
390	99	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
386,199,85,60	100	الأنعام	وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ
386,373	101	الأنعام	بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
380:183,61	102	الأنعام	ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
401,269,176	104	الأنعام	قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ
382,362,317	106	الأنعام	اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ
318	107	الأنعام	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا
86	112	الأنعام	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
402	114	الأنعام	أَفَعَبِّرَ اللَّهُ أَتَّبِعِي حَكَمًا
401,302,43,109	116	الأنعام	وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ
388,186	119 - 118	الأنعام	فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ
398	120	الأنعام	إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ
388,321	121	الأنعام	وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ
304	122	الأنعام	أَوْ مِنْ كَانَ مِنْهَا فَأَحْيَيْنَاهُ

رقم الصفحة	رقم الآية	الأئمة	مطالع الآية
271,110	123	الأنعام	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ
401,381,305,284	125	الأنعام	فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ
404,272	130	الأنعام	يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
401	131	الأنعام	ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ
389	139 - 138	الأنعام	وَقَالُوا هَذِهِ أَلْعَامٌ وَحَرِثٌ
401	140	الأنعام	قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا
388,389,374,188	141	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
388,389,55	142 - 141 144 -	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ
388,191	145	الأنعام	قُلْ لَّا أجدُ فِي مَا أُوحِيَ
377,313,226,231,158,201 385	151	الأنعام	تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
376,27,195	152 - 151 153 -	الأنعام	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
258	33, 151	الأنعام، الإسراء	وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
385,273,235,236	152	الأنعام	وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
382,201	153	الأنعام	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

رقم الصفحة	رقم الآية	البسورة	مطلع الآية
400	157	الأنعام	أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ
401,273	158	الأنعام	هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ
382	161	الأنعام	قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي
379,307,61	163 - 161	الأنعام	إِنِّي هَدَانِي رَبِّي
373,296	162	الأنعام	قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي
399,273	164	الأنعام	قُلْ أَعْبُدِ اللَّهَ أُبْغِي رَبًّا
402,375	165	الأنعام	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
248	95 - 94	الأعراف	وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ
285	96	الأعراف	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى
193	157	الأعراف	وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
154,176,288,295	179	الأعراف	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ
109	183	الأعراف	وَأَمْلِي لَهُمْ
154	185	الأعراف	أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ
44	191	الأعراف	أَيْشْرِكُونَ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا
136	203	الأعراف	هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ
153	204	الأعراف	وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
128	60	الأنفال	وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	المقطع الآي
241	33	التوبة	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
159	87	التوبة	رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا
111	101	التوبة	وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
128	45	يونس	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
102	61	يونس	وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
141	67	يونس	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
310	10 - 9	هود	وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
153	20	هود	مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ
201	84	هود	وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ
159	2	يوسف	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
263	18	يوسف	بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ
263,331	53	يوسف	وَمَا أَتَى نَفْسِي
128,129	58	يوسف	وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ
43	103	يوسف	وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ
43	106	يوسف	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
147	11	الرعد	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

رقم الآية	الصفحة	السورة	المطلب
19	160	الرعد	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَلَمَّا أَنْزَلَ
1	135	إبراهيم	الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
34	310	إبراهيم	إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ
29	263	الحجر	فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَتَفَخْتُ فِيهِ
95	244	الحجر	إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ
17	44	النحل	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ
64	136	النحل	وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
65	141	النحل	وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
76	237	النحل	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
78	130,132	النحل	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَهَاتِكُمْ
80	168	النحل	إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى
83	129	النحل	يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ
89	16	النحل	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
90	238 ، 234	النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
91	206	النحل	وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ
97	284	النحل	فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	مطامع الآيات
329	108	النحل	أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ
192	115	النحل	إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
220	127	النحل	وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
271	7	الإسراء	إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ
231	23	الإسراء	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا
199	31	الإسراء	وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ
360	36	الإسراء	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ
159	41	الإسراء	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
44	42	الإسراء	قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ
310	83	الإسراء	وَإِذَا أَلْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ
259,68,119	85	الإسراء	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ
158	99	الإسراء	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
310	100	الإسراء	قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ
210,224,309,329	28	الكهف	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
121	49	الكهف	وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا
155	59	الكهف	وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ
153	101 - 100	الكهف	وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	مطلع الآية
57	89	مريم	وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا
67	146	مريم	أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ
90 - 91	286	مريم	تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
15	258	طه	لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ
41	266	طه	وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي
114	119	طه	وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا
115	206	طه	وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ
117	87	طه	إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
123 - 124	16,181,283,366	طه	فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى
30	158	الأنبياء	أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
31	282,311	الحج	وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
52	91	الحج	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
65	141	الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ
66	310	الحج	إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٍ
52	155	النمل	فَعَلَيْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً
93	141	النمل	وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	نص الآية
309	50	القصص	فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ
153	71	القصص	قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
210	78	القصص	إِنَّمَا أَوْتِيئُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي
157	61	العنكبوت	وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
157	63	العنكبوت	وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ
306	69	العنكبوت	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا
147	8	الروم	أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ
159	9	الروم	أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
139	22	الروم	وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ
149	27	الروم	وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ
56	30	الروم	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
169	52	الروم	فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى
146	54	الروم	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
300	13	لقمان	يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ
229	14	لقمان	أَنْ اشْكُرْ لِي

رقم الصفحة	رقم الآية	السموة	مطلع الآية
17	7	السجدة	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
263	9	السجدة	ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ
226	28	الأحزاب	فَتَعَالَيْنِ أُمْتَعَنَّ
147	72	الأحزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ
135	28	سبا	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ
323	6	فاطر	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ
125	28	فاطر	إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ
245	43	فاطر	وَلَا يَجِئُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ
98	51	يس	وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
206	60	يس	أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ
154، 156	40-36-33	يس	وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ
157	79	يس	قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا
160	18	الزمر	الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
262	42	الزمر	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ
302	65	الزمر	لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
158	57	غافر	لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
146	67	غافر	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

رقم الصفحة	رقم الآية	السورة	مطلع الآية
153	26	فصلت	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
16	42	فصلت	لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
271	46	فصلت	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
133،139	53	فصلت	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ
63	11	الشورى	فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
225	43	الشورى	وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ
179	32	الزخرف	وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ
153	8 - 7	الجاثية	وَيَلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ
180 ، 179	18	الجاثية	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ
136	20	الجاثية	هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ
308	23	الجاثية	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ
128	19	محمد	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
40	15	الحجرات	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
139،147،151،260،133	21 - 20	الذاريات	وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
49،240،286،370	57 - 56	الذاريات	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
134	2 - 1	الرحمن	الرَّحْمَنِ

مطلع الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ	الرحمن	27 - 26	121
أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا	الحديد	16	324
لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ	المجادلة	22	209، 229
لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً	الحشر	13	160
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ	المتحنة	6	357
فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ	المتحنة	10	128
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ	الصف	3	364
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا	المنافقون	3	159
وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ	المنافقون	4	280
أَجْسَامُهُمْ			
وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ	التغابن	11	306
فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ	التغابن	16	238
وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ	الطلاق	1	263
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ	الطلاق	3 - 2	286
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا	التحریم	6	263، 333
أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ	الملك	14	207
وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ	القلم	4	362

رقم الصفحة	رقم الآية	المسورة	مطلع الآية
153	7	نوح	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
366، 286	12 - 10	نوح	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
285، 350	17 - 16	الجن	وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
331	2	القيامة	وَلَا أُنْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ
362	18	القيامة	فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ
158	40 - 36	القيامة	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
90	2 - 1	النبا	عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ
309	41 - 40	النازعات	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
310	17	عبس	فَقِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ
218	6	الانشقاق	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ
154	21 - 17	الغاشية	أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ
263، 331	-29 - 27 30	الفجر	يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ
218	4	البلد	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
133	10	البلد	وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
72	15	الشمس	وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا
263، 287	10 - 8 - 7	الشمس	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا

17,309	6 - 4	التين	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
310	7 - 6	العلق	كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا
121	8 - 7	الزلزلة	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
224,310	3 - 1	العصر	وَالْعَصْرِ
62	2	الكوثر	فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ
43,63	4 - 1	الإخلاص	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس الأماهدس

رقم الصفا	صفء الصفا	الراوى	مطبع الصفا
109	حسن	ابن حنبل	إذا رأيت الله يعطي العبد
26	حسن	ابن حنبل، الطبراني، البيهقي، الطيااسي، الطحاوي، الهيثمي	أعطيت مكان التوراة السبع
289،295	صحيح	أبو عبدالله الحاكم	إن الحياء والإيمان
219	صحيح	البيهقي، ابن الجعد	إن المسلم الذي يخاطب الناس
101	صحيح	البيهقي، ابن حنبل، الترمذي	إن أول ما خلق الله القلم
89،97،102	صحيح	مسلم، البخاري	أن تؤمن بالله وملائكته
218	صحيح	البخاري	أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني
203	صحيح موقوف	البيهقي، البخاري	إن في المعارض لمنذوحة عن الكذب
237	صحيح	البخاري	دعوها فإنها منتنة
357	متفق على صحته	البيهقي، ابن حبان	صلوا كما رأيتموني أصلى
362	حسن لغيره	ابن حبان، أحمد بن حنبل، الطيااسي	طوبى لمن رآني

رقم الصفحة	صحة الحديث	الراوي	سطح الحديث
92	صحيح	أبو داود	الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ
208	صحيح	البخاري	كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ
359	صحيح	مسلم	لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
235		أبو عبيد	لَعَمَلُ الْإِمَامِ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ
26	صحيح	أبو عبدالله الحاكم	لَقَدْ شِيعَ هَذِهِ السُّورَةَ
224	حسن	ابن حبان	اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ
107	صحيح	البخاري	اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ
224،241	صحيح	مسلم، ابن حنبل، الاشبيلي	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ
52	صحيح	البخاري	مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ
231	صحيح	البخاري	مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي
386		البيهقي	النَّاسُ يَعْمَلُونَ بِالْخَيْرِ
25		الطبراني	نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ جُمْلَةً بِمَكَّةَ
25		الطبراني	نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْعَامِ وَمَعَهَا مَوْكِبٌ
209	صحيح	البخاري	وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ
230	صحيح	أبي داود	يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ آبَائِي
102	حسن صحيح	الترمذي	يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ

رقم الصفحة	صحة الحديث	الراوي	مطلع الحديث
366	صحيح	البخاري	يَسْخَرُونََنَا بِهَا مَخَافَةً
239	حسن	ابن حنبل، البيهقي، الطيالسي، ابن أبي شيبة	يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم، أحمد شوقي، الروح والنفس والعقل والقرين، مصر، دار نهضة مصر للنشر، د.ط، د.ت .
2. إبراهيم، عبد اللطيف فؤاد، المناهج: أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها، القاهرة، مكتبة مصر، ط 3، 1972 م .
3. ابن الجعد، علي ابن الجعد بن عبيد، مسند ابن الجعد، د. م، د. ن، ط 2، 1417 هـ - 1996 م . 745 .
4. ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 2، 1973 م .
5. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، دم، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت .
6. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري لشرح صحيح البخاري، (تحقيق: ابن باز)، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1414 هـ - 1993 م .
7. ابن حزم، علي، الفصل في الملل والنحل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1416 هـ - 1996 م .
8. ابن حسين النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (تحقيق: زكريا عمران)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1416 هـ - 1996 م .

9. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دم، مؤسسة

الرسالة، ط 1، 1421 هـ - 2001 م .

10. ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي، تفسير اللباب لابن عادل، بيروت، دار الكتب

العلمية، د.ط، د.ت .

11. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي،

ط 1، 1420 هـ - 2000 م .

12. ———، تفسير التحرير والتنوير، بيروت، مؤسسة التاريخ، ط 1، 1420 هـ -

2000 م .

13. ———، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، 1984 م .

14. ابن عبد البر، يوسف بن عمر، جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الفكر، د.ط،

د.ت .

15. ابن عثيمين، محمد بن صالح، القول المفيد على كتاب التوحيد، الرياض، دار ابن

الجوزي، ط 1، 1418 هـ - 1997 م .

16. ———، ———، المحاضرات في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام

ابن تيمية، (تحقيق: أشرف بن عبد المقصود)، الرياض، مكتبة طبرية، ط 1، 1413

هـ - 1993 م .

17. ———، ———، مجموع الفتاوي والرسائل، الرياض، دار الثريا،

ط 2، 1414 هـ - 1994 م .

18. ابن عطية، أي محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1 .
19. ابن فارس، أحمد بن زكريا، معجم المقاييس في اللغة، (تحقيق: شهاب الدين أبو عمر)، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1418 هـ - 1998 م .
20. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر، إغاثة اللهفان من مصاد الشيطان، (تحقيق: محمد حامد الفقي)، د. مكان، دار الفكر، د.ط، د.ت .
21. _____، _____، طريق الهجرتين وباب السعادتين، قطر، إدارة الشؤون الدينية، 1397 هـ - 1977 م.
22. _____، _____، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2، 1421 هـ - 2001 م .
23. ابن كثير الدمشقي، اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2، 1419 هـ - 1999 م ؛ دار الخير، ط 1، 1410 - 1990 .
24. ابن مسكويه، أحمد بن محمد، تهذيب الأخلاق، بيروت، الجامعة الأمريكية، (د.ط)، 1966 م .
25. ابن مصطفى الخلوتي، اسماعيل حقي، تفسير روح البيان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت .

26. ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد

الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 2،
1997م .

27. أبو دلو، جمال، الصحة النفسية، الأردن، دار أسامة، ط 1، 2009م.

28. أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، د. مكان، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت .

29. أبو زيد، رشدي شحاته، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مصر، دار الوفاء، ط
1، 1428 هـ - 2008 م .

30. أبو عبيد، القاسم بن سلام، كتاب الأموال، (تحقيق: محمد هراس)، بيروت، دار
الفكر، د. ط، د. ت .

31. أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، د. م، دار
الكتب العلمية، د.ط، د.ت .

32. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، (تحقيق: حسين سليم أسد)،
دمشق، دار المأمون للتراث، ط 1، 1404 هـ - 1989 م .

33. أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، بيروت، دار الكتاب
العربي، د.ط، د.ت .

34. أبي عبدالله، المستدرک علی الصحیحین ، ط 1 ، 1427 هـ - 2006م.

35. أحمد، علي بهلول، منهج القرآن الكريم، في تحقيق الصحة النفسية، عمان، الدار
العثمانية للنشر، ط 1، 1432 هـ - 2011 م .

36. أحمد، والي عبد الرحمن، أسس وبناء وتنظيمات المناهج، القاهرة، مكتبة الزهراء، ط 1، 2002 م .
37. إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، مسند إسحاق بن راهويه، (تحقيق: د. عبد الرحمن بن عبد الحق البلوشي)، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، ط 1، 1412 هـ - 1991 م .
38. الإشبيلي، أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، الأحكام الشرعية الكبرى، (تحقيق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة)، السعودية، مكتبة الرشد، ط 1، 1422 هـ - 2001 م .
39. الأشقر، عمر سليمان، القضاء والقدر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 1، 1410 هـ - 1990 م .
40. _____، _____، الرسل والرسالات، الكويت، مكتبة الفلاح، 1983 م .
41. _____، _____، العقيدة في الله، الكويت، مكتبة الفلاح، ط 5، 1984 م .
42. الألمعي، زاهر، مناهج الجدل في القرآن الكريم، د.م، د.ط، 1404 هـ - 1984 م .
43. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1415 هـ - 1994 م .
44. الأمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، (تحقيق: سيد الجميلي)، لبنان، دار الكتاب العربي، ط 1، 1404 هـ - 1983 م .

45. الأندلسي، أبو حيان، تفسير البحر المحيط، (تحقيق: صدقي محمد جميل)، دار

الفكر، د.ط، 1420 هـ - 1999 م .

46. الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، د .

ط ، 1970 م .

47. البخاري، محمد بن اسماعيل، الأدب المفرد، بيروت، دار البشائر الإسلامية،

(تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، ط 3، 1409 هـ - 1989م.

48. _____، _____، صحيح البخاري، القاهرة، دار الشعب، ط1، 1407

هـ - 1987 م .

49. بشناق، إبراهيم عبد الشكور محمد، بعض المضامين التربوية في سورة الحديد،

رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم الدراسات

الإسلامية، 1998م .

50. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون،

د. مكان، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 4، 1417 هـ - 1997 م .

51. البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات

والسور، (تحقيق: عبد الرازق غالب المهدي)، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط،

1415 هـ - 1995 م .

52. البقري، أحمد ماهر، العمل والقيم الخلقية، مصر - الاسكندرية، المكتب

الجامعي، د. ط، 1988 م .

53. بلوم، بنيامين وآخرون، تقييم تعلم الطالب التجميعي والتكويني، ترجمة محمد أمين المفتي، القاهرة، دار ماكجروهيل، د.ط، 1983 م .
54. البلوي، عطاء الله بن يحيى، المضامين التربوية وتطبيقاتها في سورة الشعراء، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم التربية الإسلامية، 2009م.
55. بناني، عبد الرحمن بن جاد الله، شرح جمع الجوامع من حاشية البناني، القاهرة، مكتبة البابي الحلبي، د.ط، د. ت .
56. البوطي، محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، دمشق، دار الفكر، ط 8، 1981 م .
57. البيضاوي، ناصر الدين عبدالله بن عمر، تفسير البيضاوي، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت .
58. البيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، (د.ط)، 1414 هـ - 1994 م .
59. _____، _____، شعب الإيمان، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، 1410 هـ - 1990 م .
60. _____، _____، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1405 هـ - 1985 م .

61. _____، _____، السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي،

باكستان، جامعة الدراسات الإسلامية، ط 1، 1410 هـ - 1989 م .

62. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: محمد أحمد شاكر، بيروت، دار

إحياء التراث العربي، د.ط، 1995 م .

63. التستري، سهيل بن عبدالله، تفسير التستري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1،

(تحقيق: محمد باسل عيون السود)، 1423 هـ .

64. التل، شادية أحمد، الشخصية من منظور نفسي إنساني، اربد، دار الكتاب الثقافي،

د . ط، 1427 هـ - 2006 م .

65. التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون (موسوعة اصطلاحات

العلوم الإسلامية)، بيروت، شركة خياط للكتب والنشر، د.ط، د.ت .

66. النوم ، بشير الحاج، مكانة فلسفة التربية في النظرية التربوية الإسلامية، عمان،

في مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، تحرير: فتحي ملكاوي،

المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1411 هـ - 1991 م .

67. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحكيم، النبوات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405 هـ

- 1985 م .

68. _____، _____، مجموع الفتاوى، بيروت، دار العربية للطباعة والنشر

والتوزيع، ط 1، 1398 هـ .

69. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،

بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 1997 م .

70. الجاوي، محمد بن عمر نووي، مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، تحقيق:

محمد أمين الصناوي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، 1417هـ .

71. الجرجاني، علي بن محمد الشريف، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميره،

بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1407 هـ - 1987 م .

72. الجزائري، أبو بكر جابر، عقيدة المؤمن، السعودية، مكتبة دار العلوم والحكم،

. 1994

73. _____، _____، منهاج المسلم، بيروت، دار الفكر، ط 8، 1396 هـ

- 1976 م .

74. الجلا، ماجد زكي، تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية،

الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط 2، 1425 هـ - 2004م .

75. الجلي، أحمد محمد أحمد، العقيدة الإسلامية أركانها وآثارها على الفرد

والمجتمع، الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، ط 1، 1430 هـ -

. 2010 م .

76. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدينة، د . ط

، 1402 هـ - 1982 م .

77. الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم

التفسير، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1987 م .

78. الحاج، خالد بن محمد علي، خصائص الإيمان بالملائكة والجان، الأردن، مكتبة

المنار، د. ط، 1407 هـ - 1987 م .

79. الحاج، سلوى عبدالله، الصحة النفسية من منظور إسلامي، رسالة ماجستير غير

منشورة، السودان، جامعة الخرطوم، 1996 م .

80. الحاج، فائز محمد علي، الصحة النفسية، د . م، د. ن، د. ط، 1977 م .

81. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، المستدرک علی الصحیحین،

بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1411 هـ - 1990م.

82. حسن، عيد علي محمد، النهج الدراسي، البحرين، دار الثقافة، ط 1، 1414 هـ

- 1993 م .

83. الحسين، أسماء عبد العزيز، المدخل الميسر إلى الصحة النفسية والعلاج النفسي،

الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1423 هـ - 2002م.

84. الحكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى عالم الأصول في

التوحيد، (ضبط وتعليق: عمر بن محمود)، الدمام، ط 2، 1413 هـ - 1992م.

85. حمزة، عمر يوسف، أصول الأخلاق في القرآن الكريم، عمان - الأردن، دار

الخليج، ط 1، 1427 هـ - 2006 م .

86. الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 9

، 1407 هـ - 1988 م .

87. حنوره، أحمد حسن ؛ عباس، شفيقه إبراهيم، ألعاب أطفال ما قبل المدرسة،

الكويت، مكتبة الفلاح، د . ط، 1996 م .

88. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ط 2، 1989 م .

89. الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير

الخازن)، تحقيق: محمد علي شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، 1415 هـ.

90. الخالدي، عطاء الله فؤاد، والعلمي، دلال سعد الدين، الصحة النفسية وعلاقتها

بالتكيف والتوافق، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 1، 1430 هـ -

2009م.

91. الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، الكويت - حولي، مكتبة

أهل الأثر للنشر والتوزيع، ط 1، 1430 هـ - 2009 م .

92. خطاطبه، عدنان مصطفى، الأصل العقدي للتربية الإسلامية، اربد، دار الكتاب

الثقافي، د.ط، 1432 هـ - 2011 م .

93. الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط،

د.ت .

94. الخطيب، محمد أحمد، أصول العقيدة الإسلامية ومذاهبها، عمان، دار المسيرة،

ط1، 2011 م - 1432 هـ .

95. الخطيب، محمد أحمد، والهزايمة، محمد عوض، دراسات في العقيدة الإسلامية،

عمان، دار عمار، ط1، 1410 هـ - 1990 م .

96. الخليفة، حسن جعفر، المنهج المدرسي المعاصر المفهوم الأسس المكونات

التنظيمات، الرياض، مكتبة الرشد، د.ط، 1424 هـ - 2003 م، عمان، دار

المسيرة، د.ط، 1424 هـ - 2003 م .

97. خليل، خليل محمد، النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن، الرياض، مكتبة

الملك فهد الوطنية، د. ط، د. ت .

98. خليلي، خليل يوسف ؛ السويدي، خليفة، المنهاج: مفهومه وتصميمه وتنفيذه

وصيائته، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، 1997 م .

99. الخن، مصطفى سعيد، مبادئ العقيدة الإسلامية، منشورات جامعة دمشق، ط 6،

1413 هـ - 1993 م .

100. الخوالدة، محمد محمود، أسس بناء المناهج التربوية وتصميم الكتاب التعليمي،

عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 1425 هـ - 2004 م .

101. الخوالدة، ناصر أحمد ؛ والصمادي، محمد عبدالله، مدخل إلى التربية الإسلامية

وطرق تدريسها، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1411 هـ - 1991

م .

102. الخياري، عبدالله بن محمد، تهذيب كتاب علم السلوك لشيخ الإسلام أحمد بن

تيمية، صنعاء، دار المجد، ط 2، 1997 م .

103. خياط، محمد جميل، النظرية التربوية في الإسلام دراسة تحليلية، دم، د. ن، ط 2، 1423 هـ - 2003 م .
104. دروزه، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، د. ط، 1383 هـ .
105. الدغشي، أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، دمشق، دار الفكر، ط 1، 1422 هـ - 2002 م .
106. الدليمي، طه حسين ؛ والهاشمي، عبد الرحمن عبد، المناهج بين التقليد والتجديد، عمان، دار اسامة، ط 1، 2008 م .
107. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1421 هـ - 2000 م .
108. ———، ———، النقد الكبير، بيروت، دار الفكر، ط 1، 1401 هـ - 1981 م، ج 11، ص 149 .
109. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، د.ط، د.ت.
110. رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1410 هـ - 1990 م .
111. الرفاعي، نعيم، الصحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف، دمشق، جامعة دمشق، ط 7، 1987 م .

112. الزبيدي، سلمان عاشور، أسس المناهج المدرسية، ليبيا، مطابع الوحدة العربية،

ط 1، 2002 م .

113. الزبيدي، عبد الرحمن بن زيد، مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر

الحاضر، الرياض، دار اشبيليا، ط 1، 1418 هـ - 1998 م .

114. الزبيدي، محمد بن مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: علي

سيري)، بيروت، دار الفكر، د. ط، 1994 م .

115. الزجيلي، وهبه بن مصطفى، التفسير الوسيط، دمشق، دار الفكر، ط 1، 1422

هـ - 2001 م .

116. زريق، معروف، علم النفس الإسلامي، دمشق، دار المعرفة، ط 1، 1408 هـ

- 1989 م .

117. زغلول، عماد، نظريات التعلم، عمان، دار الشروق، ط 1، 1423 هـ -

2003 م .

118. الزمخشري، محمود بن عمر، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون

الأقوال في وجوه التأويل، بيروت، دار المعرفة، ط 1، 1423 هـ - 2002 م .

119. الزهراني، مسفر، التوجيه والارشاد من القرآن الكريم والسنة النبوية،

السعودية - مكة، مطابع بهادر، ط 1، 1421 هـ .

120. زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، دم، دار الوفاء، ط 5، 1412 هـ -

1992 م .

121. الزين، سميح عاطف، علم النفس (معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1411 هـ - 1991 م .
122. سابق، السيد، العقائد الإسلامية، لبنان، دار الفكر، د.ط، 1978 م .
123. سالم، عبد الرشيد عبد العزيز، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الكويت، دار البحوث العلمية، ط 2، 1399 هـ - 1979 م .
124. سرحان، الدمرداش ؛ كامل، منير، المناهج، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، د.ط، د . ت .
125. سعادة، جودت أحمد ؛ إبراهيم عبدالله محمد، المنهج المدرسي المعاصر، عمان، دار الفكر، ط 4، 1425 هـ - 2004 م .
126. سعد الدين، إيمان عبد المؤمن، الأخلاق في الإسلام، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط 1، 1424 هـ - 2003 م .
127. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق)، دم، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420 هـ - 2000 م .
128. سعيد، جودت، اقرأ وربك الأكرم، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 1، 1415 هـ - 1994 م .
129. السفاريني، محمد بن أحمد، لوائح الأثوار السنية ولوائح الأفكار السنية، (تحقيق: عبدالله البصيري)، الرياض، مكتبة الرشيد، ط 1، 1415 هـ - 1994 م .

130. سلامة، عادل أبو العز أحمد، تخطيط المناهج وتنظيمها بين النظرية والتطبيق، عمان، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1427 هـ - 2006 م .
131. السلمي، أبو عبدالرحمن محمد بن الحسين، تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، تحقيق: سيد عمران، بيروت، دار الكتب العلمية، د . ط، 1421 هـ - 2001 م .
132. السمعاني، منصور بن محمد، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الرياض، دار الوطن، 1418 هـ - 1997 م.
133. السيوطي، عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، مصر، دار هجر، د.ط، 1424 هـ - 2003 م .
134. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، تحفة الأبرار بنكت الأذكار النووية، الرياض، مكتبة الرشد، د.ط، د.ت .
135. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 7، 1425 هـ - 2005 م .
136. شاهين، نجوى عبد الرحيم، أساسيات وتطبيقات في علم المناهج، القاهرة، دار القاهرة، ط 1، 2006 م .
137. شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، 1399 هـ - 1979 م .
138. الشريف، عدنان، من علم النفس القرآني، بيروت، دار العلم للملايين، ط 2، 1993 م .

139. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، القاهرة، أخبار اليوم، د.ط،

1991م.

140. ———، ———، مكارم الأخلاق، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1،

1426هـ - 2005 م .

141. الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول،

(تحقيق: أحمد عز عنان)، دم، دار الكتاب العربي، ط 1، 1419هـ - 1999 م.

142. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية

والدراية من علم التفسير، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت .

143. الشيباني، عمر التومي، قضايا الإنسان (ضمن كتاب: الفكر التربوي العربي

الإسلامي: الأصول والمبادئ)، تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،

د.ط، 1407 هـ - 1987 م .

144. ———، ———، فلسفة التربية الإسلامية، ليبيا، الدار العربية للكتاب، د.ط،

1988 م .

145. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، مصنف ابن أبي

شيبة، بيروت، دار الفكر، د.ط، 1989م .

146. الصلابي، علي، الوسطية في القرآن الكريم، لبنان، المكتبة العصرية،

2006م.

147. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض
الله بن محمد، القاهرة، دار الحرمين، د.ط، 1415 هـ - 1994 م .
148. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن
عبدالمجيد السلفي، الموصل، مكتبة الزهراء، ط 2، 1404 هـ - 1993 م .
149. الطبراني، سليمان بن محمد بن أيوب، التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم،
إربد، دار الكتاب الثقافي، ط 1، 1428 هـ - 2008 م .
150. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، مؤسسة
الرسالة، ط 1، 1420 هـ - 2000 م .
151. الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب
الأرنؤوط، د. م، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1415 هـ - 1994 م .
152. الطنطاوي، علي، تعريف عام بدين الإسلام، الأردن، دار الفرقان، د.ط،
1985 م .
153. الطيالسي، سليمان بن داوود أبو داوود، مسند أبي داوود الطيالسي، بيروت،
دار المعرفة، د.ط، د.ت .
154. عامر، أحمد محمد، أصول علم النفس العام في ضوء الإسلام، بيروت، دار
ومكتبة الهلال، د. ط، 1429 هـ - 2008 م .
155. عبد الخالق، أحمد محمد، أصول الصحة النفسية، مصر، دار المعرفة
الجامعية، ط 3، 1413 هـ - 1993 م .

156. العبد اللطيف، عبد العزيز بن محمد، نواقض الإيمان القولية والعملية،

الرياض، دار الوطن، ط 21، 1415 هـ - 1995 م .

157. عبد المجيد، أبو سعيد محمد، مناهج التعليم الديني ووضعها في العالم

الإسلامي، ندوة عالمية عن مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي: التحديات

والآفاق، ماليزيا، المعهد العالمي لوحدّة الأمة الإسلامية، معهد التربية والترقية

الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، د.ط، 1426 هـ - 2005 م .

158. عبد الموجود، محمد عزات وآخرون، أساسيات المنهج وتنظيماته، القاهرة،

دار الثقافة للطباعة والنشر، ط 2، 1979 م .

159. عبدالله، عبد الرحمن صالح، المنهاج الدراسي أسسه وصلته بالنظرية التربوية

الإسلامية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط 1،

1405 هـ - 1985 م .

160. عبدالله، عبد الرحمن صالح وآخرون، مدخل إلى التربية الإسلامية وطرق

تدريسها، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط 1، 1411 هـ - 1991 م .

161. عبده، يزن احمد، القواعد التربوية كما تظهرها القصة القرآنية في سورة

الكهف، رسالة ماجستير غير منشوره، الأردن، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، قسم

التربية الإسلامية، 2000م .

162. العبيدات، عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانها في تقرير

مسائل العقيدة الإسلامية، عمان، دار النفائس، ط 1، 1420 هـ - 2000 م .

163. ابن أبي العز الحنفي، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: مصطفى

بن عدوي، المنصورة، دار ابن رجب، ط 2، 1424 هـ - 2003 م.

164. عطية، نعيم، التقييم التربوي الهادف، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د. ط،

1970 م .

165. العلواني، طه جابر، خواطر في الأزمة الفكرية المعاصرة، (ضمن بحوث:

المؤتمر الرابع للعلوم السلوكية والتربوية، المنعقد في الخرطوم في 1407 هـ -

1987 م)، هيرندن - فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (د.ط)، 1411

هـ - 1990 م .

166. العمري، سعيد موسى عيدان، التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة

المجادلة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية

الإسلامية، 1424 هـ .

167. العنابي، حنان، الصحة النفسية، عمان، دار الفكر، د. ط، 2000 م .

168. عيسوي، عبد الرحمن، الإيمان والصحة النفسية، مصر - الاسكندرية، المكتب

العربي الحديث، د.ط، د.ت .

169. غريب، عبد الفتاح غريب، مصر، جامع الأزهر، د. ط، 1993 م.

170. الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط4، 2005 م .

171. الغزالي، محمد، عقيدة المسلم، الاسكندرية، دار الدعوة، د.ط، 1988 م .

172. فوزان، صالح بن فوزان، إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1423 هـ - 2002 م .
173. فوزي، إيمان في الصحة النفسية، مصر، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 2001م.
174. الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت .
175. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 6، 1419 هـ - 1998 م .
176. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، لبنان، مكتبة لبنان، د.ط، 1987 م .
177. قادري، عبدالله بن أحمد، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي، السعودية - جدة، دار المجتمع، ط 1، 1988 م .
178. القاسم، خالد عبدالله ورفاقه، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، الرياض، جامعة الملك سعود، د. ط، 1427 هـ - 2007 م .
179. القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1398 هـ - 1978 م .
180. القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، د.ط، 1401 هـ - 1981 م .

181. القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط 9،

1401هـ - 1981 م .

182. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه

من السنن وآبي الفرقان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1427 هـ - 2006 م .

183. القطان، إبراهيم، تيسير التفسير، عمان، دن، د.ط، 1982م.

184. قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، القاهرة، دار الشروق، ط 22، 1414 هـ

- 1994 م .

185. القوصي، عبد العزيز، أسس الصحة النفسية، مصر، مكتبة النهضة المصرية،

ط 4، 1371 هـ - 1952 م .

186. القيسي، مروان، معالم التوحيد، بيروت، المكتب الإسلامي، ط 1، 1410 هـ

- 1990 م .

187. الكردي، راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض،

مكتبة المؤيد، ط 1، 1412 هـ - 1992 م .

188. كرزون، أنس أحمد، أمراض النفس دراسة تربوية لأمراض النفوس

ومعوقاتها، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1418 هـ -

1997 م .

189. الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط 1،

2005 م .

190. الكيلاني، ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دن، دن،

ط 2، 1405 هـ - 1985 م .

191. الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية - دراسة مقارنة بين أصول التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دبي، دار القلم، ط 1، 1429 هـ - 2008 م .
192. الكيلاني، ماجد عرسان، مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها، دبي، دار القلم، ط 1، 2005 م .
193. اللقاني، أحمد حسين، المناهج بين النظرية والتطبيق، القاهرة، عالم الكتب، ط 3، 1984 م ؛ ط 4، 1995 .
194. اللقاني، أحمد حسين، المنهج: الأسس، المكونات، التنظيمات، القاهرة، عالم الكتب، ط 1، 1415 هـ - 1995 م
195. الماوردي، علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، تحقيق: ياسين محمد السواس، دمشق، دار ابن كثير، د. ط، 1413 هـ - 1993 م .
196. الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت .
197. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، اسطنبول، دار الدعوة، د. ط، 1989 م .
198. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د . ط، 1403 هـ - 1983 م .
199. مجموعة من المؤلفين، العقيدة الإسلامية، جامعة القدس المفتوحة.
200. محفوظ، إبراهيم أحمد، في الفلسفة والاخلاق، دم، دن، د. ط، 1418 هـ - 1998 م .

201. محمد نور، خالد بن عبد اللطيف، منهج أهل السنة والجماعة، السعودية، مكتبة

الفيزياء الأثرية، د.ط، 1415 هـ - 1995 م .

202. محمود، عبد الرحمن بن صالح، القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة

ومذاهب الناس فيه، الرياض، دار الوطن، ط2، 1418 هـ - 1997 م .

203. مذكور، علي أحمد، مفهوم المنهاج التربوي في التصور الإسلامي، بحوث

المؤتمر التربوي (مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة)، تحرير:

فتحي حسن ملكاوي، ج 2، عمان، الشركة الجديدة للطباعة والنشر، د . ط، 1412

هـ - 1991 م .

204. مذكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الإسلامي، بيروت، دار النهضة

العربية، (د.ط)، 1411 هـ - 1990 م .

205. مراد وهبه، المعجم الفلسفي، ط 3، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1399 هـ -

1979 م .

206. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

البابوي الحلبي وأولاده، د.ط، د.ت، ج 8 .

207. مرسي، عبد الحميد، النفس مطمئنة، مصر، دار توفيق، ط 1، 1983 م.

208. مرعي، توفيق أحمد ؛ والحيلة، محمد محمود، المناهج التربوية الحديثة

مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، عمان، دار المسيرة، ط 4، 1425 هـ -

2004 م .

209. مريس، كمال إبراهيم، تعريفات الصحة النفسية وعلم النفس، مجلة المسلم

المعاصر، الكويت، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، 1988 م، العدد 51 - 52

210. مسلم، مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت، دار
المعرفة، د.ط، 1970 م.

211. مسلم، مصطفى وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، الشارقة،
جامعة الشارقة، ط1، 1431 هـ - 2010 م .

212. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، طهران، دار إحياء التراث
العربي، د.ط، د.ت .

213. معجم اللغة العربية، مجمع ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة، طبعة الهيئة العامة
، 1392 هـ - 1973 م .

214. المعلمي، يحيى، مكارم الأخلاق في القرآن الكريم، جدة، دار عكاظ للطباعة
والنشر والتوزيع، ط 2، 1400 هـ - 1980 م .

215. مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد
فريد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1424 هـ - 2003 م .

216. ملكاوي، محمد أحمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، الرياض، دار ابن
تيمية، ط 2، 1412 هـ - 1992 م .

217. الملكاوي، محمد أشرف، أساسيات المناهج، الرياض، دار النشر الدولي للنشر

والتوزيع، ط 2، 1427 هـ - 2006 م .

218. المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد

رضوان الدابة، بيروت، دار الفكر، ودمشق، دار الفكر، ط 1، 1410 هـ -
1990 م.

219. المهدي، محمد عبد الفتاح، العلاج النفسي في ضوء الإسلام، مصر -

المنصورة، دار الوفاء، ط 1، 1990 م .

220. المودودي، أبو الأعلى، المنهج الإسلامي الجديد، ط جمعية التمدن الإسلامي

بدمشق، 1371 هـ - 1951 م .

221. مور، النظرية التربوية، ترجمة: محمد الصادق وعبد المجيد شبحه، القاهرة،

مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1406 هـ - 1986 م .

222. الموصللي، سامي أحمد، العلاج الإيماني في الطب النفسي، بيروت، دار

النفائس، ط 1، 2001 م .

223. الميداني، عبد الرحمن حبنكه، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط

3، 1403 هـ - 1983 م .

224. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار

القلم، ط 1، 1399 هـ - 1979 م .

225. ميمني، جميلة بنت يحيى، توجيهات تربوية مستنقاة من سورة العصر، رسالة

ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية،

1413 هـ - 1992 م .

226. ناصر، إبراهيم، أصول التربية والوعي الإنساني، عمان، مكتبة الرائد العلمية،

ط 1، 1424 هـ - 2004 م .

227. نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، مصر، دار الشروق، ط 7، 2001م

228. نجاتي، محمد عثمان، مفهوم الصحة النفسية في القرآن الكريم والحديث

الشريف، نشرة الطب الإسلامي، الكويت، أبحاث وأعمال مؤتمر الطب الإسلامي

الدولي الثالث المنعقد في اسطنبول عام 1984، العدد 3 .

229. النحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي

الصابوني، مكة، جامعة أم القرى، ط 1، 1409 هـ - 1988 م .

230. النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت

والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ط 2، 1983 م .

231. النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، بيروت،

دار الكتب العلمية، ط 1، 2008 م .

232. نصير، أمينة محمد، الأخلاق في التصور الإسلامي، دم، مكتبة تامر للطباعة،

د.ط، 1985 م .

233. الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، الرياض، دار الهدى للنشر والتوزيع، ط 2، 1405 هـ - 1985 م .
234. هندي، صالح وآخرون، تخطيط المنهج وتطويره، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، د.ط، 1409 هـ - 1989 م .
235. الهيثمي، علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، د.م، دار الرياض للتراث، د.ط، 1407 هـ - 1987 م .
236. الوكيل، حلمي أحمد ؛ والمغني، محمد أمين، أسس بناء المناهج وتنظيماتها، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، 1426 هـ - 2005 م ؛ القاهرة، مطبعة حسان، د . ط، 1982 م ؛ القاهرة، مطبعة حسان، د . ط، 1982 م، ص 510 .
237. ياسين، محمد نعيم، الإيمان أركانه ونواقضه، الأردن، دار الفرقان، د.ط، 1407 هـ - 1987 م .
238. يالجن، مقداد، توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، الرياض، دار المريخ للنشر، ط 1، 1402 هـ - 1982 م .
239. يالجن، مقداد، معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، عمان، في: مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة، تحرير: فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1411 هـ - 1991 م .
240. يحيى حامد ؛ وجابر، عبد الحميد جابر، المناهج أسسها تخطيطها تقويمها، القاهرة، دار النهضة العربية، ط 2، 1975 م .

Abstract

Bani Essa, Wail Moh. Fakhri, Basics of Educational Theory and Applications which is elited from Al-Anam Verse, Sharia Faculty, Islamic Studies Department, Yarmouk University, 2012.

PHD Supervision: Dr. Ahlam Matalqa

This study amid to explain Educational Islamic Theory and It's Applications which is elited from Al-Anam Verse . The sullabus of this study: explaining this study analytically by looking at the verses which is concerned Al-Anam verse and analyse it, then arranging and classifying it, to get out of entire illusion about this educational theory which belonging this verse, the following:

1. Getting use from all Islamic books and other publishers, authers, to explain all topics under this study, then proving it through holy koran and correct Sonna .
2. Collecting verses from Al-Anam verse which belonging the topic of this study and classifying it according to the plan of research .
3. Getting help by explaining book, and acceptable opinion from the saying of scientists in providing verses.
4. Reading all educational concepts and proofs to get out evidence which serve the purpose of the study .

According the study has the following consequence .

1. Al-Anam Verse is an entire verse including all educational topics knowledgeable, Akida, legally, psychologically, which all from clear syllabus for the basic of Islamic educational theory .

2. The Islamic educational theory has a set of basics, ideas, concepts and coherent glassories which arranged according to the holy Koran and Sonna . which lead to analyse and explain it's characteristics also it's aims, effects and justification also what is going around from guidance and develop it's explanation which from new desciplines by Islamic concepts .
3. Al-Anam Verse contains the rules and principles which from origins of Akida to the Islamic educational theory like faith in God and angles, prophets, its books, the last day, and destination, and other details .
4. Al-Anam Verse contains the rules and principles which as a set of knowledgeable origins for Islamic educational theory, as explanation for the source of knowledge and acquired and integration the means of knowledge .
5. Al-Anam verse contains the rules and principles which from the origins as legislative basics for Islamic and educational theory, as an evidence for fields of legislation and its instances .
6. Al-Anam Verse contains the rules and principles which from the origins of morals for Islamic educational theory, by explaining a group of good morals and the bad one's, and its effects on social and education .
7. Al-Anam Verse contains the rules and principles which entirely form psychological issues on Islamic educational theory, through the explanation of self psychological health and it's appearances such psychological diseases, etc .
8. Al-Anam Verse includes a set of rules and educational basics which might be functioning in educational process by preparing and forning educational syllabuses which have certain aims content and teaching techniques .

Key Words:

Theory, Akida Origin, Knowledgeable Origin, Psychological Origin, Legaslative Origin, Moral Origin, Al-Anam Verse, Educational Applications .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University